كتاب
التعاون

سيناء

من أحمس إلى السادات

أحمد أبو كف

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

مركز الدراسات الصحفية

كتاب التعاون

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير العام

ممدوح رضا

رئيس التحرير التنفيذى

عز الدين كامل

المشرف الفنى

على الجندى

سكرتير التحرير

سيد قنديل

المراسلات
دار التعاون - ٦ شارع عبد القادر حمزة
جاردن سيتى - القاهرة

اهــداء

الى ابن مصر الاســـمر وكبير عائلـة مصر ٠٠ أنور السادات بطل تحرير سيناء ٠٠

والى ارواح الشهداء من اشقائنا وابنائنا الذين امتزجت دماؤهم بالرمال المقدسة ، ليخضر غصن الزيتون ٠٠وترفرف حمامات السلام ٠٠

والى كل مصرى وعربى ٠٠ اعتز بهــذا النصر الكبير الذى انبلج من عبور الهزيمة كالفجر من ليل اسـود حالك السواد ٠٠٠

الى هؤلاء جميعا ، اقدم كتاب (سيناء) ٠٠

ابو كف

بسم الله الرحمن الرحيم

« والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين ٠ لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » ٠

قرآن كريم

من المؤسف حقا ٠٠ ان المكتبة العربية عندنا ، تكاد تخلو من الدراسات والابحاث المباشرة ، التى تتناول شبه جزيرة سيناء ، تناولا علميا شاملا ٠٠ برغم أن سيناء ظلت وستظل الباب الشرقى لمصر ٠

وهذا الباب الشرقى لمصر طالما شاهد دقات عنيفة ، سمع صداها فى دلتا مصر ٠ بل ان كثيرا من تلك الدقات الاعنف ، وصل صوتها الى صعيد مصر ٠ ولعبت دورا هاما فى مسيرة التاريخ المصرى ٠٠

لكن ـ من أسف ايضا ، فانه حتى الآن ، لم تتح للصرى ـ وهو قادر بلا شك ـ الظروف الملائمة ، ان (يمشط) هذه القطعة الغالية من ارض مصر ٠٠ بحثا ـ خاصة الميدانى منه ـ لكى تنطق شبه الجزيرة بما فيها وبما حدث لها على مدى سنوات تربو على الخمسة آلاف عام او يزيد ٠٠ وكما تؤكد بعض آثارها منذ أن كشف عنها علميا فى مفتتح هذا القرن ودرسها السير فلندرز بترى وبعده المؤلف آلان جاردنر ٠

والواقع ٠٠ ان سيناء ، اذا كانت هى أرض المعارك الطويلة والقصيرة ، بل الخاطفة فى كثير من الاحيان ٠٠ فانها كذلك أرض المقدسات ، وأرض الذكريات التاريخية ٠٠ وخاصة ذكريات أديان التوحيد الثلاثة : اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام ٠ بل هى قد شهدت الكثير من انبياء الله ، سواء وهم فى طريقهم الى وادى مصر او فى طريقهم منها الى خارج الوادى ٠

وسيناء اذا كانت كما يسميها البعض (ارض الجدب والخراب) ، ونحن لنا اعتراض على هذه التسمية ، فهى أيضا

(قدس أقداس) مصر ، وهي بلا شـــك أرض الكنوز والثروات المعدنية الواعدة ، كما أنها الارض الاستراتيجية الهامة التي تحمى صدر مصر ٠

لقد ظلت الدعوات تتكاثر وتتكاثر ٠ بل ان الابحاث الكثيرة التي اهتمت بسيناء على فترات من تاريخها ، وخاصة منذ نهـاية القرن التاسع عشر وبداية القـــرن العشرين ٠٠ كلهـــا كانت تستهدف التقليل من أهمية سيناء والى (التعمية) حتى لا تتجه اليها الاهتمامات والانظار ٠٠ وحتى يمكن فصلها (سريا) عن مصر

لقد حاولوا ايهام المصريين بكل الوسائل ، أن سيناء ليست أرضا مصرية ، وحاولوا أن يفصلوا بينهـــا وبين الوادى بشـــتى الطرق والوسائل الادارية وغير الادارية ، وخاصـة منذ الاحتلال البريطاني لمصر ، وبالاخص في مفتتح القـــرن العشرين ٠ وكان المصرى يسمع كل ذلك وهو صامت لا يعلق ٠ مع أن داخله كان يمور بملكية هذا التراب الوطني ٠ فالمصرى يعرف أن سيناء ارض مصرية منذ أجداده الفراعنة ، الذين فطنوا لاهميتهـــا ، والذين عرفوا أنها المعبر الى مصر ، بل أخطر معابرها أو حدودها الشرقية منذ الهكسوس أو ملوك الرعاة في القرن الســـابع عشر قبل الميلاد ، أو حوالى عام ١٧٠٠ ق٠م ٠ ثم ما تلى ذلك من احداث ، حيث استطاع الفرعون احمس (١٥٧٠-١٥٤٥) أن يزيح كابوس الغزاة وان يحرر البلاد ٠

ويدل على هذا الاهتمام المصرى منذ قدم التاريخ ، ان الطلبة المصريين ، ومنذ العصور الفرعونية ، كانوا يدرسون المعارك التي حدثت في سيناء ٠ بل كان دائما في منهاج دراساتهم ارض الفيروز والمعادن النفيسة ٠ فسيناء برزت في الوجدان المصرى ، منذ الاسرة الاولى الفرعونية ، وربما قبل ذلك ٠ والدليل على ذلك أن سمرخت سابع ملوك هذه الاسرة ترك نقوشا على صخور (وادى المغارة) ٠٠ وحيث كانت سيناء المنجم الكبير الذى تعددت اليه حملات الفراعنة

السلمية لاستخراج المعادن ، ومنها النحاس والفيروز ، حتى سميت شبه الجزيرة بارض الفيروز • وهذه الحملات نستطيع أن نسير معها منذ الاسرة الاولى الفرعونية ، وحتى الاسرة العشرين •

ولقد امتزجت شبه الجزيرة بالوادى •• وامتزجت المعتقدات ايضا وتوحدت •• كما سنثبت ذلك فى فصـــول الكتاب بالادلة القاطعة والبراهين •

والحقيقة •• أن كل المحاولات المغرضـــة •• لم تستطع أن تفصل القلب عن الجسد •• رغم كل ما حدث •

ظلت سيناء •• هى الارض المصرية بهويتها وتاريخها •

ظلت كذلك رغم الكثير من المحاولات ، ومنها حادث (طابة) المشهور •• ومنها كذلك محاولات البريطانيين فصلها والحاقهـــا بأرض فلسطين •• ومحاولات الصهيونية العالمية استعمار العريش فى مفتتح القرن العشرين !!

ولقد جاءت حرب رمضان ١٣٩٣ هجرية (أكتوبر سنة ١٩٧٣ ميلادية) لتهدم ــ فى ساعات قليلة ــ كل ما بنوه وارادوه واسسوه ، لكى ليفصلوا سيناء عن مصر • جاءت لكى تلغى كل المخططات المكتوبة والمنشورة وغير المنشورة ، خلال أكثر من قرن من الزمان •• بل كل ما دبج من شواهد واسانيد ، غير صحيحة بالطبع عن سيناء •

هدمت حرب أكتوبر السد الكبير المانع الجامع ، الذى حاولوا ان يجعلوه حائطا صلبا يفصل بين مصر وبين ســـيناء •• وهو ما عرف باسم (خط بارليف) •• وكانت قناة السويس قبل ذلك حائطا له معنى لايجاد مبرر او فاصل يفصل ســـيناء عن مصر • وانهارت بانهيار خط بارليف كل الدعوات التى أبرزوها •

عبر المصريون الى سيناء عبور البقاء •• بالدم الذى تشربته رمالها وهضابها ، وحتى سبخاتها •• دم الشهداء الابرار • ومع

العبور الى سيناء لتصحيح هويتها واحتضانها ٠٠ كان هدم الفكرة التى ظلت لسنوات طويلة من صنع الاستعمار ، منذ حفر قناة السويس ٠

ان حفر قناة السويس ــ كما قلنا ــ كان من بين اهدافه ان يكون سدا مائيا فاصلا ٠٠ ولذلك كانت فكرة الانفاق تحت قناة السويس ، وتوصيل مياه النيل الى سيناء ، ثم كانت خريطة الحدود الادارية الجديدة لمحافظات السويس والاسماعيلية وبور سعيد ٠٠ تضم أراض من سيناء الى تلك المحافظات ٠٠ هذه الافكار جميعها ٠٠ التى جاءت بعد العبور العظيم الى سيناء ٠٠ أنشأت زواجا كاثوليكيا ــ ان صح التعبير ــ بين سيناء والوادى ، لا انفصام له ٠٠ لكى تبدا حقبة جديدة ورائعة من التاريخ ٠

والحقيقة أن علاقة كاتب هذه السطور بسيناء قد بدات بداية جديدة منذ عام ١٩٦٩ ٠ بمعنى أن هذا الكتاب جرى التفكير فيه منذ عشر سنوات ، كانت العين دائما على شبه الجزيرة وما يحدث فيها ٠ وكانت هناك بعض الدراسات القصيرة التى كتبتها ونشرتها فى المجلة التى اعمل بها ، والتى حاولت ــ بقدر المستطاع ــ أن اجمع لها المصادر من بين مكتباتنا ، وايضا مكتبات الخارج ، حينما يتاح لى السفر واتردد على المكتبات ٠

وقبل أن اخط حرفا واحدا فى هذا الكتاب ٠٠ حاولت بقدر جهدى أن احصر المصادر عن سيناء ٠ لكننى اعترف ــ والاعتراف بالحق فضيلة ــ أننى كنت كمن يبحث عن قطرة ماء فى بحر من الرمال ، تلك التى تغطى مساحات شاسعة من ارض شبه الجزيرة

لقد اتضح لى أن المصادر ــ وخاصة الاجنبى ــ اكثرها يقترب من شبه الجزيرة ، لكنه لا يغوص فيها الى النخاع ولا يتناولها مباشرة ٠٠ وهناك الكثير من المصادر المغرضة التى كثيرا ما تتغاضى عن الحقائق لهدف فى نفس يعقوب ٠

ومنذ سنوات ـ وانا فى رحلة البحث عن المصادر ـ قال لى استاذنا الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى ، قبل ان يعمل خارج مصر ، وكان رئيسا لقسم التاريخ بكلية الآداب فى جامعة عين شمس ، وله كتاب عن حادث طابا بالذات ، قال استاذنا الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى ، أن احد طلبة الدراسات العليا ، فى أواخر الستينات ، حاول أن يسجل لرسالة ماجستير فى الكلية عن سيناء • لكنه لم يكد يبدأ حتى صرف النظر عن هذا الموضوع • والسبب ندرة المصادر عن سيناء هذه الارض المصرية ، أو ان أغلب هذه المصادر تشوه الحقائق •

ان الغالبية العظمى من الكتب والدراسات عن سيناء قبل حرب أكتوبر ، كانت كلها تقريبا لا تقف على مستوى اهمية سيناء لمصر • واغلب هذه الكتب والدراسات كانت عبارة عن ابحاث قصيرة ، او اقرب الى ادب الرحلات منه الى البحث القائم على الدراسات المستانية •

هذا عن المصادر العربية ••

اما عن المصادر الافرنجية ، فكانت كلها قديمة ، واغلبها مغرض ينأى عن الصدق والحقيقة ، والبعض منه من ذوى الاهتمامات الخاصة ، تلك التى تخدم اهدافا معينة •

ثم انه بعد حرب اكتوبر صدرت دراسات كثيرة عن سيناء بعضها بالعربية والآخر بالافرنجية ، والثالث مترجم الى العربية • وقد شغلت سيناء الباحثين ، لكنها شغلت العسكريين اكثر من اية فئة اخرى ، لان حرب رمضان كانت (الزلزال) •• وكانت أهم حروب التاريخ المعاصر ، بعد الحرب العالمية الثانية • بمعنى ان الاهتمامات البحثية كانت عسكرية واستراتيجية بالدرجة الاولى•• ولا تخوض فى الكثير من القضايا المطروحة حول سيناء •

والمهم •• ان ياتى استيعاب المصادر الكثيرة والمتنوعة ، مع

محاولات الربط والتنقية .. وقد كان هذا هو هـــدفي من هذا الكتاب .. الذي لم يأت نظريا .. وانما جاء بعضه تحقيقا عـلى الطبيعة ، حيث قدر لى أن أزور بعض مناطق ســيناء قبل حـرب ١٩٦٧ .. وبعد ١٩٦٧ لعدة مرات .

واعتقد انني قد بذلت جهـــدي فيما اقدمه .. في هذه الفصول ..

وعذري انني اذا أصبت فمن توفيق الله .. وان لم أصب ، فانني جهدت لسنوات وليال طويلة أحاول أن أقدم هذا العمـــل المتواضع .. الذي أرجو أن يكون فاتحة دراســات متنوعة تثرى الفكر المصري والمكتبة المصرية عن سيناء ، قدس أقداس مصر .. والتي على أرضها انتهى ذل الشتت والتمــزق ، وعار الهزيمــة العربية ، وبدأ الوصال بين مشرق العرب ومغربهم بعد انقطاع ١٢ عاما قاتمة من الاحتلال .

احمد ابو كف

الجيزة في :

٢١ من رمضـان ١٣٩٩ هجرية

١٤ أغسطس ١٩٧٩ ميلادية

الفصل الاول

سينـــــاء ... التـــــاريخ

بادىء ذى بدء نقول : ليست سيناء هى أرض (الجدب والخراب) كما اعتادت المصادر الكثيرة أن تصفها بهذه الصفة ، اعتمادا على تسمية هيروغليفية أو وصف هيروغليفى فى فترة من الفترات ، بأنها (توشويث) أى أرض الجفاف .

فالواقع أن تاريخ مصر على مدى خمسة آلاف عام أو يزيد ، دارت أحداثه على أرض الوادى ، كما دارت تلك الاحداث أو أغلبها على أرض سيناء .

ولقد تراوحت سيناء بين (أرض الفيروز) وأرض النحاس والمعادن .. وبين أرض الذكريات الدينية ، وقبلها وفى أثنائها أرض المعتقدات الوثنية . ثم هى بعد ذلك المعبر والمقر الاسلامى والقبائل العربية الاسلامية .. وبعد ذلك أرض الحروب الحديثة الطويلة والمريرة ، تلك التى انتهت بحرب رمضان .. ومع كل ذلك ظلت أرضها هى أرض السلام .

والواقع أن سيناء ، أرض مصرية خالصة ، بدونها لصارت الدلتا فى خطر ، وبدونها أيضا ، لكان تاريخ مصر شيئا آخر . وذلك على عكس ما أوردته المصادر الكثيرة التى حاولت اثبات ، أن سيناء ، لم تبرز أهميتها كأرض مصرية ، الا بعد حفر قناة السويس فى عام ١٨٦٩ .

ان سيناء ظلت وستظل باب مصر الشرقى ، بل هى أهم أبواب مصر .

● ● ●

وسيناء اختلف المؤرخون فى أصل تسميتها ..

البعض قال انها (حجر) ، أى بلاد الاحجار .

والبعض قال ان تسميتها مشتقة من كلمة (سين) العبرية،

ومعناها القمر ، وأن ساكنى سيناء كانوا يعبدون القمر · غير أن هذا التفسير ، كما يقول ابراهيم أمين غالى فى كتابه (سـيناء المصرية عبر التاريخ) ، غير مقبول · فكلمة (سين) لا تعنى فى العبرية القمر . واذا فرض واخذ اليهود من لغة أهل سـيناء ، فلا يعقل أن يعطوا هذه التسمية لجبل الرب · ثم ان التوراة لم تستعمل كلمة (سيناء) لتعريف المنطقة ، بل أطلقت على شـبه الجزيرة اسـم (حوريب) ·· أى الخراب واكتفت باطلاق هذا الاسم على أحد الجبال فى سيناء ·

ولقد عرفت سيناء فى النقوش المصرية القديمة ، المدونة على الآثار المصرية باسم (توشويت) .. أى أرض العراء . كما عرف أهل شمال سيناء باسم (هيروشايتو) أى أسـياد الرمال : أما أهل الجنوب فقد عرفوا باسم (مونيتو) ·· بالاضـافة الى أن سيناء أطلق عليها مكان الفيروز ·· كما عرفت فى وقت من الاوقات باسم (بيت سنفرن) .

والواقع أن التسميات كثيرة تلك التى حملتها سيناء ·

لكن من أهم الاسماء التى عرفت بها سـيناء هى (أرض مجان) ·· ولعل هذا الاسم تحريف لاسم مدين ، والذى يتشابه معه حتى فى النطق ، وعرفها العرب بهـذا الاسم · ويرى نعوم شقير فى كتابه (تاريخ سيناء القديم والحديث) .. أنها (قنطرة النيل الى الاردن والفرات) ·

واسم (مجان) ·· أو (أرض مجـان) ، الذى عرفت به سيناء فترة ، يؤكده المؤرخ الامريكى هوسكنز فى كتـابه (من النيل الى بنو) ·· حيث فى سوسة ، وفى خرائب مملكة بابل ، نصب تذكارى تقول ترجمته : أن سيناء هى أرض مجان ، وأن أحد ملوك بابل القدماء ، واسمه (نرام سين) ، غزا أرض مجان عام

٢٧٥٠ قبل الميلاد ٠٠ وحمل الى عاصمته قطعا من حجرها المعروف باسم (حجر الخية) أو كما يســـمى GREEN DIORIT ، أو حجر الديوريت الاخضر ٠٠ وهو من الاحجار الصلبة النادرة ،الذى نحت منـــه تمثـال للفرعون « خفرع » من الاسرة الرابعـــة الفرعونية ٠٠ وهو التمثال الموجود فى المتحف المصرى ، ويعتبر من أندر التماثيل القديمة وأثمنها ٠

والحقيقة أن الاسماء لسيناء لا تنتهى ٠٠ وكذلك أسماء أجزاء منها ٠٠ فقد عرفت أرض الطور أيضا منذ القدم باسم (رايتو) ، وأطلق على السكان هناك اسم (ساشو) ٠

على أنه منذ ألفى سنة تقريبا قبل الميلاد ، وردت فى نقوش الاسرة الحادية عشرة الفرعونية اســـم (طنجهت) لتلك المنطقة الجنوبية من سيناء ، وفى نصـــوص أخرى أطلق عليها اســـم (بياونت) ٠

والمؤلف آلن جاردنر ALAN GARDINER فى كتـــابه عن (نقوش سيناء) الذى اشترك فى تأليفه مع اريك بيت ARIC PEET فى عام ١٩٥٥ ٠٠ يفسر كلمة ســـيناء بأنها اشتقـاق من كلمة (صفدو) ٠ ودليله على ذلك أن النقوش المنحوتة على معبد سرابيت الخادم ، تشير الى عبادة اله (صفدو) . وهــذا الاله كان أول ما يقابله المصرى العائد الى وادى النيل ، ويفسر ذلك أيضا وجوده على الرمال ٠٠

ويتساءل ابراهيم غالى : هل صفدو أصل كلمة سيناء ؟
ويقول : لقد ثبت أن كلمة ٠ جـ س ـم ـ أوس ـم ـت ، تقرأ (جيوشين) ، أى (دار صفدو) اله عاصـــمة الاقليم الغربى ، واسمها الآن (صفد الجنة) ٠ وقد يكون هذا التفســير حلا للغز سيناء . فان صح ذلك ، يكون الاله (صفدو) قد أعطى اســـمه للمنطقة التى يبدأ منها المصرى رحلته الى كنوز الفيروز والنحاس ٠

لكن رغم ما قاله ابراهيم أمين غالى ، فان ذلك لا يحل اللغز .. فاسم اله يمكن أن يكون لمدينـــة .. أو اقليم ، ولكن ليس لسيناء كلها ..

واذا كان ابراهيم أمين غالىيقتنع برأى آلان جاردنر وتفسيره، الذى يقول أنه منذ فجر التاريخ امتزج العنصران المصرى والعربى فى تلك المنطقة . وحمل ذلك تارة الى تصوير الاله (صفدو) على شكل الاله حورس ، حيث كان (صفدو) على شكل صقر أحيانا ، وعلى شكل رجل ملتحى وعلى رأسه شعر مستعار مربوط من الخلف ويحمل ريشتين وفقا لشكل التمثال الذى كان يعبد فى سيناء . اقول رغم ذلك فان هذا لا يصبح مبرراً لكى تحمل سيناء اســم صفدو .. وانما قد يكون جزء منها .. ولتظل هذه التسميات التى ذكرناها ألغازا .. فى حاجة من المؤرخين الى ازالة النقاب عنها .

والمهم أن الاغريق أطلقوا على سيناء وما يجاورها ناحيــة الشمال الشرقى اسم (أرابيا بيترا) .. أى بلاد العرب الحجرية . وهذه التسمية تعميمية ، لا تختص بسيناء وحدها ، لانها أطلقت على الاراضى الواقعة جنوب غربى بادية الشـــام .. تمييزا لها عن تسمية (آرابيا فيليكس) .. أى بلاد العرب السعيدة ، والمقصود بها اليمن .

● ● ●

تاريخ سيناء ، فى أكثر قرونه الطويلة ، تاريخ عسكرى .. تحس فيه بالغبار المتصاعد ، ودخان البارود ، ثم هدير المدافع ، وأزيز الطائرات . كما أن رمال سيناء وصخورها وجبالها ،شاهدت الكثير من الغازين الذين حاولوا الوصول الى دلتا النيل الخصيب .. فضلا عن تلك القوات التى انطلقت من الوادى تريد صد غزوه .. أو تسير فى حملة لتأمين الحدود ، وتاديب الغازى ..

وما أكثر ما شاهدت سيناء قوات مصر ، وهى تذهب الى سيناء ، او تعبرها .. او عائد تتقدمها أكاليل غار الانتصار .

والواقع أن اهمية سيناء ، كما يقول د. عبد الرحمن زكى فى كتابه (سيناء أرض المعارك) .. تعود الى ما لعبته من أدوار هامة عبر العصور .. خاصة وأنها كانت معبرا للحملات العسكرية ضد مصر ، ثم انها كانت وستظل ارضا استراتيجية هامة لضمان أمن مصر .

ولقد اتضحت اهمية سيناء أول ما اتضحت بالنسبة لمصر عسكريا .. حينما غزت مصر تلك القبائل التى عرفت فى التاريخ باسم (القبائل التى تعيش على الرمال) . هذه القبائل كانت من أوائل الهجرات الامورية القديمة التى زحفت على فلسطين ، وبدأت تمد بصرها الى مصر عبر سيناء .

وفى عهد فرعون مصر بيبى الاول ٢٢٩٢ قبل الميلاد ، وهو أول ملوك الاسرة السادسة الفرعونية ، والتى كانت عاصمتها مدينة (منف) .. غزت هذه القبائل مصر . وسماهم المصريون القدماء باسم (عامو – حريو يشع) ، ومعناه كما يقول الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، عالم الآثار المصرى فى الفصل الذى كتبه فى كتاب (كفاحنا ضد الغزاة) .. هم (قبائل البدو التى تعيش على الرمال) ..

ان الفرعون المصرى بيبى الاول ، صاحب الهرم الذى ما زالت آثاره موجودة فى منف ، وله تمثال من النحاس فى المتحف المصرى، تصدى لصد هذه القبائل الغازية . ويبرز فى عهد هذا الفرعون اسم (أونى) . هذا الشاب المصرى العبقرى ، الذى كان من طبقة العامة ، وارتفعت أسهمه لدى البلاط الفرعونى ، باخلاصه وشجاعته ووطنيته .. حتى وصل الى منصب وزير الفرعون ومستشاره الاول .

وقد عهد ببيبى الاول الى (أونى) بطرد الغزاة من مصر ..

وتقول مصادر التاريخ الفرعونى ، كما فى (مصر القديمة) لسليم حسن ، وأيضا (فى موكب الشمس) للدكتور أحمد أحمد بدوى .. فان (أونى) جهز جيشا على الفور . وهذا الجيش كان مكونا من عشرات الالوف من أبناء مصر . وهذا الجيش الذى عبأه من جميع أنحاء مصر ، عهد بتدريبه الى ضابط مصرى على جانب كبير من الكفاءة ، لكى (يخضع الهيرو شايتو بين هضبة التيه والبحر الميت) .

وبعد أن اكتملت تدريبات الجيش ، قسمه أونى الى فرق . وجعل على كل فرقة قائداً خبيرا محنكا . ثم استعرض الجيش أمام الفرعون ببيبى الاول الذى سر لذلك سرورا عظيما ، وباركه ..وأذن له أن يبدأ المعركة ويطرد الغازى .

وقد سار جيش مصر ليلاقى الاعداء ، ودخل معهم فى معركة عند الحدود الشمالية الشرقية . لكن قوة الاعداء كانت هائلة ،حتى أن انتصار (أونى) عليهم لم يكن كاملا ، كما أن المعركة لم تكن فاصلة .. مما اضطر أونى الى أن يشن هجومه على الغازين خمس مرات متتالية ، بمشاته ، وبأسطوله الذى سيره ليتعقب الغزاة .. حتى جبل الكرمل فى فلسطين .

لقد أطبق الجيش المصرى بطريقة الكماشة على العدو .بمعنى أن الاسطول الذى سيره أونى فى البحر ، والمشاة المصريون ،أطبقوا على الغزاة ليعقد لواء النصر لجنود مصر .

ويعود الجيش المصرى ، يرفع ألوية النصر .. ويكتب أونى تقريرا الى سيدة الفرعون ببيبى الاول ، شعرا يبدأه بقوله :

عاد الجيش سالما بعد أن ضرب أراضى أهل الرمال

عاد سالما بعد أن فرق بلاد أهل الرمال

عاد سالما بعد أن دمر حصون الاعداء

● ● ●

ويصمت التاريخ الفرعونى ، فترة طويلة تمتـد من الاسرة السادسة ، الى الاسرة الثانية عشرة ٠٠ وهذه الفترة من التاريخ تقل عنها المصادر الى درجة الندرة ٠

لكن هناك أنباء متفرقة تقول أن سنوسرت الثـالث وقائد جيشه واسمه (سبك خو) عبرا سيناء بجيش جرار فى حملـة وصلت الى سورية ٠

وبعد ذلك تأتى أيضا أنباء متفرقة عن امنمحعت الاول (٢٠٠٠ ـ ١٩٧٠) قبل الميلاد ٠ وامنمحعت الثالث (١٨٤٩ـ١٨٠١)قبل الميلاد ٠ وهذه الانباء ليس فيها القتال والجيوش ، وانما تذكرنا بأعمال التعدين فى (وادى المغارة) وأخرى فى (سرابيت الخادم) ٠٠ وهى بالطبع تدل على هدوء الاحوال فى سيناء دون أن تتعرض لقوات غزو ٠

وعقب هذا السكون ٠٠ تبدأ عاصفة أخرى أو غزوة أخرى ، هى هجوم الهكسـوس على مصر فى أواخر الدولة الوسـطى الفرعونية ٠ وقد احتل الهكسوس مصر حوالى ١٥٠ عاما من عام ١٧٣٠ الى عام ١٥٨٠ قبل الميلاد ٠

ويقال ان سبب انتصار الهكسوس على مصر ، هو تفشىوباء فيها ٠ وهناك قول آخر ، بأن مصر فى أواخر الاسرة الثالثة عشرة كانت تعيش فى مشاكل وانقسامات ٠ لكن الثابت أن الهكسوس لاقوا مقاومة شديدة من المصريين ، رغم أن الهكسوس هاجموا مصر باسلحة حديثة لم يعرفها المصريون من قبل ، ومن هذه الاسـلحة تلك العربات الحربيـة التى تجرها الخيول السريعـة ، وكذلك الاقواس الكبيرة المركبة ، والتى تطلق السهام البعيدة المدى ٠

ويقولون أيضا أن الهكسوس احتلوا الدلتا ومصر الوسطى ، حتى مدينة ملوى ، وتركوا جنـــوب ذلك لحكم أمراء مصريين ، ليكونوا حماية لظهرهم ، على أن يدفع هؤلاء الامراء الجزية .

وقد اتخذ الهكسوس عاصـــمة لهم حات أو عارات .. أو (أورايس) .. وهى صان الحجر الحالية فى محافظة الشرقية . وطوال فترة احتلالهم لمصر ، عاثوا فى الارض فســادا ، وحاولوا العصف بكل مظاهر الحضارة الفرعونية ، حتى أن المؤرخ المصرى السمنودى « مانيتون » قال غزو الهكسوس : حرقوا مدننا دون رحمة ، وهدموا معابد الآلهة ، وعاملوا المصريين بخشونة وفظاظة وذبحوا الكثيرين) .

لكن ، برغم قسوة الهكسوس ووطاة احتـــلالهم لمصر ، فان المصريين لم يهدأوا أبدا ولم يسكنوا للاحتلال الاجنبى ، حتى ليقال ان كفاح المصريين ضد الهكسوس – أو ملوك الرعاة كما يسمون – قد بدأ أول حرب تحريرية عرفها العالم .

وهذه الحرب التحريرية يمكن تقسيمها الى ثلاث مراحل .

المرحلة الأولى :

وهى المرحلة التى واكبت عهد الامير المصرى ســـقنن رع ، الملقب بالشجاع ١٦٤٠ – ١٦١٥ قبل الميلاد .

والحقيقة أن المرجع الواضح والصادق ، بل الصريح ، عن هذه المرحلة هو مذكرات طالب مصرى عاش فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، اى بعد جلاء الهكسوس عن مصر بحوالى ثلاثة قرون .

ويبدو أن غزو الهكسوس لمصر قد أثر فى مصر تأثيرا كبيرا ومتواصلا ، حتى أن الطلبة المصريين كانوا يدرسون ظروف هــذا الغزو وملابساته فى المعاهد الدراسية .ومذكرات هذا الطالب جاءت

فيما سمى باسم (بردية ساليبه) ٠ وساليبه هو العـالم الذى اكتشف هذه البردية ٠

وتقول مذكرات الطالب المصرى ، من بين ما تقول : (ان سقنن رع حاكم اقليم طيبة ، كان معاصرا لملك الهكسوس المسمى (أبوفيس) ٠ وأن أبوفيس هذا كان وقحا ومثيرا للاعصاب ، كما كان أيضا مثيرا للشعور القومى ٠ وأن المصرين فى طيبة فى عهد الوالى سقنن رع لم يرضخوا لطلبـات أبوفيس ٠ فهـذا الملك الهكسوسى طلب اسكات أصوات التماسيح التى كان يعبـدها المصريون باسم (سبك) .. لانها كما قال أبوفيس تقلق منامه فى عاصمته الشرقية !! .

وهناك اشارات تاريخية غير مكتملة المعالم ، تقول أنه قـد حدثت عدة حروب بين أهل طيبة ، وبين الهكسوس ٠٠ وأن سقنن رع مات وهو يتقدم قواته يحارب الهكسوس ٠

ويدللون على أن سقنن رع قد مات فى أشرف ساحات البطولة والوطنية ، أن مومياء الفرعون الموجودة الآن بغرفة المومياوات فى المتحف المصرى قد أجرى عليها عدة فحوص وصورت بالاشـعة السينية وتحت الحمراء ٠ وقد صورها البريطانى دكتور هاريس ٠٠ والذى كتب تقريرا يؤكد فيه أن سقنن رع مات ، أو استشهد ـ على أثر ضربه بآلة حادة فى جمجمته ٠ وأن على هـذه الجمجمة آثار التهشيم واضحة ٠

المرحلة الثانية :

وهى المرحلة التى تقع فيما بين عامى ١٥٩٠ و١٥٨٦ قبـل الميلاد وهى المرحلة التى أعقبت موت سقنن رع ٠ فقد خلفه عـلى طيبه ابنه (كامس) ٠

وهذا الابن واصل القتال والكفاح على طريق أبيـه ٠ وكان

شابا من طينة مصر ، معتدا بنفسه ، أبيا ، شجاعا . وهذا الشاب جمع أهل الحكمة والمعرفة فى مدينة طيبة ذات الابواب المائة ، كما سماها هوميروس ، وقال لهم ، كما تذكر (بردية كارنارفون) :

(.. لن يرتاح بالى حتى أخرج الى الآسيوى ، لاصـــارعه وأبقر بطنه بيدى . ان رغبتى هى تحرير مصر) .

وكما تذكر (بردية كارنارفون) .. فقد خرج كامس من طيبة ، حاملا لواء الجهاد ، يتقـــدم جيشا مصريا من خيرة زهرات شباب طيبة .

وقد انتصر كامس فى أكثر من معركة وموقعة على الهكسوس . وتقابل معهم فى معركة نيلية ، انتهت باستيلائه على ثلاث سـفن محملة بالمواد الغذائية ، وكانت من بين ما تحمله هذه السفن بعض الذهب والفيروز ، والفئوس الحربية النحاسية .

ويقول المؤرخون ، أن كامس ، اســـتطاع فى صراعه مع الهكسوس ، أن يحرر المنطقة من طيبة وحتى شمال الاشمونين . وأنه عاد الى طيبة بعد ذلك فى موكب نصر ، ومعه الكثير من الاسرى من جند الهكسوس .

المرحلة الثالثة :

وهى المرحلة الحاسمة مع الهكسوس ، تلك التى تمتد ما بين عامى ١٥٨٠ و١٥٥٨ قبل الميلاد ،وفيها تحررت مصر من الهكسوس تماما .

وهذه المرحلة برز فيها اسم الامير المصرى (أحمس) . وقد تم على يديه وبفضـــل قيادته العســـكرية الرشيدة ، تخليص البلاد من المعتدين . وفى هذه المرحلة كانت مصر قد استطاعت أن تستوعب أساليب العدو الحربية وكذلك أسلحته الجديدة . وقيل أنه فى مصر فى تلك الفترة دخل أفراد الطبقة المتوسطة الجيش ، وكانوا قوة كبيرة يعتد بها ، وقد أبلوا بلاء حسنا فى القتال .

وأحمس هو الاخ الاصغر لكامس ·

وقد استطاع — بعد أن أعد عدته للهجوم على الهكسوس — أن يتجه اليهم ، لتدور معارك تحريرية هائلة فى كل أنحاء البلاد· وكانت قلاع الاعداء المحتلين تسقط الواحدة فى اثر الاخرى ، الى أن وصـلت طلائع الجيش المصرى الى (أواريس) عاصـمة الهكسوس ، ودارت معارك طاحنة ، اضطر العدو علـى أثرها أن ينسحب ناحية الشمال (١) ·

وهذا الامير المصرى أحمس تعقب الهكسوس ، حتى بلـدة (شاروهين) ، جنوبى مدينة غزة · وأنه ضرب الحصار حول هذه البلدة لمدة ثلاث سنوات · ثم سقطت (شـاروهين) فى أيدى الابطال المصريين ، وبسقوطها تحررت سيناء · وبدأت مصر مجدها الامبراطورى الذى نسجته الدولة الحديثة بفراعنة الاسرة الثامنـة عشرة العظام ·· الذين فطنوا لاهمية سيناء وحدود مصر الشرقية·

● ● ●

كان الانتصار على الهكسوس بداية لسياسـة حربية مصرية جديدة ·

علمت غزوة الهكسوس المصريين ، أن المعبـر الى مصر ، والمتمثل فى صحراء سيناء ، هو أخطر معابرها البرية ، أو أخطر أبوابها من جهة الشرق · كما علمتهم أيضا أنه حين يحيق الخطر بالشام وفلسطين ، يصبح فى مقدوره أن يمد يده الى دلتـا مصر الخصيبة التى كانت عامل جذب لكل غازى ·· هى ووادى النيل بالطبع ·

وقد جاء بعد أحمس ، الذى أسس الاسرة الثـامنة عشرة الفرعونية ، ابنه الفرعون أمحتب الاول ١٥٥٧ــ١٥٠١ قبل الميلاد·

(١) مما يذكر هنا للتاريخ وللاجيال ان المصرى القديم كان هو أول من نفخ فى البوق للتغير العام · وأول من دق الطبول حين سير الجنود فى خطوات منتظمة · وهو أول من خطا بالقدم اليسرى فى المناورات والمسيرات ، وتاريخ مصر العسـكرى مملوء بالمنجزات ·

وهذا الابن قاد حملة لتاديب الغزاة ، وصلت جنودها الى غربى نهر الفرات .. ربما لاول مرة فى التاريخ العسكرى المصرى .

وعلى سياسة أمحتب ، سار تحوتمس الاول ١٥٣٩ـ١٥١٤ قبل الميلاد . فقد قام هذا الفرعون بحملة نحو الشرق ـ عن طريق سيناء بالطبع ـ وصلت الى الفرات أيضا . وأخبار هذه الحملة تأتى من نصب امامه تحوتمس فى (قرقميش) ، وسجل فيه انتصاراته على الكلدانيين .

والواقع أن الاسرة الثامنـــة عشرة التى كونت امبراطورية مصرية شاسعة الارجاء ، التفتت الى أهمية سيناء كبعد استراتيجى هام ، وكمدخل شرقى لمصر . وهذه الالتفاتة الذكية تواكب العصر الحربى العظيم فى مصر القديمة .. ولذلك فقد شهدت سيناء ست مرات عبورا على عهد تحوتمس الثالث العظيم ١٥٠١ـ١٤٤٧ قبل الميلاد . فعند القنطرة بدأت الجيوش المصرية تعبر سيناء منذ عام ١٤٧٩ ق.م . وسارت فى طريقها الى أن وصلت جبل الكرمل ، ثم مدينة (مجدو) .. حيث دارت رحى معركة مجدو الشهيرة ، التى انهزم فيها ملك قادش . ثم كانت غزوات تحوتمس الثـالث الباقية لتأكيد سيادة مصر على بابها الشرقى .

ثم تكررت الحملات الظافرة فى عهد امنحتب الثانى ، وكان الاستقرار فى عهد امنحتب الثالث .

وكانت ثورة اخناتون ـ امنحتب الرابع ـ بعـــد أن حاول الحيثيون تهديد مصر . لكن النكسة فى عهـد اخناتون كانت مثل سحابة صيف ، اذ استطاع قائد الجيش (حور محب) ، أن يعيد الهيبة المصرية .. ويؤسس الاسرة التاسعة عشرة .

ومرة أخرى تبدأ فترة جديدة ، حيث عرف المصريون قواعد اللعبة ، وقاموا بتحصين سيناء ، وحفر الآبار ، وبناء القلاع المنيعة .. وكان هذا فى عهد سيتى الاول ١٣١٣ ق . م .

والتاريخ يذكر أن سيتى أرسل حملتين الى بلاد الشام ٠٠ هدأت الاحوال بعدهما فى كل من مجـــدو ، وقادش ٠ وهاتان الحملتان سارتا الى الشرق عبر الطريق الحربى العظيم فى شـمال سيناء ، وهو الطريق الساحلى ٠

ورمسيس الثانى أيضا اتخذ نفس المسار فى حملات دفاعية، أهمها الحملة الكبرى فى عام ١٢٨٨ ق٠م٠ ويقال ان رمسيس قام بعدة حملات عبر سيناء ٠٠ خلال خمسة عشر عاما ٠٠ وأهم المعارك التى خاضها هى (معركة قادش) الشهيرة والتى اشترك فيهـــا بنفسه ٠٠ الى أن وضعت الحرب أوزارها ، وعقدت أول معـاهدة ســلام فى العالم بين رمسيس الثانى وخاتوسيلى ملك الحيثيين حوالى عام ١٢٦٩ ق٠م٠ ومعـركة قادش من المعـارك الكبرى فى التاريخ ، والتى سجلها رمسيس الثانى على جـــدران معـبدى ابو سمبل ، جنوب مصر ٠

اما رمسيس الثالث (١١٨٤ ــ ١١٥٣ ق٠م٠ فقد عبر سيناء قبل ان يعبرها غزاة تكتلوا ضد مصر ، فكان أن هزمهم برا وبحرا . ورمسيس الثالث قال : « اننى بعثت برجال البلاط والحكام الى أرض الفيروز (سيناء) ، الى أمى حتحور سيدة الفيروز » .

وبعد رمسيس الثالث ، جاء ملوك ضـــعاف ، اذا استثنينا منهم الاسرة الواحدة والعشرين ٠٠ وقد عاصرت هذه الاسرة مملكة اليهود فى جزء من فلسطين تكونت بعد خروج النبى موسى ٠ وهذه المملكة بعد وفاة سليمان انقسمت الى مملكتين هما : مملكة يهوذا، ومملكة اسرائيل ٠ وقد دب الشقاق بين المملكتين ٠٠ ووافق ذلك هجوم (سيشنق) على مملكة يهوذا ، وسار الى أورشليم ودمرها ، وقضى على المملكتين معا ٠

● ● ●

هددت مصر أيضا ٠٠ شعوب (هندو ــ أوروبيـــة) ، وهى

شعوب كما وصفت كانت تواقة إلى سفك الدماء . وكانت مثل الهكسوس تستخدم عربات ثقيلة تجرها الخيول . وقد اغارت هذه الغزوة - أو الهجرة بمعنى أصح - على جزيرة كريت فى نفس الفترة ، أى فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وقد هاجمت مصر من حدودها الشرقية وحدودها الغربية أيضا . وهذه الغزوة المزدوجة جاءت فى أواخر عصر رمسيس الثانى ، وأوائل عهد ابنه (مرنبتاح) .. الذى يقال انه فرعون الخروج . ويقال انها جاءت أيام (سبتاح) ١٢٢٠-١٢١٤ قبل الميلاد . وكان الغزاة كثيرو العدد ، حتى أن المصادر وصفتهم (يشبهون الجراد فى كثرة عددهم) .

وكما أزاح المصريون الهكسوس ، أزاحوا هذه الغزوة عبر معارك طاحنة ومتواصلة . وتعقب المصريون فلولهم الى الشام التى كانت داخلة ضمن الامبراطورية المصرية . هذا من ناحية الشرق . أما من ناحية الغرب فقد التحم معهم المصريون فى عدة معارك ، وبلغ القتال غايته فى الشدة والعنف .. ويقال انه بعد معركة استمرت ست ساعات (قتل المصريون وأسروا عشرة آلاف من هذه الشعوب الهندو - أوربية »

ثم تأتى من المعبر الشرقى - سيناء - غزوة جديدة هى الغزوة الآسيوية وكانت دولة آشور قد ظهرت دولة فتية فى بلاد ما بين النهرين ، فى أواسط آسيا . وهذه الدولة بدأت نفوذها غربا وجنوبا .. حتى سيطرت على الشام ومدت بصرها الى مصر ، فى عهد مكلها (شالمنصر الثانى) ، الذى زحفت جيوشه حتى وصلت الدلتا عدة مرات . ولكنه فى كل مرة كانت تصده الجيوش المصرية .

وفى عهد الملك الآشورى (سرجون الثانى) ، أيام الاسرة الثالثة والعشرين الفرعونية عام ٧٢٢ ق.م. زحف سرجون بجنده الى مصر ، ووصل الى مدينة رفح ، حيث التحم بالجند المصرية ، والحق المصريون بالآشوريين هزيمة فادحة .

لكن دولة آشور لم تيأس ، خاصة وأن الامور فى مصر بدأت تنهار • وقد جاء الملك الاشورى (آشور أفى) الى مصر ووصلت جنده الى الدلتا عام ٦٧٤ ق•م • ومع ذلك فان غزوته انهارت على صخرة المقاومة المصرية . وبعد ثلاث سنوات كرر الاشوريون الغزوة فى عهد الفرعون النوبى (طهارقا) – الاسرة الخامسة والعشرين – وقد استطاع الآشوريون أن يثبتوا أقدامهم فى البلاد• وانسحبت جيوش فرعون مصر الى طيبة ، وكان قد اتخذ عاصمته (نباتا) فى الجنوب • وظلت الجند الاشورية فى مصر الى أن استطاع المصريون تحرير بلادهم من الاعداء ... لكن ، ما لبث الآشوريون فى عهد ملكهم (آشور بنى بعل) ان عاود الكرة واحتل مصر •

وهنا تبدأ حرب تحريرية جديدة بزعامة الفرعون المصرى (نخاو) ، من الاسرة السادسة والعشرين • وحين مات نخاو ، استمر الجهاد فى عهد خلفه ، حتى أن المصريين احرزوا بعض الانتصارات .. الى استطاع (أبسمايتك) ان يحرر البلاد عام ٦٤٠ ق•م •

لكن لم يكد أبسمايتك ينتهى من الآشوريين ، حتى هدد الفرس مصر ، وبدأوا يهاجمونها فى عهد (قمبيز) ، وكانت مصر فى حالة فوضى واضطراب مما سهل احتلال الفرس لمصر ، لكن بعد عدة معارك طاحنة ، انسحب الفرس فى أول الامر •

وبالرغم من انسحاب الفرس ، وبالرغم أيضا من رسالة قمبيز الى فرعون مصر يطالبه بالتسليم والخضوع – وهى رسالة شهيرة فى التاريخ – فقد رفض المصريون التهديد ، ودارت معارك فى سيناء فى كل من غزة ، وبلوزيوم عام ٥٢٥ ق•م• ، انتهت بالهزيمة المصرية ، وتحويل مصر الى ولاية فارسية ، وكون الفرس الاسرة السابعة والعشرين •

على أنه خـــلال الاحتــــلال الفارسى لم تخفت المقاومة ، بل قامت عدة ثورات تحريرية فى مصر أنهكت العدو ٠

وكانت الثورة الاولى فى عام ٤٨٦ ق٠م ٠ فى عهـــد الملك الفارسى دارا الاول ٠ وقد نجحت هذه الثورة فى البداية ، لكنها أخفقت بعد أن سير الملك الفارسى (اجزركسيس) ، الذى خلف دارا ، جيشا كبيرا ، زحف به على مصر عام ٤٨٤ ق٠م٠ ولم يحتل البلاد الا على جثث المصريين واشلائهم ودمائهم ٠

أما الثورة الثانية فكانت فى عهد الامبراطور ـ أو الملك ـ الفارسى (ارتاجزركسيس) ٠

وفى البداية أنزل المصريون الهزيمة بالفرس عند بلوزيوم ٠ لكن نصر المصريين لم يستمر طويلا ٠ فلقـــد جهز الملك الفارسى الجيوش والاساطيل وزحف بها على مصر ٠ وقيل أن أسطوله بلغ ٣٠٠ سفينة حربية ، واستطاع أن ينتصر على المصريين وحلفائهم اليونانيين أعداء الفرس ٠

أما الثورة الثالثة ، فكانت فى عهد الامبراطور دارا الثانى ، فى عام ٤٢٤ ق٠م٠ وقد تزعم هذه الثـورة الامير المصرى (أمير تاوس الثانى) ٠ وهـــــذا الامير المصرى انتصر على الفرس عام ٤٠٤ ق٠م٠ وأسس الاسرة الثامنة والعشرين ٠

وقد شهدت مصر هدوءا استمر نحو سبعين عاما ،حكمت فيها الاسرات المصرية ، الثامنة والعشرون ، والتاسعة والعشرون ، والثلاثون . لكن فى عهد الامبراطور الفـــارسى (أرتاجزركسيس أوخوس) ، وكان فرعون مصر فى ذلك الوقت (نقتنا نبو) ٠٠ هاجم الفرس مصر عام ٣٣٢ قبل الميـــلاد ٠٠ واحتلوها ، وأنهوا الاسرة الثلاثين ٠ وظلوا على احتلالها ، حتى انتهى الفرس فى مصر، بدخول الاسكندر الاكبر مصر عام ٣٣٢ ق٠م ٠

● ● ●

ظل اليونان بمصر من عام ٣٣٢ الى عام ٤٨ ق.م.وهذه الفترة

تعرف فى التاريخ ، بفترة الحكم البطلمى لمصر ، والتى كان آخر ملوكها الامبراطورة الشهيرة كليوباترة ٠٠ كما كان أول ملوكها بطلميوس الاول ، المشهور باسم (بطلميوس سوتير) ٠٠ أو بطلميوس المنقذ ٠

وتفصيل ذلك أن نجم مملكة اليونان بدأ يلوح فى الافق ٠ وبدا أن اليونان يريدون الانتقام من الفرس ، الذين كانوا قد غزوا (مقدونيا) ٠ وقد استطاع الاسكندر الاكبر بعد أن قويت مملكة اليونان فى عصر أبيه (فيليب) ٠٠ أن ينتصر على الفرس٠ ثم عبر بقواته آسيا الصغرى ، وزحف على الشام ٠ وحاصر صيدا سبعة أشهر حتى وقعت فى قبضته وأزاح عنها الجيوش الفارسية٠

ثم زحف الاسكندر الى مصر عن طريق سيناء بجيش برى وكذلك بجيش بحرى ، ووصل الى بلوزيوم ، حيث هزم الفرس ، ودخل مصر ٠

ومما يذكر أن المصريين رحبوا بالاسكندر الاكبر وقواته ٠ وكانت للاسكندر الاكبر فى مصر صفحات وضيئة ، حيث احترم معتقدات المصريين التى لم يحترمها الفرس ٠ بل انه زار معبد آمون فى واحة سيوه ، وقدم القرابين ، وسأل الوحى — أو النبوءة — هناك عن مصيره ومستقبله ٠ وكانت نبوءة آمون فى سيوه احدى ثلاث نبوءات فى العالم القديم ، فى كل من جزيرة دلفى وجزيرة دودونا ٠

المهم أن الاسكندر بعد أن غزا مصر تركها لاحد قواده وهو بطلميوس ، بينما ترك الشام فى يد قائد آخر من قواده ، وهو القائد « سلوكوس » ٠

وقد شهدت مصر مصر فى عهد البطالمة استقرارا لم تشهده منذ فترات طويلة ٠٠ كما شهدت الاحترام لآلهتها ، بل ان البطالمة جندوا المصريين فى جيشهم ، واعتبر المصريون البطالمة حكاما مصريين ٠

وفى عهـد بطلميوس الاول تعـــرضت مصر لهجومين من السلوقيين عبر سيناء ، يصد البطالمة أولهما عند بلوزيوم ، والثانى على مقربة من غزة ٠

كما أنه فى عهد بطلميوس الرابع تتعـرض مصر لغزوة عن طريق سيناء ، ويهزم عند الغزاة رفح فى عام ٢١٧ ق.م. ومعركة رفح هذه كانت من أشهر معارك التاريخ القديم ٠

وفى عهد بطلميوس السادس تتعرض بلوزيوم لغزوات ثلاث ٠٠ وتسقط المدينة فى سيناء فى يد الغـــازى عام ١٧٠ ق٠م٠ ويجلو العدو عنها ، ثم يأتى اليها عام ١٢٩ ق٠م٠ وتقاوم فيتقهقر العدو وينسحب ٠ وفى عام ١٠٢ ق٠م٠ يحاول العدو مرة أخرى الغزو عبر سيناء ، لكن قوات مصر تسبقه الى بلوزيوم وتجبره على الانسحاب ٠

ولقد تأكد للغازى السلوقى أن المجىء عبر سيناء مســألة صعبة بل مستحيلة ، ولذلك فقد تغيرت الخطط العسكرية لغزو مصر ، فبدلا من ان تكون عبر سيناء ، جاءت عن طريق البحـــر المتوسط . ولقد ظلت الغزوات تهدد مصر الى عام ٤٨ ق.م. حيث منيت مصر بالاحتلال الرومانى ٠

وفى عصر الرومان يخبو نجم سيناء قليلا ٠ فقد نافســها صحراء الاردن والشام ٠

لكن سيناء استعادت أهميتها أيام البيزنطيين ، أى الدولـة الرومانية الشرقية ٠٠ بينما نافست مدن أخرى بلوزيوم ، ومنها (أوستراكينا) ٠٠ التى كانت تبعـــد ٢٤ ميلا غرب العريش . وكانت العريش تسمى فى العصر الرومانى باسم (رينو كورورا)

وقد جعل الرومان لاوستراكينا أهمية استراتيجية ، لقيامها على مفترق الطرق ، التى تؤدى الى مصر عبر ســـيناء ٠ واهتم

الاباطرة الرومان بهذه المدينة، ومنهم الامبراطور جوستنيان ،الذى اهتم الامبراطور بمنطقة دير سانت كاترين ، التى اهتـم بها من قبله الامبراطور قسطنطين ٠

ويقال ان الامبراطور جوستنين هو الذى أقدم على مشروع حيوى لتحصين مصر والدفاع عنها ضد الاخطار الشرقية ، خاصة الفرس ٠ وقد حصن مداخل سيناء ٠ ومن أجل ذلك شـــيد عدة حصون وقلاع ٠ كما ينسب هذا الى الامبراطور بنـــاء عدة نقط حراسة على رؤوس التلال الهامة بين العريش ونخل ، وعند مضيق جبل المغارة .

وهذا يعنى أن الاهتمام الرومانى بسيناء تكثف فى الداخل والوسط اكثر ما منطقة الطريق الحربى العظيم المطل على البحر المتوسط والذى كان الرومان يسيطرون عليه ويسمونه بحرنا «Mari Nostrum»

الفصل الثـانى

سيناء العرب ٠٠ والاســلام

قبل أن تبزغ شمس الاسلام على شبه جزيرة ســـيناء ، وفي فترة الحكم البطلمى لمصر ، انتشرت بعض الشعوب المعروفة بالنبط في المنطقة الممتدة من شمالى المدينة المنورة الى منطقة جنوب سورية، ثم انتشروا في شبه جزيرة ســـيناء • وكان النبط قوم يعملون بالتجارة ، وقيل أن أهم ما كانوا يوردونه الى مصر الفرعونيـــة هو مادة القار ، الذى كان يستخدم فى عمليات التحنيط . وهذا يعنى ان النبط ظهروا فى المنطقة ، ربما قبل لعصر البطلمى بكثير (٥)

لكن فى عهد الحكم البطلمى لمصر ، ساعد النبط البطالمة ضد محاولات غزو مصر من ناحية ملوك سورية وآسيا الصغرى •وهؤلاء النبط تركوا نقوشا كثيرة فى سيناء ، وانتشرت كتاباتهم على مضايق جبالها •

والنبط قوم رحل ، وصفهم ديودور الصقلى ــ كما جاء فى كتاب سيناء لابراهيم أمين غالى ــ قوم أقسموا فيما بينهم على التمسك بحياة البداوة الى الابد • وسيناء لعبت دورا هاما فى الحضـارة النبطية ، حيث كانت بالنسبة لهم معبرا تجاريا • وتركوا فيها نقوشا كثيرة ، ظنها البعض انها من آثار بنى اسرائيل عند خروجهم من مصر .لكن فى القرن الثامن عشر ، دلت الكشـــوف أنها ليست من آثار بنى اسرائيل • ثم جاء السير فلندرز بترى ، واكتشــــف ما يسمى بالنواميس ، واثبت ان هذه النواميس تسبق الخروج بعدة قرون، وأنها آثار نبطية • بل ان بالمر الذى زار سيناء عام ١٨٧٠ عثر على مساحات كانت مزروعة أيام النبط ، كما اكتشف خلجانا على بعض التلال مبنية من الحجارة ، واتضح أن المنطقة كانت تزرع بنظـــام هندسى وزراعى متقدم على نظام بلاد العرب السعيدة (١٠) أو اليمن الآن .

وعاصمة النبط كانت هى مدينة البتراء • وكان للنبط طرق وقوافل تربط سيناء بالعاصمة البتراء • ومن هذه الطرق ، طريق يوصل ما بين غزة والبتراء عن طريق النقب • وقد مده الرومان حتى أيله ، أى السويس الحالية • كما كان هناك طريق يوصل الى أيله

عن طريق وادى فيران ، ثم يتوغل الى الداخل حتى فيران ، مارا بجبل موسى وكاترينا . وكان هذا الطريق من أهم الطرق لتبادل التجارة ومرور القوافل . وقد قيل أن الاسرائيليين فى عام ١٩٥٦ عثروا على حصن من عصر النبط ، حيث كان النبط يعبرون البحر بتجارتهم على طول الساحل فى المناطق الحالية للطور وأبو زنيمة.

والواقع أن للنبط بصمات فى سيناء تدل عليهم . فقد حبسوا المياه ووزعوها توزيعا مفيدا ، وتمكنوا من تخزين مياه الامطار أثناء فصل الشتاء . والآثار التى تم العثور عليها تذكر أنواع المحصولات من القمح والشعير وخضروات الحقول ، والكرم والتين والبلح . بل ان الحبوب كانت تنتج أكثر من وزن التقاوى المبذورة سبع مرات .

ومن خلال البحث الميدانى بواسطة الجو ، لدراسة الطبوغرافية ، بعد الحرب العالمية الاولى .. تبين أن النبط لم يتركوا التلال دون تحويلها الى مدرجات كالسلالم لزراعتها ، كما لم يهملوا أية امكانية لتحويل السهول الى حدائق وبساتين، حددت مساحاتها بحوائط من الحجارة .

ولم يهتم النبط كثيرا باقامة خزانات مياه . وجهوا همهم الى المدرجات على جوانب الجبال . وهذه الطرق ساعدتهم على التعامل الجيد مع مياه الامطار . هذا فضلا عن أن النبط كانوا فى الغالب يحفظون المياه فى صهاريج منقورة فى الصخور .

وهذا الاهتمام بالمياه والزراعة كان اهتماما بالدرجة الاولى لتوفير واحات خضراء ، لترغيب التجار المسافرين عبر هذه الطرق . فهى كانت محطات للعبور بالتجارة ، ومن فرض الرسوم على القوافل . ولهذا حققت مملكة النبط دخلا كبيرا من تجارة القوافل .

ومن أجل هذا الدخل الكبير .. كان الحسد ، حتى قيل أنه فى أواخر العصر البطلمى ، حققت كليوباترة على ثراء النبط ،

ودفعها ذلك الى الضغط على حبيبها مارك انطونيو ، لكى يكسر احتكار النبط لتجارة القوافل ٠

وحين احتل الرومان مصر دارت بينهم وبين مملكة النبط عدة حروب ٠ فالمؤرخ سترابون يذكر أن الامبراطور الرومانى أغسطس فى عام ١٨ ق.م. جرد حملة بقيادة واليه على مصر (أيليوس جاللوس) لغزو جزيرة العرب ، واستعان فى حربه بوزير نبطى اسمه (سيلوس) ٠ وقد استمرت الحملة الرومانية مدة سنتين ، خدع فيها الوزير النبطى الرومان ، ولم تحقق الحملة هدفها ، مما أساء العلاقة بين الرومان والنبط ٠ وقيل كذلك أنه على أثر ذلك دارت حروب طويلة بين هيردوس الرومانى ، والملك (مالك) النبطى ، وأن هذه الحروب لم تثمر شيئا ٠

على أن دولة النبط انهارت أيام الامبراطور الرومانى تراجان، الذى غزا البتراء ، واستولى عليها ، فى عهد آخر ملوك النبط ، واسمه « مالك الثالث » (١) ٠ ومنذ ذلك الوقت انهارت دولة النبط ، وقضى الرومان على احتكارهم التجارى ٠ فقد كانت تجارة الهند تنقل الى عدن ، ثم الى الحجاز ، ثم الى البتراء ... ومن البتراء كانت تذهب الى مصر وفلسطين ، وسورية ٠

وبعد انهيار دولة النبط ، قامت فى أواسط القرن الثالث الميلادى مملكة تدمر فى بادية الشام ، وهى التى أعلنت الحرب على الرومان فى عهد ملكتها زنوبيا ٠ وهذه الملكة احتلت مصر ، مدعية أنها وارثة لكليوباترا ومن سلالتها ٠ لكن جيوش الامبراطور الرومانى (أورليان) هزمتها شر هزيمة ، مما كان سببا فى بروز أمراء الحيرة ، الذين أخذوا – بعد سقوط تدمر – يلقبون أنفسهم بلقب (ملوك كل العرب) ٠٠ كما يظهر جليا فى لوحة امرىء القيس عام ٣٢٨ للميلاد ، وهى موجودة فى متحف اللوفر بباريس ٠ ونص هذه اللوحة كما أوردها كتاب ابراهيم أمين غالى ، كالآتى :

---

(١) الامبراطور تراجان اشتهر بسياسته التى تهدف الى ضم الاراضى للامبراطورية ، والاكثار من بناء المدن ٠ راجع كتاب « تاريخ الامبراطورية الرومانية الإجتماعى والاقتصادى » تأليف م. رستوفتزف ، ترجمة زكى على ومحمد سليم سالم – الجزء الاول ص ٤٢٢ – القاهرة فى ١٩٥٧ ، الناشر مكتبة الانجلو ٠

« هذا امرىء القيس بن عمرو ، ملك جميـــع العــــرب ، والذى ضرب نجـــران مدينـــة شـــأمر ، وأرضخ قبيلــــة مصر .. الذى تقلد التاج ، وأرضخ بنى أسد،وقبيلة نظار وملوكهم وهزمهم فهو الذى يودع بين أولاده القبائل بين الفرس والرومان ، ولم يصل قط ملك حتى اليوم الى عظمته » .

وكانت سيناء فى تلك الحقبة مساحة استراتيجيـــة حاميـــة للولاية الرومانية فى مصر . وكان ســقوط البتراء ، وتدمر - وهى ممالك عربية بالطبع - دافعـــا الى أن تتحول سيناء الى منطقة مهجورة ، خاصة بعد ان سحب الامبراطور الرومانى (فالنس) حاميته منها .. وان كانت سيناء لم تفقد حقيقتهـــا كمعبر من خلال طرقها التاريخية ، وخاصة الطريق الساحلى ، أو الطريق الحربى العظيم .

والدليل على أن سيناء لم تعد لها الاهمية مثلما كانت من قبل ، انه انتشرت فيها الرهبنة فى هذه الفترة ، فرارا من الاضـــطهاد الرومانى .. وقد ظلت على ذلك حتى أيام الامبراطور جوستنيان ، الذى بنى حصنا يحمى الرهبان .. ضمن حصـــون أخرى أقامها ، لان سيناء ظلت الطريق الحيوى المؤدى من البحر الاحمر الى البحر المتوسط .

وقد ظلت هذه الحصون قائمة .. حتى ظهرت فى التاريخ الجيوش العربية ، تلك التى قوضت الامبراطوريتين .. الرومانية والفارسية فى المنطقة .

● ● ●

دخل العرب المسلمون مصر من الطريق التاريخى ، وهو طريق الفرما أوبلوزيوم . وهذا الطريق ، هو اقدم الطرق بالطبع بين مصر والشام ، وكان يسمى بالطريق الملكى . وهذا الطريق كان يبدأ من مدينة (زالوا) فى مديرية الشرقية . وكان الخارج من زالو قاصدا الشام يخترق أرضا يغمرها النيل ســـتة أشهر - كما قيل - ثم

ينحرف شرقا ، ويسير ما بين البحر المتوسط وبحيرة (سربونيوس) ـ أى البردويل ـ وعند منتصف البحيرة على شاطىء البحر يجد (تل القلس) الشهير ٠

اما من يخرج من فلسطين متجها الى مصر ، فقد كان يبدأ رحلته من الرملة ، ثم غزة ، فرفح ، ثم العريش ٠ ورفح كانت الحد الشرقي المصرى بين مصر والشام ، كما كانت (آيله) على خليج العقبة هى نهاية حدود مصر مع الحجاز ٠

وحين ذهب عمرو بن العاص يريد فتح مصر عام ١٨ الهجرى ـ ٦٣٩ الميلادى ، كان الخليفة عمر بن الخطاب يخشى عواقب ذلك٠ وفى كتاب (فتوح مصر) لابن عبد الحكم يروى حكاية تدل على أن حدود مصر كانت عند رفح ٠

ويقول ابن عبد الحكم : أن الخليفة عمر بن الخطاب بعث الى عمرو بن العاص بكتاب وهو فى طريقه الى مصر ، يقول فيه : (أما بعد ، فان ادركك كتابى هذا وأنت لم تدخل مصر ، فارجع عنها ٠ أما ان كنت دخلتها أو شيء من أرضها فامض وأعلم ممدك) (١) ٠

ويقولون أن عمرو بن العاص التفت الى من حوله وقال :

(أين نحن يا قوم ؟ ٠ فقالوا : فى العريش ٠ فقال : وهل هى من أرض مصر أو الشام ؟ ٠٠٠ فأجابوا : أنها من أرض مصر، وقد مررنا بعمدان رفح مساء الامس ٠ فقال : هلموا بنا اذن ، قياما بأمر الله وأمير المؤمنين) ٠

ويؤكد كذلك أن حدود مصر الشرقية كانت تمتد الى رفح ، ما جاء فى (تقويم) البلدان لابى الفدا : (أن حد ديار مصر الشمالى بحر الروم من رفح الى العريش ، ممتدا على الجفار الى الفرما ، الى الطينة ، الى دمياط ، الى ساحل رشيد الى الاسكندرية، الى ما بين الاسكندرية وبرقة) ٠

---

(١) سنفصل ذلك فى فصل قادم ٠

ويقول بعض المؤرخين أن دخول رفح والعريش ، لم يكن أول اتصال بين الاسلام وسيناء .. فهناك «عهد» أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم الى أهل آيله عام ٦٢٨-٦٢٩ ميلادية . وعند الفتح الاسلامى وقع امتزاج كبير بين قبائل العرب القادمة وسكان سيناء من البدو .. على اعتبار أنهم ينتمون الى جنس واحد ، حتى ان جيوش المسلمين لم تصطدم بأية حركة مقاومة تذكر .

وقد ظلت سيناء بعد الفتح الاسلامى ، الطريق الاساسى الموصل بين البحر الاحمر والبحر المتوسط . كما أنها ظلت طريق الحج الى مكة المكرمة . وكان الحجاج يذهبون فى قوافل مدعمة بالحراس المسلحين . وقد كان أول طريق للحج فى صدر الاسلام هو طريق عيذاب . فكان الحجاج يركبون النيل من ساحل الفسطاط الى مدينة قوص فى الصعيد ، ثم يتوجهون بالابل الى البحر الاحمر مخترقين صحراء عيذاب ، ثم ينزلون الى جدة .. وذلك قبل أن يصبح الطريق عبر سيناء هو الطريق الرئيسى .

● ● ●

عبوران حدثا بعد عمرو بن العاص ، وان كانت سيناء كانت دائما معبرا للذهاب والمجىء أيام الخلافة الاموية ..

والعبوران حدثا فى عصر أحمد بن طولون ، والى مصر من قبل العباسيين . فحين أراد أحمد بن طولون ضم الشام الى مصر ، شاهدت سيناء جيش ابن طولون عام ٨٧٨ م . أما العبور الثانى فكان عام ٨٨٣ م . لمعاقبة لؤلؤ عامله على الشام .

ثم شهدت أيضا سيناء عبورين آخرين فى عصر الدولة الاخشيدية ، التى خلفت الدولة الطولونية على مصر . والعبور الاول لسيناء حين سير الاخشيد جيشا لمحاربة محمد بن رائق حاكم فلسطين ، الذى حاول غزو مصر من قبل الخليفة العباسى الراضى بالله .. لكن الجيشين تصالحا فى الفرما . وقد حاول محمد بن

رائق مرة أخرى غزو مصر ، فأسرع الاخشيد لملاقاته بالقرب من العريش ، وهزمه عام ٩٣٩ ميلادية ٠

وفى عصر دولة الفواطم ٠٠ كان عليهم لكى ينشروا دعوتهم ويؤكدوا دولتهم ويؤمنوها من فلول الاخشيديين ، فيقود جعفر بن فلاح جيشا فاطميا ليطارد الفارين ، عبر سيناء ٠

على أن دولة الفواطم لها مع سيناء تاريخ طويل ، وكذلك مع دير سانت كاترين ، سنتحدث عنه فى حينه ٠

وسيناء لها ذكريات حافلة مع الصليبيين ٠٠

لقد ظلت شبه الجزيرة هادئة ٠٠ والطريق التجارى ،وطريق الحج أيضا ٠٠ الى أن بدأت الحروب الصليبية ، بعد أن وقع الغزو الصليبى على الشام ، وأنشئت دويلات مسيحية هناك ٠ فى هذه الفترة تجددت أهمية سيناء الاستراتيجية كباب شرقى لمصر ، وحصن منيع يحمى الدلتا ضد الغزو ٠

وقد بدأ الصليبيون غزوهم عبر سيناء عام ١١١٧ – ١١١٨ الميلادى ٠٠ ففاجأ بلدوين الصليبى مدينة الفرما بالهجوم ، وأصاب منها – كما يقول أبو المحاسن فى (النجوم الزاهرة) – (غنيمة وافرة ، وحرقها ، وذبح معظم سكانها) ٠٠ لكنه – أى بلدوين – سرعان ما أمر رجاله بالانسحاب الى الشرق ، وسرعان ما وافته المنية عند العريش ، بعد أن داهمه المرض ٠ وفشلت بذلك أول حملة صليبية على مصر من طريق رفح – الفرما ٠٠وهو الطريق الذى سلكه العرب لفتح مصر ٠

وفى عام ١١٥٣ هجمت حملة صليبية أخرى على مصر عبر سيناء ، من طريق الفرما ٠ وهذه الغزوة لم تتجاوز صان الحجر الحالية فى الشرقية ، وعادت هذه الحملة من حيث جاءت ٠

وفى عام ١١٦٢ الميلادى آلت الى أمورى الصليبى مملكة بيت

المقدس ، وأراد غزو مصر بعدما ساءت فيها الحالة من جراء الصراع بين الوزيرين شاور وضرغام ، وبالفعل عبرت جيوش أمورى الى سيناء عام ١١٦٣ ، حيث وصلت بلبيس ، لكنه تقهقر حين فتح ضرغام سدود النيل وفاضت المياه . ثم تأتى جيوش أسـد الدين شيركوه ، نيابة عن قائده نور الدين عبر سيناء ، حيث وصـل بجيشه الى تل بسطة (قرب الزقازيق) فى مايو ١١٦٤ .. لكن جيوشه عادت ، وعادت أيضا جيوش أمورى ، بعدما حدث بينهما عدة اشتباكات . وكانت جيوش شيركوه قـد أخذت الطـريق الاوسط فى مسيرتها فى صحراء التيه .

وكما يقول الدكتور سـعيد عبد الفتاح عاشور فى الجزء الثانى من كتابه (الحركة الصليبية) :

« خرج نور الدين والصليبيون جميعا من تجربتهم العملية فى أرض مصر ، بفكرة واضحة عن مدى ثروة البلاد وضعفها الشديد، حتى بدا لهما أن الاستيلاء عليها يمثل الهناء دون العناء » .

ويذكر أبو المحاسن فى « النجوم الزاهرة » .. أن أسد الدين شيركوه الذى ارسله نور الدين ، غادر مصر (وهو فى غاية من القهر) . كما يذكر ابن الاثير فى كتابه (الكامل) ، فى حوادث سنة ٥٦٢ هجرية : « أن شيركوه (بعد عوده منها لا يزال يتحدث بها ويقصدها ، وكان عنده من الحرص على ذلك كثير) » .

وعبرت سيناء حملة ثانية لنور الدين فى ينـاير ١١٦٧ م بقيادة أسد الدين شيركوه ، وكان معه ابن أخيه صلاح الدين . وقد استنجد شاور بأمورى الصليبى ، الذى أسرع عبر سيناء فى نهاية يناير ١١٦٧ م . ليغزو مصر بجيوشه وقد سار جيشه من غزة الى العريش ، ثم الى صحراء بلبيس ، الى الضفة الشرقيـة للنيل ، بينما كانت جيوش شيركوه فى الجيزة أمام الفسطاط . وبعد أن حدثت بين الجيشين معارك .. اتفق الصليبيون وأسـد الدين شيركوه على الجلاء عن مصر .

لكن عمورى — وهو عمورى الاول — هاجم مصر عبر سيناء ، بعد أن قوى الروابط بينه وبين الامبراطورية البيزنطية · وهجم عمورى على مصر عبر سيناء الى أن وصل بلبيس فى أول نوفمبر ١١٦٨ ، حيث حاصرها واستولى عليها عنوة ، وقتل من أهلها خلقا عظيما ·· كما يقول المؤرخ أبو شامة فى كتابه « الروضتين فى أخبار الدولتين » · ثم اتجه الصليبيون الى القاهرة ·

وهنا كما يقول ابن الاثير : « ان أهل القاهرة عزموا على المقاومة . هذا فى الوقت الذى وصل فيه الاسطول الصليبى الى بحيرة المنزلة ، وبلدة تانيس » .

وهنا تأتى جيوش نور الدين محمود بقيادة شيركوه ومعه صلاح الدين عبر سيناء ·· مما اضطر الصليبيين الى الانسحاب فى يناير ١١٦٩ .. وكما وصفهم ابن الاثير فى حوادث ٥٦٤ هجرية « عايدين الى بلادهم بخفى حنين خايبين مما أملوه » . وقد دخل شيركوه وصلاح الدين الى القاهرة دخول الظافرين ، ثم مات شيركوه فى ٢٣ مارس ١١٦٩ ميلادية ، فخلفه صلاح الدين ، وولاه الخليفة العاضد الفاطمى الوزارة ·

● ● ●

إن نجاح نور الدين فى ضم مصر الى دولته فى دمشق ، خلق فى محيط الصليبيين ، بالشام جوا جديدا من القلق والرعب ، بعد أن أحسوا أنهم وقعوا بين شقى الرحا ، وأن القوات الصليبية أحاطت بمملكة بيت المقدس الصليبية من الشمال الشرقى والجنوب الغربى ·· هذا — وكما يقول د· سعيد عاشور — الى أن سيطرة نور الدين وقائده صلاح الدين على القواعد البحرية فى شمال مصر مثل الاسكندرية ودمياط وغيرهما من موانى الدلتا ، من شأنها أن تسلب الصليبيين سيادتهم البحرية ·

ونتيجة لذلك ، استنجد عمورى بامبراطور بيزنطة

ليساعده فى غزو مصر. وبالفعل ارسل الامبراطور البيزنطى اسطولا كبيرا فى عام ١١٦٩ وصـــل الى عكا لرســم الخطه لغزو مصر بالاشتراك مع الصليبيين • وفى الوقت الذى اقلع فيه الاسطول البيزنطى صوب دمياط ، زحف الصليبيون فى ١٦ أكتوبر ١١٦٩ برا من عسـقلان الى الفرما مرورا بســيناء ، ومن الفرما الى دمياط ، ومعهم — كما يقول ابن واصل فى كتابه « مفرج الكروب فى اخبار بنى ايوب » : (المنجنيقات والدبابات وآلات الحصار وغير ذلك) • لكن هذه الحملة لم تنجح وانسحب الصليبيون وحلفاؤهم البيزنطيون من امام دمياط . وقـد وصـف المؤرخ ابن الاثير عودتهم : فوصفهم بالنعامة التى خرجت تطلب قرنين ، فرجعت بلا أذنين » ..

ثم بدأت المعارك تتجه من مصر الى الصليبيين عبر سيناء . ففى أوائل ديسمبر ١١٧٠ ميلادية خرج صلاح الدين لمهاجمة قلاع الصليبيين على شواطىء فلسطين ، وبدأ بحصار قلعة (الداروم) جنوبى غزة ، ثم حاول الاستيلاء على غزة نفسها ، لكنه لم يستطع بسبب دفاع عمورى عنها •

وذهب صلاح الدين الى ميناء (آيله) — على خليج العقبة — فبنى كثيرا من السفن وحمل أجزاءها على الجمال عبر سيناء حتى البحر الاحمر — خليج العقبة — وهناك ركبت السفن واخـــذ صلاح الدين يهاجم آيله برا وبحرا فى نهاية ديسمبر ١١٧٠ ميلادية، سقطت المدينة فى يده ، واقتيد افراد حاميتها أسرى الى القاهرة .

وكما يقول ابن الاثير : « ان صلاح الدين لم يعد الى مصر الا بعد أن أنزل الهزيمة بالصليبيين ، حتى أن عمورى أفلت من الاسر بصعوبة » •

ثم قام صلاح الدين بحملة أخرى فى أواخر نوفمبر ١١٧٧ على المراكز الصليبية على شاطىء فلسطين الجنوبى ، مثل الداروم وغزة • وكان قد سار عبر سيناء الى العريش • وبدأ منها الهجوم، وذلك أيام بلدوين الرابع •

لكن فى أواخر أيام بلدوين الرابع ، جاء أرناط وتولى مقاليد الامور فى الاردن الحاليه • وامتلك حصنى الكرك والشوبك • وهذان الحصنان لانا لا يتحكمان فى طريق الحجاج المسلمين الى الحرمين الشريفين فحسب ، بل أيضا فى الطريق البرى الرئيسى بين مصر ودمشق • ثم فى عام ١١٨١ أوغل أرناط على رأس قوة من رجاله ، فى صحراء العرب حتى تيماء ، وكانت تيماء هذه واحة لها أهميتها لوقوعها فى منتصف الطريق عبر الاردن والمدينـــة المنورة ، حتى وصفها صلاح الدين نفسه فى رسالته الى الخليفة العباسى بأنهـــا « دهليز المدينة المنورة » • وكان فى نية أرناط الزحف الى المدينة المنورة ذاتها (للاستيلاء على تلك النواحى الشريفة) ، كما يذكر ابن الاثير • لكن فرخ شاه ابن أخى صلاح الدين ونائبه فى دمشق أسرع لغزو الاردن مما جعل أرناط يعجل بالعودة •

ثم كانت آخر محاولات أرناط للاستيلاء على المدينة المنورة ومكة المكرمة ، ومحاربة الموانى المصرية ، وقطع طريق الحج ، وايقاف طريق التجارة عام ١١٨٢ ميلادية .

وقد انبرى المسلمون لارناط ، ونذر صلاح الدين دم أرناط كما يقول أبو شامة • وقد جاء ذلك اليوم الذى قضى فيه صـــلاح الدين عليه فى أوائل ١١٨٧ ، حينما انقض أرناط على قافلة متجهة من القاهرة الى دمشق وسلبها وأسر رجالها ، ويقال ان أختصلاح الدين كانت فيها •• وهذا أدى الى معركة حطين التى انتصر فيها صلاح الدين ١١٨٧ م •

ومما يذكر هنا أن صلاح الدين هو الذى أعاد ترميم طريق العريش وأصلحه بعد تخريبه عام ١١٦٥ م • واقـــام بقرب عين سدر قلعة عرفت باسم (قلعة الجندى) • كما أقام قلعة أخرى فى وادى الراحة . والثالثة بجزيرة فرعون على خليج العقبة .

وقلعة الجندى كانت تكشف المواقع التى يأتى منها الغزو عبر الطريق الملكى القديم وقد نقش على مدخل القلعة الآتى : (بسم الله

الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد ، خلد الله ملك مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، الملك يوسف ٠٠ العادل الناصرى ، فى جمـــادى الآخرة سنة ٣٨٥ هجرية) ٠

وفى الجهة الجنوبية للقلعة أقام صـــلاح الدين جامعين ، وصهريجا للمياه ٠٠ على مثال ما أنشىء فى جزيرة فرعون ٠ وفى عهد الملك العادل ، خليفة صلاح الدين ، حرص هذا الملك عـــلى العناية بالقلعة والجامعين ، فأرسل بعثة عام ١٢٠١ الميلادى للتأكد من حالتهما وترميمهما ٠

● ● ●

رفعت دولة المماليك لواء الجهـــاد ضـــد الصليبيين بعد الآيوبيين ٠

ولذلك فان الظاهر بيبرس ، استرد آيله عام ١٢٦٧ الميلادى من يد الصليبيين ، بعد ان كانوا قد احتلوها . وكانت دولة المماليك البرجية قد امتد نفوذها على الشام كله والحجاز ، وكونت مملكة كبيرة ، وصارت سيناء هى همزة وصل جناحى المملكة ، وطريق هام للتجارة والحج ٠

وجدير بالذكر أنه فى سيناء ، قد تم انقاذ العالم الاسلامى من خطر داهم آخر ، هو الخطر المغول ٠٠ عند مدينة (غزة) ٠٠

فقد كان التتار جيشا مثل النمل فى عدده ، كما قال أحـد المؤرخين المعاصرين ٠٠ وكانوا يستخدمون أسلحة حديثة ومتطورة لا قبل للعرب بها ٠ وقد زحفت جيوش المغول على الدولة العباسية فى عهد آخر الخلفاء العباسيين المستعصــــم بالله عـام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ٠ وهجموا على بغداد بقيادة هولاكو ٠ وفى أيام قليلة، أحرقوا بغداد ، وقتلوا الخليفة ، كما قتلوا النساء والشـــيوخ والاطفال ٠ وحرقوا مكتبة بغداد الزاهرة ، وألقوا بنفائسهـا فى

النهر ، ليعبر جيش المغول عليها • وكانت تسبق جيوش المغول دعايات نفسيه رهيبة •

وبعد أن استولوا على بغداد ، زحفوا الى دمشق ، ثم وصلت طلائعهم الى سيناء عند مدينة غزة • وكان يحـــكم مصر فى ذلك الوقت سيف الدين قطز •

وفي ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) أرسل هولاكو الى مصر خطابا كله صلف وجبروت ، استهدف منه المغول او التتار الى اخضاع مصر بالتهديد النفسى قبل العمل الحربى ••

والخطاب يقول :

(من ملك الملوك شرقا وغربا القائد الاعظم ، باسمك اللهم باســـط الارض ورافع الســماء • يعلم الملك المظفر قطز الـذى هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا الى هـــذا الاقليم يتنعمون بأنعامه ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك • يعلم الملك المظفر قطز وسائر امراء دولته واهل مملكته بالديار المصرية ، وما حولها من الاعمال ، أنا نحن جند الله فى أرضه ، خلقنا من سخطه، وسلطنا على من حل به غضبه • فلكم بجميع البـــلاد معتبر وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا الينـــا أمركم قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود اليكم الخطأ • فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن اشتكى • وقد سمعتم أننا قد فتحنــا البلاد ، وطهرنا الارض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ، فعليكم بالهرب ، وعلينا بالطلب • فأى أرض تؤويكم وأى طريق ينجيكم ، وأى بلاد يحميكم ... فما لكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص • فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال • فالحصون لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ودعاؤكم علينا لا يسمع ••))

ويختتم هولاكو الخطاب بقوله :

« أسرعوا برد الجواب ، قبل أن تضرم الحرب نارها ،وترمى نحوكم شرارها ، فلا تجدون منا جاها ولا عزا ،ولا كافياً ولا حرزا•

وتدعون منا بأعظم داهية ، وتصبح بلادكم منكم خالية ٠ فقد أنصفناكم اذ راسلناكم ، وايقظناكم اذ حذرناكم ، فما بقى لنا مقصد سواكم ٠ والسلام علينا وعليكم وعلى من أطاع الهدى ، وخشى عواقب الردى ، واطاع الملك الاعلى » ٠

حين يصل خطاب هولاكو مع رسله ، تتوحد الجبهة فى مصر ويقتل قطز رسل هولاكو ويعلقهم على باب زويلة ٠ ثم يبدأ فى التقدم بجيشه الى الصالحية ٠ وهناك يعهد الى بيبرس البندقدارى بأن يتقدم الى بلاد الشام مع فريق من الجند ليقف على أخبار العدو ٠ وسار بيبرس فى الطريق الحربى العظيم فى سيناء ٠وفى غزة اضطرت الحامية التى كان قد أرسلها هولاكو اليها ، الى الانسحاب ٠

والجدير بالذكر أن الجيوش المصرية الحقت الهزيمة بالتتار عند عين جالوت فى السادس من سبتمبر ١٢٦٠ م - الخامس والعشرين من رمضان ٦٥٨ هجرية ٠ وقتل كتبغا قائد التتار وحملت رأسه الى القاهرة ، وولى المغول الادبار ٠٠ كما يقول المقريزى ٠

والحقيقة ، وكما يقول المؤرخون ، أن يوم (عين جالوت) كان يوما عظيما ، لا فى تاريخ مصر والاسلام فحسب ، وانما فى تاريخ العالم كله ٠ ذلك أن هذا السيل المغولى المخرب كان ينذر باقتحام المغرب ، ولو اجتاح المغول مصر لاجتاحوا المغرب ووصلوا الى أوربا ٠٠ حتى ليقال أن موقعة (عين جالوت) لا تقل خطرا عن موقعة (شالون) التى هزمت فيها قبائل (الهون) قبل ذلك بثمانية قرون على يد القوط والرومان عام ٤٥١ ميلادية .. وكانوا قد اجتاحوا أوربا كلها ٠

بل ان « عين جالوت » انقذت الشرق الاسلامى من غزوة تترية أخرى للشرق ، بعد قرن ونصف من الزمان ، حين وصلت جحافل التتار ثانية الى الشام ٠

وكما يقول د. سعيد عاشور فان غزو المغول للشرق الاسلامى اتخذ طابع حملة صليبية ، تكسرت على صخرة مصر .. وقد ساعد الصليبيون فى فلسطين المغول فى غزوهم ، مثل بوهيمند السادس أمير انطاكية وطرابلس ، ومثل هيثوم الاول ملك أرمينية الصغرى .

● ● ●

فى عصر المماليك أيضا ، وأيام بيبرس .. كانت هناك جولات مع الصليبيين عبر سيناء . فقد وصل بيبرس من القاهرة على رأس حملة كبيرة الى غزة فى ٩ فبراير عام ١٢٦٥ م . واستولى على مدن فلسطين .. واستطاع أن يخضع عكا فى عام ١٢٦٦ م .

وفى أيام الامير قلاوون الذى تولى فى ديسمبر ١٢٧٩ ..هدد المغول الشام عام ١٢٨٠ فخرج اليهم عن طريق سيناء ، لكنهم انسحبوا قبل أن يصل اليهم ، فعادت جيوش قلاوون الى القاهرة بعد أن كانت قد وصلت الى غزة ، كما يروى ذلك المؤرخ أبو الفدا فى كتابه (المختصر فى أخبار البشر) فى حوادث عام ٦٧٩هجرية. كما أن قلاوون خرج مرة أخرى فى فبراير ١٢٨٩ م. على رأس جيش .. وكما يقول المقريزى (تجهز لاخذ طرابلس) ، وكان جيش قلاوون مكونا من ٤٠ الف فارس و١٠٠ الف من المشاه .. واستولى قلاوون على المدينة فى ٢٦ ابريل سنة ١٢٨٩ م . ويقول أبو الفدا .. أن بعض أهل طرابلس حاولوا النجاة (فنجا أقلهم فى المراكب وقتل غالب رجالها ، وسبيت ذراريهم وغنم منها المسلمون غنيمة عظيمة) .

والواقع أن سيناء بالنسبةلدولة المماليك صارت أرضا حيوية عسكريا وتجاريا . فكانت سيناء طريقالتجارة مع الهند . وكانت دولة المماليك تحصل رسوما ضخمة على مرور البضائع من البحر الاحمر الى البحر المتوسط .

وقد صارت مدينة الطور فى عهد المماليك وميناؤها مركزا

لتجمع قوافل البضـائع . وكانت قوافل السفن تأتى مرتين كل عام ، فى شهر سبتمبر ومارس .

كذلك فقد برز ميناء السويس فى عهد دولة المماليك الجراكسة (١٥١٦ ـ ١٣٨٦) كموقع تجارى وعسكرى هام .

والحقيقة أن دولة المماليك بصفة عامة ، حتى آخر سلاطينهم الغورى ، قد اهتمت بالطرق عبر سيناء من أجل الحج والتجارة . ولذلك أنشأت المسـاجد ، وحفرت الآبار ، واقامت المنشـآت والقلاع على هذه الطرق .

وكان طريق الحج عبر سيناء يمر بالبلاد والمراكز التالية :

كانت الرحلة تبدأ من القاهرة ، ثم بركة الحاج غربى القاهرة فى منطقة حدائق القبة ، حيث كانت مكانا للتجمع . ومنهـا الى قلعة عجرود غربى السويس . ثم الى النواطير فى بر سيناء ، وهى عبارة عن ثلاثة أعمدة من الحجارة فى مدخل بلاد التيه ، اشـارة الى الطريق الذى تسلكه القافلة . بعدها يسير الحاج الى بئر القريص ، ونقب دبة البغلة ، ثم نقب العقبة ، ثم قلعـة آيله . ثم الى بـر الحجاز على شاطئها الغربى ، حيث كانت تمر بقلعة المويلح ، وبرج ضبا ، ثم الوجه ، الى ينبع ، الى رابغ .

وجدير بالذكر أنه فى نقب دبة البغلة ، توجد نقوش عـلى صخرة تنسب الى السلطان الغورى ، وفيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهـديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا » ..

« ... رسم بقطع هذا الجبل المسمى (عراقيل البغلة) ، ومهد طريق المسلمين الحجاج لبيت الله تعالى .. وعمار مكة المكرمة

والمدينة الشريفة والمناهل بعجرود ، ونخل ، وقطع الجبل ، وعقبة آيله ، وعمار القلعة ، والآبار ، والازلم ، والموشحة ، ومغارب نبط الفساقى ، وطرق الحاج الشريفة ·· مولانا المقام الشريف والامام الاعظم سلطان الاسلام والمسلمين الملك الاشرف أبو النصر قنصوه الغورى نصره الله تعالى نصرا عزيزا » ·

وعلى صخرة أخرى لم تبق من النقوش القديمة الا اسم السلطان قنصوه الغورى مع جملة (عز نصره) ·

وفي وادي القريص ، على بعد نحو ٦٠ كيلو مترا من (نخل) بئر كان محطة للحجاج يبيتون فيها عند خروجهم من نخل · وتعرف هذه البئر باسم (بئر أبو محمد) نسبة الى الشيخ محمد الجوهرى المدفون هناك · وآثار المدفن وان كانت خرابا الا أنها تدل على فخامته ، وقد نقش عليها اسم صاحب القبر وتاريخ وفاته ·

وقرب مفترق الطرق - على درب الحج المصرى - الى بئر التمد ، رجم كبير من الحجارة عرف باسم (رجم الولى المفسود)· ومن عادات البدو أن يرموا هذا الرجم بالحجارة ، ويقولون : (اخسأ يا ملعون الوالدين ، الله يلعنك) ·

الا أن أهم الآثار الباقية من العصر المملوكى فى طريق الحج هى بلا شك فى بلدة (نخل) ·· ونقصد بها القلعة المشرفة على هذه البلدة ، والتى بناها السلطان الغورى فى عام ١٥١٦ م ·قبل بضعة أشهر فقط وقبل أن تلحق به الهزيمة أمام الجيوش العثمانية ، ويلقى حتفه فى معركة (مرج دابق) ·

والقلعة قائمة على هضبة تبعد نحو ١٤٠ كيلو مترا من السويس و١٢٠ كيلو مترا من العقبة · وهى قلعة مربعة ، ولها خمسة أبراج وبنيت بالحجارة · وواجهة القلعة وفوق بوابتها كتب عليها : (مولانا السلطان ·· عز نصره) ·· فى جانب ،وفى الجانب الآخر (مولانا السلطان مراد عز نصره) سنة ··· مما

يوهم أن السلطان مراد العثمانى هو الذى شيد القلعة ٠٠ الا أن بانيها هو السلطان المملوكى قنصوه الغورى ٠ ويبدو أن السلطان مراد قام بترميمها ، فوضع الحجر تذكارا لذلك .

والى الشمال الشرقى للقلعة (قبر الحاج) ، وهو حاج توفى فى العصر المملوكى ، ويعتقد بدو سيناء حوله أنه (صـــاحب سر وولاية) ٠ كما أن فى نخل آبار قديمة، احداها داخل قلعة الغورى، ويبدو أنه كان قد حفرها هناك ٠

وكانت مدينة نخل تسمى بطن نخل ، ويصفها مؤرخ بقوله: (وبطن نخل منهل من مناهل الحاج ، وهى قرية ليس بها نخيل ولا شجر يسكنها نفر من الناس ٠ ويقال بطن نخل لسواف تسفى على الناس فيه ترابا دقيقا كأنما نخل بمنخل ٠ وبها خان أنشأه السلطان قنصوه الغورى على يد الامير الكبير خير بك المعمار أحـد المقدمين فى سنة خمس عشرة وتسعمائة هجرية)٠٠ أى ١٥٠٩ ميلادية ٠ وتم توسيع الخان فى العصر العثمانى ٠

وحين تصل قافلة الحجاج الى منطقة العقبة الجبلية تجـــد طريقا مهده ملوك مصر فى الجبل المطل على مدينة العقبة ٠وسمى الوادى الذى يبدأ من رأس نقب العقبة ويصب فى الخليج على نحو كيلو مترين من مصب طابا ، سمى هذا الوادى (الوادى المصرى) ٠٠ لانه منفذ الحجاج المصريين الى العقبة ٠ والطريق الذى شيده السلاطين متعرج ومنحدر ويسير الى الوادى المصرى ٠ وبه خرائب وجد بينها حجر نقشت عليه العبارات الآتية ، كما نقلها فى كتابه ابراهيم أمين غالى وهى :

(أمر بقطع هذا الطريق المبارك الســـلطان الملك الاشرف قنصوه الغورى عز نصره ، وكان الواقف فى هذا المكان الامير ٠٠ خان ٠٠ تاسع عشر ٠٠)

وعلى مقربة من تلك الخرائب التى سميت مقعد الباشا ،مكان يدعى رجم الدرك ، وقد عثر على حجر منقوش عليه العبارة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر باصلاح هذه الاماكن مولانا الملك الناصر حسن بن السلطان الملك الناصر قلاوون ، وذلك فى شهر رجب سنة ٦٢٩ هجرية » . (١٢٣١ ميلادية) .

ومن الواضح أن هناك خطأ فى التاريخ ، اذ أن دولة المماليك لم تكن قد بدأت بعد ، فربما نقشت تلك العبارة بعد ذلك .ولكن ذلك قد يدلنا على أن السلاطين الاول كانوا قد مهدوا هذا الطريق من القدم .

المهم أنه بعد عبور هذا الطريق يصل الحاج الى العقبة .وهنا أيضا نجد آثار السلطان الغورى . فقلعة العقبة على مثال قلعة نخل . وكذلك فان على جدرانها اسم السلطان الغورى ، ومرممها السلطان مراد الثالث . كما أن هناك نصا عليها يقول : « أمر بانشاء هذه القلعة المباركة السعيدة ، السلطان الملك الاشرف أبو النصر قنصوه الغورى ، سلطان الاسلام والمسلمين ، قاتل الكفرة والملحدين ، محيى العدل فى العالمين » .

ومن العقبة يسير طريق الحج على الجانب الشرقى للبحر الاحمر ، الى المويلح ، وبرج ضبا ، وقلعة الوجه ، ثم مدينة ينبع الى ان تصل القافلة الى مكة المكرمة . وكانت القافلة التى تعبر سيناء تخضع لادارة محكمة ، وكان على رأسها أمير يدعى أمير الحج ، وموظفون ، وقوة عسكرية . وقد بدأ هذا التنظيم المحكم منذ عصر السلطان بيبرس .. حتى انه فى عام ١٧٤٣ ميلادية كان امير الحج يختار من بين الامراء (أمير الف) .

وجدير بالذكر أن عدد الحجاج الذين كانوا يعبرون سيناء كان يتراوح عددهم بين ٥٠ ألفا و ٣٠٠ الف .. وهذا وحده – كما يرى كتاب سيناء المصرية – يدل على مقدار النشاط الذى كان يجرى فى شبه لجزيرة ، وعلى اهتمام السلاطين المماليك بشئونها . وكان العلم المصرى يرفرف فوق المحمل فى

عهد سلاطين المماليك ، وكان أصفر اللون · وقد قدرت قيمة الكسوة المرسلة سنويا من مصر بمبلغ ٣٠٠ دينار .

●●●

أثناء العصر العثمانى ظلت سيناء على أهميتها كطريق للتجارة والحج ·

بل يقال ان العثمانيين ساروا على نفس النهج الذى سار عليه المماليك ·

فسلاطين العثمانيين اقاموا فى سيناء القلاع الجديدة ، ورمموا القلاع القديمة ·

ويقول كتاب (سيناء المصرية) أن السلطان سليم ، أول سلاطين آل عثمان ، بنى قلعة الطور · وأنه بقى من عصر العثمانيين ما يسمى (بكتاب الام) ·· الذى هو عبارة عن سجل دونت فيه صور الدعاوى والاحكام وصكوك المبايعات والرهونات من النخيل والاراضى الزراعية ، سواء فى الطور نفسها ، او فى فيران والضواحى والطوره ·

وكانت فى قلعة الطور حامية من العساكر الطوبجية على رأسها ضابط تابع للقائد العام العثمانى فى السويس · وكان مع الضابط مدير لمؤن العساكر ، ومحافظ اداوى على العربان ، وقاض على المذهب الحنفى – مذهب العثمانيين – يعينه قاضى السويس · وكان السجل بيد القاضى ·

وجدير بالذكر أن السجل (كتاب الام) خليط من محاضر البوليس ، ومحاضر توثيق عقود ، واتفاقات ، وشكاوى ، وأحكام صادرة بشأنها . وهو يحتوى فترة من الزمن طولها ٢٥٩ سنة ، من عام ١٥٩٢ الى ١٨٥١ ميلادية ·

ومن وثيقة مؤرخة عام ١٧٤٤ نعرف ان الجامع فى ديرسانت

كاترين كان لا يزال عامرا . وتقول هـذه الوثيقة ، كما أوردها ابراهيم امين غالى : (انه قد تم الاتفاق ببندر الطور بحضرة الامام نكينورس اقلوم الدير وكاتبه الخورى جرجس تلحمة من جهة ، وبين جماع ابو هديب وموسى ولـد على وغيرهما من جهة اخرى بشـأن انارة الجامع وتنظيفه) .

وجدير بالذكر أن السلطان سليمان القـانونى أبدى عناية خاصة بالجزء الغربى لسيناء ، فبنى قلعة العريش ، كما رمم قلعة نخل .

وقلعة العريش كانت تقوم على تل مرتفع يشرف على الطريق الملكى الموصل من الشام الى الغرب ، وقد كتب على أحد احجـار القلعة : (أمر بانشاء هذه القلعة مولانا السلطان سـليمان بن السلطان بايزيد بن السلطان عثمان ، خلد الله ملكه وقدس شوكته واعز دولته بمحمد وآله وسلم ..)

وعلى قلعة نخل التى رممت يوجد نقش على حجر يقـول (جدد هذا المكان المبارك مولانا السلطان أحمد بن السلطان محمد خان من نصره ، مدة راجى محمد باشـا سنة ١١١٧ هجرية) .. أى عام ١٧٠٥ ميلادية .

وقد والى سلاطين آل عثمان اهتمامهم بدير سانت كاترين، وجددوا العهد المقطوع منذ القدم — كما يقولون العهدة النبوية — وان كان ذلك غير صحيح وسنناقشه فى فصل قادم . وفى الدير فرمان من السلطان مصطفى الاول الى المطـران جفريل الرابع وتاريخه ١٦٠٨ ميلادية . وهو فرمان يستأمن الرهبان على حياتهم واموالهم وطقوسهم ، وليس عليهم دفع فوائد أو ضرائب . كمـا يحدد الفرمان المواريث وحق امتلاك الارض .. ولا يتعرض أحد لحجاج الدير .

والواقع أنه منذ أن استولى العثمانيون على مصر .. ودور

سيناء دور عادى • لكن التاريخ يذكر أن على بك الكبير فى أواخر عام ١٧٧٠ ميلادية أرسل حملة مهمتها أن تؤمن الطريق بين مصر وفلسطين • وقد قتلت هذه الحملة شـــيخ عربان تمرة واسمه (سليط) واخوته ، لان وجودهم كان خطرا على طريق حملات على بك المعروفة فى التاريخ •

والمعروف أن على بك الكبير كان صديقا للشيخ طاهر العمر، وقد أرسل الى الشام ثلاث حملات احداها عن طريق ســـــيناء الشمالية بقيادة محمد بك أبو الدهب الى دمشق • وقد خانه أبو الذهب فى مصر • ففر الى الشام • وحين أراد العـــودة الى مصر لينتزع ملكه من محمد أبو الدهب ، أرسل اليه الشيخ طاهر جيشا سار به عبر سيناء ، ومر بغزة ، وخان يونس ، ووصل الى الصالحية •• لكنه هزم فى معركة الصالحية ، ومات فى عام ١٧٧٣ م •

● ● ●

رأى الجنرال بونابرت ان مصر ستصبح مهددة اذا لم يضم اليها سورية • وكانت سيناء هى الطريق الحيوى لمسيرة جيشه • وقد وصف الجنرال برتران من ضباط الحملة الفرنسية ، المنطقة الشمالية لسيناء فى كتاب له بعنوان (معارك مصر وســـورية) قائلا :

« ••• والصحراء التى تفصل بين الشام ومصر ، تمتد من غزة الى الصالحية ، وهى بطول حوالى ٢٤٨ كيلو مترا ، تقطعهـــا القوافل فى ثمانين ساعة » •

ومن وصف الجنرال برتران نعرف ان المسافة من الصالحية الى قطية تبلغ ٦٤ كيلو مترا وهى صحراء رمليـــة جامعة • وأنه بالقرب من قطية رمال متحركة لينة • ومن قطية الى العـــريش مسافة ١٠٠ كيلو متر • وأنه بين قطية والعريش توجد ثلاثة آبار هامة هى بير العبد ، وبركة العيش ، وبئر مســـاعد •• وهـــذه

الاخيرة تقع على بعد ١٢ كيلو مترا من العريش ٠ وأن آبار العريش تكفي لارتواء قوة من الجند يبلغ عددها ما بين ١٥ و٢٠ الفا ٠وأن المنطقة من العريش الى غزة يبلغ طولها حـــوالى ٧٦ كيلو مترا ٠ والطريق اليها يمر بالخروبة ، وبير زويد ، ورفح وخان يونس ٠

والواقع أن أهمية سيناء أيام الاحتلال الفـــرنسى لمصر بدأ نجمها يعلو ويتصاعد ٠ فبالنسبة للفرنسيين كانت سيناء تعتبر البعد الاستراتيجى بينهم فى مصر وبين الاتراك فى الشام ٠وكان الاحتلال الفرنسى لمصر فى عام ١٧٩٨ قد أثار الانجليز ، فساعدوا الاتراك ووقفوا بجانبهم لاجلاء الفرنسيين ٠

ولذلك فانه بمجرد أن احتل الجنرال بونابرت مصر ، أعلن السلطان سليم الثالث الحرب على الفرنسيين ، وأرسل جيشـــا بقيادة أحمد باشا الجزار والى عكا ، الذى سار واحتل مدينــة العريش ، حيث انضمت اليه فلول المماليك الهاربة من مصر ٠ وقد انتصر الفرنسيون فى مواجهتهم مع الاتراك فى ١٥ فبراير ١٨٩٩، واحتلوا العريش ٠ وجدير بالذكر أن قلعة العريش ظلت تقـاوم الفرنسيين عدة أيام حتى سقطت فى ٢٠ فبراير ١٨٩٩ ٠ وكان بها آلاف الفرسان من المماليك والعرب والترك كما يذكر مؤلف كتاب « بونابرت فى مصر » ، وهو كريستوفر هيرولد ، والذى ترجمه فؤاد اندراوس ٠

واتجه الفرنسيون الى الشمال ، فاحتلوا خان يونس ، ثم استولوا على غزة ويافا ٠٠ لكنهم هزموا عند عكا وعادوا الى مصر عن طريق سيناء ٠

وهذه الحملة الفاشلة الى الشام ، وظروف فرنسا ، جعلت الجنرال بونابرت يعجل بترك مصر ، وتركها للجنرال كليبر ،الذى بدوره اقتنع بضرورة الجلاء عن مصر ٠ بعد تلك الثـــورات التى نشبت فيها ومنها ثورة القاهرة الاولى والثانية ، وتهديد الاتراك لهم ٠٠ ثم اندحار أسطولهم فى موقعة أبى قير البحرية ضد الانجليز٠

وبالفعل عقد بالعريش مؤتمر للاتفاق على معاهدة صلح يجلو فيها الفرنسيون بشروط . لكن انجلترا امعانا فى اذلال الفرنسيين دفعت الاتراك الى أن يطلبوا جلاء الفرنسيين بلا شرط أو قيد .. مما دفع بالفرنسيين الى أن يرفضوا المعاهدة ، ويصرون على القتال ، ويهاجمون الاتراك ، ويحتلون العريش فى ٢٠ مارس عام ١٨٠٠ . ويقولون أن كليبر انتفض (وبـدا يعج كالجمل الهايج) (١) ..

وعلى اية حال فلم يستفد الفرنسيون من ذلك ، وعادو للتفاوض للجلاء من جديد .. وقد تم الجلاء عن مصر فى اكتوبر عام ١٨٠١ .

والواقع أنه على الرغم من قصر الفترة التى قضاها الفرنسيون فى مصر فان سياسة الجنرال بونابرت وخلفائه قد تميزت بشيئين اثنين :

أولهما : سياسته ازاء دير سانت كاترين .
وثانيهما : سياسته ازاء الحج .

أما بالنسبة للدير ، فقد كان به خمسون راهبا أيام الجنرال بونابرت ، وقد اصدر فى ١٩ نوفمبر قرارا الغرض منه حماية الدير ومن فيه . وقد أورد هذا القرار ابراهيم أمين غالى نقلا عن كتاب (تاريخ نابليون الاول) لمؤلفه لوفرى . وهذا المؤلف ذكر أن الجنرال بونابرت زار الدير فى ديسمبر ١٧٩٨ ووقع على القرار بتوقيعه .

وفى كتاب الجنرال بونابرت فى مصر تاليف كريستوفر هيرولد وترجمة فؤاد اندراوس ذكر أن بونابرت أول ما ذهب الى سيناء ، ذهب الى عيون موسى . ويقول الكتاب أن وفدا من الطور جاء الى الجنرال بونابرت ليضمن سلامة قوافل الفحم الى القاهرة .

---

(١) اقرا مذكرات نيقولا الترك فيها وصف لهذا الموقف .

وقد وصف وفد الطور الجنرال بونابرت بقولهم : (ان ذراعه قوية وكلماته حلوة) .

وكانت الامتيازات التى منحها لرهبان دير سانت كاترين ، فى حقيقتها امتيازات سيادة ·

وقيل أيضا أنه فى أيام الجنرال كليبر عام ١٨٠٠ أرسل خبراء الى الدير ، حيث أوصوا بترميم الدير واصلاح حوائطه المهدمة ، واصدر أوامر مشددة بحماية الرهبان ·

اما سياسة كليبر ازاء الحج فقد دلت على أن اهتمام كليبر بالحج لم يكن بأقل اهتماما من الدير ·· لكن قلة الاموال لم تسعف بسفر المحمل ، ثم ان الظروف العسكرية بين الفرنسيين والاتراك لم تكن مواتية .

الفصـــل الثالث

شيء من التاريخ الحـــديث

فى عصر والى مصر من قبل العثمانيين محمد على باشا ،

كانت سيناء اداريا مقسمه كالآتى : فمدينة الطور تتبع محافظة السويس اداريا . وقلعة نخل كانت ملحقة بالرزنامة بالمالية المصرية ٠ والعريش كانت تابعة لديوان شئون الداخلية فى مصر

وحين غزا ابراهيم باشا بن محمد على سورية ، تطلب من مصر أن تكون سيناء طريقا ممهدا أو سهلا للمواصلات بين شقى القطر الواحد ٠ فكان ترميم آبار قطية ، وبير العبد ، وبئر الشيخ زويد . وانشىء بريد منتظم بين القاهرة وغزة على الجمال .

والواقع أن ابراهيم فى حملته على سورية قد اتخذ الطريق التالى : الموقع الذى عليه مدينة القنطرة الآن ، ثم الى قطية ، وبير العبد ، وبئر المدار ٠ والسويس والشيخ زويد ، وخان يونس ٠ وقد عنيت مصر على هذه الاماكن حاميات للحراسة .

هذا من ناحية سيناء الشمالية .

اما من ناحية سيناء الجنوبية فقد جرى اهتمام آخر ، لكنه على أية حال لم يعادل الاهتمام بسيناء الشمالية . وهذا يعود الى أن محمد على دخل فى حرب مع الوهابيين ، وانه اذا سار بجيوشه فى طريق سيناء الجنوبية فقد تعوقه قلة الماء من ناحية وطول المسافة من ناحية اخرى ، ولذلك اتجه الى طريق البحر الاحمر من قنا والقصير عبر البحر الى ينبع ٠

على انه أثر هزيمة السلطان العثمانى فى عام ١٨٣٩ فى موقعة

نصيبين ، فرضت الدول الأوربية تسوية مع محمد على . بمقتضاها يعترف له السلطان ولذريته من بعده بولاية مصر ، على أن تجلو جيوش محمد على من سورية وفلسطين . وانكمشت امبراطورية محمد على بحيث صارت الولاية العثمانية تضم مصر بحدودها القديمة .

وكانت سيناء بالطبع ضمن حدود مصر . وكان أهم ما فيها بالنسبة لمحمد على هو طريق الحج ولذلك قامت بتأمين المرور فى شبه الجزيرة . كما قامت بانشاء بعض المراكز على الساحل الشرقى ، وهى طابا ، والمويلح والعقبة .

وجدير بالذكر أنه فى عهد محمد على ، وبسبب انقضاض بعض العربان على جيش ابراهيم باشا وهو عائد من سورية ، فنهبت محطات البريد فى الشيخ زويد وبئر المدار .. اقول بسبب ذلك كلفت السلطات المصرية عرب الهنادى فى مصر القيام بحملة ضد هؤلاء العربان .. وبذلك استتب الامن على طول الطريق الساحلى حتى خان يونس .

والواقع أن محمد على اهتم بسيناء اهتماما ، كبيرا ، ومنذ عام ١٨٢٠ .. وهو العام الذى وقعت فيه الصدامات بين قبيلتى اللحيوان والمعازة . ثم أنه فى عام ١٨٣٠ أرسل فرقتين من الجيش بسبب ما حدث فى العريش ، حيث انقض عرب الرتيمات على قافلة تحمل البضائع . وكان لهاتين الفرقتين أثرهما فى استتباب الأمن . وفى عام ١٨٣١ عزل محمد على « غطاس اغا » محافظ السويس لاستبداده ببعض القبائل ، ومنها قبيلة سليمان .

والواقع ـ وكما يذكر ابراهيم أمين غالى ـ أن سيناء فى عهد محمد على بدات العيون تتجه اليها .. كما أن محمد على ظل يحمى قوافل التجارة والحج عبرها طوال حكمه ، وحكم من

سبقه حتى صرف النظر عن طريق الحج عام ١٨٨٥ واتخذ الحجاج طريق البحر الاحمر ..

والحقيقة أن خلفاء محمد على سار على نهجه فى سيناء من ناحية الاهتمام بشبه الجزيرة .

فعباس الاول مد طريقا من الطور الى جبل موسى ، وطريقا آخر الى جبل طلعة غربى جبل موسى ، وشيد قصرا فخما على قمة الجبل .

وسعيد باشا انشأ محجر الطور للحجاج عام ١٨٥٨ ، جنوبى مدينة الطور .

وفى عهد اسماعيل باشا بدات البعثات العالمية تتوالى على سيناء ، ابتداء من عام ١٨٦٣ . وبعد حفر قناة السويس فى عهده عام ١٨٦٩ ، انشئت مدينة القنطرة وقد انشأ القنطرة بعض التجار الوافدين من العريش ، وغزة والصالحية . وبدأت باكواخ قليلة من الخشب ، ثم صارت هذه المدينة مركزا تجاريا لبيع المؤن الى العمال الذين عملوا فى حفر قناة السويس . ثم بنى فيها محجرا للحيوانات القادمة من الشام لبيعها فى مصر .

وفى عهد الخديو توفيق اندلعت ثورة الزعيم أحمد عرابى ، واحتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ ، وقد كان لذلك صداه فى سيناء حيث قتل فى سيناء المستر ادوين بالمر ، الذى أرسله الانجليز الى شبه الجزيرة .

وعلى ذكر المستر بالمر ، نذكر أن عرب سيناء عرفوه باسم عبد الله افندى ، وكان الرجل يتحدث العربية ، وعمل استاذا فى كيمبردج ، وبحيث عن الآثار فى أورشليم واقام فى فلسطين فترة .

فحين قام عرابى بثورة عام ١٨٨٢ كانت انجلترا ترنو الى احتلال مصر . لكن ثورة عرابى كان معناها قطع الطريق عليها .

وخشيت بريطانيا على أطماعها الاستعمارية ، فدخلت بأسطولها وجيشها للقضاء على ثورة عرابى . وضرب الاسطول البريطانى الاسكندرية . ثم خشى الانجليز أن تحل بهم الهزيمة لان العرابيين كانوا قد استعدوا باستحكامات كثيرة ، فعولوا على ان يدخلوا البلاد من طريق السويس . لكنهم كانوا يتوجسون من طريق السويس . لأنهم خشوا ان يردم عرابى قناة السويس ، فيسد الباب امام الاسطول الانجليزى . هذا الى خوفهم من عرب سيناء على طول القناة وحتى مديرية الشرقية . فقد كان من المعروف انهم موالون للزعيم عرابى . وعددهم كان يزيد على الثلاثين الف فارس مدربين على السلاح . بمعنى أن الجيش الانجليزى اوسلك طريق القناة فسيكون بين نارين : نار الجيش العرابى من جهة ، ونار العربان من جهة اخرى .

ولذلك اخذ الانجليز يتدبرون امرهم .

اما مسالة القناة فقد تكفل لهم بها فردناند دى ليسبس ، اذ اقنع عرابى بعدم ردم القناة ، وفى مقابل ذلك اعطاه عهدا به لن يسمح للاسطول البريطانى بالمرور من قناة السويس ... كما يقول » عبد الرحمن الرافعى فى كتابه عن « الثورة العربية والاحتلال الانجليزى » .

وأما مسالة عرب سيناء فقد دبر لها الانجليز خطة ، وهى التى تكفل بتنفيذها ادوين بالمر فى سيناء . بالاضافة الى استعمالة عرب غربى القناة ، كما يقول المستر بلنت فى كتابه « التاريخ السرى للاحتلال » .

وتقول الرواية أن وزارة الحرب البريطانية طلبت من بالمر أن يغير ملابسه ، ويذهب الى سيناء فى ملابس عربية ليؤلب عرب سيناء على احمد عرابى . وذهب بالمر الى يافا ، وتسمى

باسم عبد الله افندى واطلق لحيته ووضع على رأسه طربوشا ، وادعى الاسلام .

وفى يافا تعرف بأحـد الاعراب ، واتخذ دليلا ، وذهب الى السويس عبر الصحراء ، وتعرف الى مشـايخ القبائل .. ليدعوهم الى الانقضاض على عرابى لانه خارج على طاعة الخليفـة العثمانى ، سلطان المسلمين . وكان الخليفة قد اذاع بيانا يقول فيه : « ان عرابى خارج على الخلافة الاسلامية » .

ويقال ان بالمر ومعه الكثير من الاموال ما كاد يصـل الى السويس حتى استطاع ان يزعزع تلك الجبهة الطويلة ، واعتقد الاعراب فعلا ان عرابى خارج على الخلافة ، فكفوا عن تأييده . بل ان بالمر اخذ يسير فى سيناء ويشترى الجمال والخيـل للجيش البريطانى ويدفع فيها بسخاء .

ونتيجة لتلك الجهود والمؤامرات دخـل الجيش البريطانى مصر واحتلها ، بعد هزيمة العرابيين . وبقى بالمر فى مركز القيادة البريطانيـة بالسويس لكنه لم يكن يـدرى عن مأسـاة قريبة ستحل به .

ففى يوم غادر السويس فى رحلة الى سيناء ، ورافقه فى هذه الرحلة ضابطان بريطانيان ، واتخـذوا دليلا من العربان اسمه « أبو صفيح » . وساروا حتى جاوزوا عيـون موسى ثم انقطعت اخبارهم .

واهتمت السلطات البريطانية بهذا الأمر . واهتمت أكثر حين اقترن اختفـاؤهم بقطع الخط التليفـونى بين القنطرة والعريش . فارسل البريطانيون واحدا منهم ليبحث عن الثلاثة ، لكنه لم يعد بمعلومات ذات قيمة .

وعادت السلطات بطانية ، فارسـك القبطان « فوستا »

وكان له دراية بشئون العربان والبادية ، ويجيد العربية .. لكنه عاد مثل زميله .

وارسلت السلطات البريطانية بعثة ثالثـــة للبحث عن بالمر مؤلفـة من الكولونيل وارن ومستر ويست القنصل فى السويس ، فرجع وارن ، وهو يقول انه يعتقد ان بالمر ورفيقيه سيعودون بعد أسبوعين ، وأنهم على قيد الحياة .

ومضت أسابيع وبدأ البحث من جديد .. وعاد الكولونيـل وارن بأنباء تقول أن العرب فى سيناء اكتشفوا حقيقـــة بالمر ، وعرفوا أنه ليس مسلما ولا يدعو للخلافة الاسلامية فقتـــاوا بالمر ورفيقيه عند نخل ، ونهبوا ما كان معهم من مال ومتـــاع . وأنه عثر على جثتين للقتل ، أما جثة بالمر فلم يعثر عليها «(١)» .

واهتمت السلطات البريطانية بحـــادث القتل . وهل هو لمجرد النهب ، أم أنه يوجد فى ســـيناء موالون لعرابى ؟! . وأن هذا خطر على الجيش البريطانى ، واهتمت وزارة الداخليـــة فى مصر بذلك الأمر وارسلت الشيخ ســلامة بن ابراهيم شـــديد شيخ العربان فى مصر الى السويس . وتصـادف فى ذلك الوقت أن « أبو صفيح » الذى كان دليلا لبالمر قد ظهر فى الســويس فقبض عليه العرب وسلموه للقنصل البريطانى . وقال ابو صفيح أن العرب هجموا على الثلاثة وقتلوهم . وقبض الانجليز على ٢٣ رجلا من بدو ســـيناء بتهمة القتـل والتحريض عليه ، وقدموا للمحاكمة العسكرية التى تألفت فى ظل الاحتلال فقضت عـلى ١١ رجلا بالاعدام شـــنقا ، وعلى ١٢ بالليمان لمدد مختلفة . وقضت على اليوزباشى على حسين ، محافظ قلعة نخل بالســجن سنة وتجريده من رتبته العســكرية وطرده من الخدمة العســكرية .

(١) أنظر كتاب سيناء . (الارض والحرب والبشر) لسالم اليمانى فى الفصل الخاص بنضال أهالى سيناء ضد الاحتلال البريطانى وأنظر كتاب نعوم بك شقير الذى اعتبر مقتل بالمر حادث سطو .

والواقع ان سيناء بعد الاحتلال البريطانى لمصر ، تحولت الى مسار آخر ، من ناحية التبعية الادارية . فقد الحقت بلاد التيه بنظارة الحربية .. اداريا وماليا وعسكريا وجعلت تحت أمرة مدير المخابرات بالقاهرة ، واشراف سردار الجيش المصرى والحقت منطقة الطور ببلاد التيه ... وصارت المنطقتان تحت أمرة قومندان شبه جزيرة سيناء ، ومركزه نخل .. ذلك الموقع الهام الذى يحكم طرق المواصلات فى قلب سيناء . كما الحقت العريش بالداخلية المصرية ، وعين لها محافظ ملكى يعاونه بعض رجال الشرطة .

كما ادخلت سيناء فى الادارة القضائية المصرية ، بعد صدور لائحة ترتيب المحاكم الاهلية عام ١٨٨٣ ، وضمت الى اختصاص محكمة الزقازيق . أما محافظة السويس فقد ادخلت عام ١٨٨٤ ضمن دائرة اختصاص محكمة المنصورة ، الا أن هذا الاختصاص نقل الى محكمة الزقازيق عام ١٨٨٩ .

ثم انفردت الادارة الانجليزية بشئون سيناء ، واعتبرتها مركزاً عسكريا لانها على الحدود . ووكلت الادارة الى مدير المخابرات الذى لا يتلقى الاوامر الا من سردار الجيش المصرى وهو انجليزى . اما المسائل المالية فكانت من اختصاص سكرتير مالى الحربية كما أن المسائل الهندسية كانت تابعة لمدير أشغال الجيش المصرى .

ويقول ابراهيم أمين غالى ، انه تولى الادارة المصرية الجنرال فرنسيس جرانفيل بين سنتى ١٨٨٥ و ١٨٩٢ . وفى عهده احيلت القلاع الحجازية من وزارة المالية الى الحربية .

وتتلخص التغييرات التى طرأت على سيناء فى عهد خلفاء محمد على ، وفى أوائل عهد الاحتلال البريطانى ، انها جعلت سيناء كلها محافظة واحدة . ووضع نظام ادارى وقضائى ،

وانشئت نقط شرطة فى الطور ، والشط ، والنويبع ، ونخل ، والعريش ، ورفح ، والقصيمة ، ومشاش الكنتيلة ، والثمد . كما خصصت الرواتب لمشايخ القبائل بغية اكتساب ولائها .. الا أن ذلك لم يمنع الكثير من الصدامات بين القبائل .

● ● ●

فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .. لم تصبح سيناء حدودا مصرية فقط ، ومعبرا للقوات العسكرية فحسب .. بل صارت هى البطل ، وهى المنطلق .. أو النجم الذى ارتفع فى السماء العربية .

وقد أثار الباب العالى مع مصر مشكلتين بسبب سيناء ، خرجت منها سيناء مصرية رافعة رأسها عاليا .

ففى ٨ أبريل ١٨٩٢ ، وهو تاريخ صدور الفرمان بتولية عباس حلمى الثانى ، كان هذا الفرمان قد احدث ازمة حول سيناء ، لانه هو مخالف لما سبقه من فرمانات التولية ، ومن احكام معاهدة لندن . فالباب العالى حاول ادخال بعض التعديلات على الحدود المصرية من ناحية سيناء .

لكن الحكومة البريطانية لم توافق على حدوث تغييرات فى الحدود . وقد بادر لورد كرومر بارسال خطاب الى تجران باشا وزير خارجية تركيا يقول فيه : « معلوم لدى سعادتكم بانه لا يمكن حدوث تغيير فى الفرامانات المقررة بها الصلات بين الباب العالى ومصر بدون رضا حكومة جلالة ملكة بريطانيا العظمى . وبناء على تلك الاسباب ، وكل الى أن أوجه أنظاركم الى ما ذكر بالفرمان الحاضر ، من تحديد تخوم مخالفة لما جاء فى الفرمان الصادر لسمو الخديو السابق . واذا قرىء على حده يفهم منه أن شبه جزيرة سيناء تكون ادارتها تابعة فى الاستقبال الى ولاية الحجاز ، لا الى الخديوية المصرية » .

وجدير بالذكر أنه قد جاءت مصلحة بريطانيا ... مطابقة للمصـــالح المصرية فى ذلك الوقت .. وانتهت الازمة بالاعتراف الصريح بأن شبه الجزيرة جزء من الولاية الخديوية ، لا يجوز اى تعديل فيها بدون موافقة الدول الموقعة على معاهدة لندن الضامنة لبقاء الاوضاع التى تقررت بالنسبة للحدود بين مصر وتركيا .

والحقيقــة أن الباب العــالى قد « بلع » ما حاوله بالنســـبة للفرمان الخديوية فى ٧ يناير ١٨٩٢ .. وانتظر متحينا فرصــــة اخرى . واعقب تلك الازمــة زيادة الخديو عبــاس حلمى الثانى للطور عام ١٨٩٦ ، فزار جامعها ومحجرها وحمــام موسى . كما قام بزيارة العريش ١٨٩٨ ، وتابع رحلته الى أن وصل للحدود المصرية عند رفح . وســجل محافظ العريش هــذه الزيارة على عمودى الحدود الفاصلة بين المتصرفيــة الفلســـطينية ومصر . فنقش على عمود الحدود المواجهة لمصر :

« فى يوم السبت المبارك ١٢ شوال سنة ١٢١٥ و ٥ مارس سنة ١٨٩٨ اشرقت شمس طلعة الجناب الاعظم ولى النعم سمو عباس حلمى الثانى الافخم فى سماء الحـــدود المصرية ، فكتبت هذه العلامة الكائنة برفح » .

وجدير بالذكر ان عباس باشا جدد جامع العريش ، ورمم بئر قطية ، وحفـــر بئرا جديدا عنــد النبى ياسر على ساحل العريش .

لكن فى بداية القرن العشرين تطورت الأمور فى مصر ، كما تطورت نظرة تركيا الى أهمية مصر ، فضلا عما حدث فى مصر من تطور فى الحركة الوطنيـــة التى ساعد على اشتعالهـــا مجئ جمال الدين الافغـــانى الى مصر ... وظهور ما يعـــرف باسم « الجامعة الاسلامية » .

ولقد ظهرت دعوة مصطفى كامل والحزب الوطنى .. لتقول

ان انجلترا التى تحتـل مصر هى الخطر الحقيقى على مستقبل مصر ، اما الباب العالى ، وعلى راسه خليفة المسلمين ، فيجب ان يكون التحالف الحقيقى معه ، ليكون عونا على تحـرير العالم الاسلامى من نير الاستعمار .

وتركيا من جانبها شجعت تلك الحركة بهـدف استعادة نفوذها فى مصر . ومما يذكر ذلك ما جاء فى مذكرات احمد شفيق باشـا ، من عباس باشـا .. الـذى حـاول ان يتقدم عليه فى البروتوكول . هذا باضـافة الى قيـام الاتراك بانشاء نقطة عسـكرية عند القصيمة ، واخرى فى الكونتيلا ، وكلا الموقعين داخلين فى حدود سيناء بالطبع وكما ان السـلطان العثمانى ـ وهذا يفصـح عن نوايا الأتراك ـ انشأ قائمقامية فى بير سبع القريبة من سـيناء عام ١٨٩٩ .

ونتيجة لذلك رات الحكومة المصرية ان تطلب من حـكومة الباب العالى تعيين لجنة مختلطة من المصريين والاتراك لتحـديد الحدود بين سيناء والممتلكات العثمانية فى الحجـاز والشام ، خاصة بعد رحلة (براملى) الانجليزى ، الذى ذهب الى سـيناء وشاهد على الطبيعة محاولات الاتراك .. لدرجة انهم وضعوا فى العقبة حامية بقيادة رشدى باشا ، برتبة لواء .. واعتبروا ان طابا من حدود العقبة .

لكن تستجب الحكومة العثمانية لاقتراح اللجنة ..

ونتيجة لذلك أرسلت مصر حملة برئاسـة سعد بك رفعت قومندان سيناء ـ كما يذكر نعوم شقير ـ ومعه براملى ، لاحتـلال طابا « لكن قومندان سيناء لم يستطع النزول الى طابا » ..

هذا التحرك المصرى فى سيناء ، جعل الصدر الاعظم يرسل

برقية الى عباس باشا فى ١٩ ابريل ١٨٩٢ ، يرجوه فيها بالا يحدث تصادما بين جنود سعد بك رفعت وبين الحامية التركية فى طابا .
ويقول له كما جاء فى نص الرسالة التى اوردها احمد شفيق باشا ، ما يلى :

« ... ومن حيث أن هذه الحالة ربما جاءت بنتيجـــة قد لا تتفق مع الرضا العالى ، ومن حيث أنه يفهم انـكم لـــم تعطوا تنبيهات من قبلكم ، فنرجو حميتكم وديانتكم أعلم بهمـا ، العمل بسرعة على ملافاة هذه الحالة » .

وقد كان الاتراك يريدون احراج عباس باشا ، واجبـاره على الاصطدام بالانجليز ، والا يفقد شعبيته .. خاصـــة وأن مصطفى كامل والحزب الوطنى كانت وجهة نظره تتفق مع وجهة نظر الباب العالى .

وقد رد عباس على الصدر الاعظم - كما يقول احمد باشا شفيق - بأن استدعى بطرس غالى باشا وتفاهم معه . ثم تقرر سحب القوة المصرية من طابا الى جزيرة فرعون . وأرســـــل الى الصدر الاعظم خطـــابا يؤكد فيه أن طابا من الحـــدود المصرية ، ويطلب منه ارسال مندوب من قبله ليتفق مع المنـدوب المصرى على تعيين الحد الفاصل بين الحدود .. لكى لا يحـدث تصادم فى المستقبل .

ويرســـل الباب العالى برقية يقول فيها بخبث « لعـــدم وجود خـلاف بنقطة طابا المجاورة للعقبة ، فلا محل لتعيين خط فاصل ، ونرجو بذل همتكم فى منع الخطر الذى يحدث فى أنشاء نقطة عسكرية هناك » .

والواقع انه من خلال المراسلات بين الباب وعباس حلمى - تلك التى فصـــلها نعوم بك شقير - ظهر أن لتركيا اطمــــاعا فى

طابا ، بل أطماعاً فى شبه جزيرة سيناء كلها ، أو جزء منها على الاقل . وهذا مما أقلق الانجليز ، ودفعهم الى ان يرسلوا البارجة « ديانا » الى العقبة فى ١٤ فبراير ١٩٠٦ لتخويف الباب العالى ، كما أرسلت بريطانيا البارجة « مينيرفا » الى رفح ، بعد أن جاءت القوات التركية ، وأقامت فى رفح فترة . بل ان البريطانيين لكى يرهبوا الباب العالى ، قاموا بمظاهرة بحرية امام الشواطىء التركية نفسها .

وقد كان من نتيجة تحرك بريطانيا السياسى والعسكرى ، ان ارسلت تركيا الى مصر ، لتتفاوض معها . وقبل الخديو مبدأ التفاوض . وكما يقول دكتور يونان لبيب رزق فى بحث له عن « ازمة العقبة » المنشور بالمجلة التاريخية المصرية ان تركيا حاولت بكل وسيلة سلخ سيناء عن السيادة المصرية ..

وقد تم ارسال وفود كثيرة بالتبادل بين مصر والاستانة ، وفى مايو ١٩٠٦ أرسلت بريطانيا انذارا الى الحكومة التركية تدعوها فيه الى اخلاء طابا فى مدة أقصاها عشرة أيام ، بالاضافة الى عودة الجنود الاتراك فى رفح الى الحدود القديمة ، واعادة الاعمدة على الحدود فى رفح ، تلك التى كانت قد انتزعتها القوات التركية عندما نزلت فى رفح ، وهى اعمدة تحدد الحدود ، واعمدة تلغراف .

وقد رضخت تركيا فى ١٣ مايو ١٩٠٦ . وبعث توفيق باشا ، الصدر الاعظم رسالة جاء فيها ان : « اخلاء طابا قد تقرر ، وصدرت الاوامر بذلك » ... وانه قد قرر الرأى على أن الضباط اركان حرب الموجودين الان فى العقبة ، والموظفين المنتدبين من قبل سمو الخديو يعرون معا فى الامكنة اللازمة ؛ ليجروا التحريات الفنية على مقتضى القواعد الطوبوغرافية ، ويعينوا على خريطة ، النقط الطبيعية التى يكون بها ضمان

الحالة الحاضرة ، وبقاء القديم على قدمه فى شبه الجزيرة ، وان يرسموا خطا للحدود ، يبتدىء من رفح بقرب العريش ، ويتجه جنوبا بشرق على خط مستقيم تقريبا الى نقطة خليج العقبة ، تبعد على الاقل ثلاثة اميال من العقبة » .

وبعد جلسات ومناقشات ، امتدت من ٨ الى ٢٢ يولية ، نوقشت المشروعات والاقتراحات ووجهات النظر ، ثم رجعت اللجان الى حكومتيها فى ١٣ سبتمبر ١٩٠٦ وتم الاتفاق بين حكومة مصر وحكومة تركيا على الآتى :

ـ النقب من رأس طابا الشرقى الى نقطة المفرق يكون للعقبة اما المفرق نفسه وآبار ما بين عين قديس والقديرات والقصيمة فتكون لسيناء ، وبذا يكون خط الحدود من المفرق الى رفح خطا مستقيما ، كما اقترحته اللجنة المصرية .

ـ تقام أعمدة على طول خط الحدود للدلالة عليها بحضور مندوبين من الجانبين .

وفى أول اكتوبر ١٩٠٦ وقع مندوبا الدولتين على الاتفاق على خط الحدود . وقد ظلت هذه الحدود هى حدود مصر الثابتة ، لتنفرج بعدها ازمة طابا ، او حادثة طابا .. كما سمتها الصحف المعاصرة .. او أزمة العقبة ، كما سمتها الوثائق السرية البريطانية المعاصرة .

وقد اجتذبت الازمة ـ ازمة طابا ـ الراى العام المصرى . الذى انقسم ازاءها ، كما يقول د. أحمد عبد الرحمن مصطفى فى بحث له بعنوان « حادثة طابا ١٩٠٦ » فى مجلة الهلال بتاريخ يونية ١٩٧١ ..

فالبعض من دعاة حركة الجامعة الاسلامية ، ساندوا

الحكومة العثمانية من قبيل الولاء للسلطان العثمـانى ، الذى كان لا يزال صاحب السيادة على مصر .

ورأى آخر انه لا يجب التنازل للسلطان عن اى جـزء من الاراضى المصرية ، بحكم أن مصر مقيض لها ان عاجلا وان آجلا أن تستقل عن كل من انجلترا وتركيا .

لكن ..ابدى معظم المصريين استعدادهم للتضحية بمصالحهم الخاصة فى سبيل التعبير عن كرههم للاحتلال البريطانى .

ومن الذين وقفوا بجانب تركيا .. مصطفى كامل ورفاقه الذين اجتمعوا .. وكان هذا الاجتماع يعتبر بمثابة نشأة الحزب الوطنى ، وقد رفض مصطفى كامل الاعتراف بحـق انجلترا فى حماية مصر ، وطالبها بسرعة الجلاء ، ووقف الى جانب تركيـا مدافعا عن دولة الخلافة جهد طاقته .. وضد الخديو عباس .

وقد أوضح مصطفى كامل موقف الخديو عبـاس من حادثة طابا ، فقال :

« منذ بضع سنوات دب اليأس فى قلب الخديوى ، بعد أن سلبه كرومر كل سلطة سياسية ، فاتجه الى محاولة جمع المال . وكان باستمرار محبا لجمع المـال . ثـم وقع تحت تأثير الملك ادوارد الذى أفهمه أن حياته ستخلو من المتاعب ، وانه سيسـمح له بالاثراء اذا لم يثر أية متاعب فى وجه كرومر لهـذا ترك كرومر يفعل مايشاء . وظل على هذا الاتجـاه حتى عام ١٩٠٦ حـين اصطدم كرومر بالسلطان فى حادثة طابا . وكان الخديوى خلال المرحـلة الاولى من الازمة مطواعا . لكن حين قدمت انجلترا انذارها ، وبدا أن مصر كلها تسـاند السـلطان ، بل بدا أن الفلاحين فى القرة يعلنون تفضيلهم سوء حكومة السـلطان على الطغيان الانجليزى ، بدأ عباس يتأمل ويفكر » .

والحقيقة أن انقسام الرأى العام المصرى خلال أزمة طـابا ، أدى الى ظهور حزب الامة ، والحزب الوطنى . كما انه ــ كمـــا ذكرنا ــ ادى اعتراف تركيا بخط الحدود المصرية من رفح الى راس خليج العقبة ، الى الاعتراف بمصرية الســـــاحل الغــربى لهذا الخليج من النقطة الواقعة غرب العقبة وبثلاثة اميـــال الى مدخله فى الجنوب . وكانت تركيا حين نشأت الازمة تود الاستيلاء على خليج العقبة ، وتصر على أن الحدود المصرية تمتـــــد من العريش الى السويس . ولما تراجعت .. وتنازلت عن السويس ، لتمد خط هذه الحدود بين رفح ورأس محمــــد . ثم ما لبثت أن اقرت الحقيقة التاريخية الخاصة بأن سيناء جزء لا يتجـــزأ من مصر . ولو تحققت الادعاءات التركية ، لتم تهديد قناة السويس، ولتم التنازل عن حقوق مصر التاريخية المقــــررة على الساحل الغربى لخليج العقبة .

لكن .. تركيا لم تتخل نهائيا عن الاهداف التى من أجلها أثارت حادثة طابا .. فلما كانت قد انضمت الى ألمانيـا ضــــد انجلترا وحلفائها أثناء الحرب العالمية الاولى ، فانهـــــا أرسلت قواتها فى فبراير ١٩١٥ الى قناة السويس .. املا فى احتــــلال مصر ، واملا فى ثورة المصريين على الاستعمار البريطانى .

وقد اشترك فى الحملة التركية كل من كانوا فى الاستـــانة من المصريين ــ بعضهم متطوعون يشتركون فى الاعمـال الحربية ، والبعض الآخر كملحقين للقيام بأعمــــال مختلفة كالتمــــوين والترجمــــة ــ وكان من المقرر أن يتولى الخديو عباس ــ والذى خلعه الانجليز فى أوائل الحرب ــ قيادة الحملة عـلى مصر ، وأن يدخل البلاد على رأس الجيش الفاتح ، وباحتفــــال عظيم ، يصحبه محمد فريد رئيس الحزب الوطنى وقتئذ ، والذى كان قد تصالح مع الخديوى للتضافر معه فى خدمة الوطن .

بل .. لقد تعرضت مصر للهجوم من ناحيـــة الغرب ، من

جهة ليبيا ، فقد قام السيـد احمـد الشريف ، تحت ضغط الضباط الاتراك والالمان الذين جاءوا عـام ١٩١٥ لاثارة برقـة للقيام بحملة عسكرية على مصر .. القصد منها ارغـام الانجليز على القتال على حدود مصر الغربية ، ليخـلوا الجو للاتراك على الحدود الشرقية ..

لكن .. فشـل الهجوم على مصر ، سـواء من ناحيتهـا الشرقية او الغربية .. وما لبث الانجليز ان جعلوا من مصر القاعدة الرئيسية للقضاء على النفوذ التركى فى الشرق العربى .

وهذه بعض الملامح من تاريخ سيناء .. وبعض الملامح ايضا التى حاولت فصـل اجزاء منها .. لكن سيناء ظلت ارض مصرية لحما ودما وترابا ورملا .

الفصـــل الرابع

سيناء .. والصهيونية

اول مواقف مصر ضد المطامع الصهيونيـــة

فى كتابنا «اليهود والحركة الصهيونية فى مصر » الصادر فى يونية ١٩٦٩ .. ذكرنا ان البداية الحقيقية للحركة الصـهيونية ، جاءت فى عام ١٨٩٧ .. ففى هذا العام انعقد أول مؤتمر فى مدينة بال السويسرية .

وهذه الحركة الصهيونية ، يعود الفضل فيها الى مؤسسها تيودور هيرتزل ، وهو صحفى صهيونى عاش فى النمسا ، وهو أيضا الذى استطاع ان يدعو الى الحركة الصهيونية ، حتى نجح فى عقد المؤتمر الصهيونى الأول فى سويسرا . وهو الذى خطب فى اول مؤتمر صهيونى قائلا : « اننا هنا نضع حجر الاساس فى بناء البيت ، الذى سوف يؤدى الأمة اليهودية » .

وتيودور هيرتزل هو صاحب كتاب « دير جودنشتات » .. اى الدولة اليهودية .. وقد أبرز فيه كيف أن اليهود لا بد لهم من دولة ، وان تكون هذه الدولة فى أرض الميعاد ، فلسطين .

وهذا « البيت » الذى قصده تيودور هيرتزل فى خطابه الى المؤتمر الصهيونى الاول .. هو فلسطين بالطبع . وعلى الصهاينة ان يعملوا لتاسيس الوطن القومى اليهودى .

ويقول محمد فيصل عبد المنعم فى كتابه « فلسطين والغزو الصهيونى » :

كانت بداية بعث الحركة الصهيونية الحديثة المؤتمر الصهيونى الاول فى « بال » والذى أعقبه عدة مؤتمرات صهيونية .. انتهت الى اتخاذ القرارات الاساسية لتنظيم الحركة الصهيونية ، والتى يمكن عرضها اجمالا ، وبايجاز فيما يلى :

١ ــ تشجيع استعمار فلسطين بواسطة عمال زراعيين وصناعيين من اليهود .

٢ – تنظيم يهود العالم وجمع شتاتهم بواسطة المؤسسات المحلية والدولية .

٣ – تقوية وتنمية شعور اليهود الوطنى .

٤ – القيام بمساع لدى مختلف الحكومات للحصول على موافقتها على أهداف الحركة الصهيونية .

٥ – تكوين « الكيرين كايميت » او الصندوق القومى اليهودى لشراء أراضى فلسطين من أصحابها . وتكوين « الكيرين كيسود » للانفاق على عمليات تهجير اليهود – بعد تدريبهم الى فلسطين .

٦ – تأسيس شركة يهودية لشراء الأراضى الفلسطينية .

٧ – اعتبار اللغة العبرية الحديثة لغة التخاطب الرسمية للحركة الصهيونية .

وعلى هذه الأسس بدات الحركة الصهيونية العمل .

لجأت الصهيونية الى القيصر غليوم الثانى ، وكانت الصهيونية تعرف ان له احلاما فى الشرق .. لكن رغم تعدد المحاولات رفض القيصر احلام الصهاينة ..

والواقع ان هيرتزل والصهيونية لم يطالب فى بادىء الامر بفلسطين .. فمن المعروف انه كانت هناك أماكن بديلة مثل قبرص ، والارجنتين ، وأوغندة ، وكندا .. كأماكن لاقامة الدولة الصهيونية عليها .. لكن رغم هذه الاماكن ، فان فلسطين كانت هدفا أسمى . وكما يقول هيرتزل فى مذكراته : « انى افكر فى اعطاء الحركة هدفا اقليميا ، واترك صهيون « فلسطين » ليكون الهدف النهائى ، وربما استطعنا ان نطالب انجلترا بقبرص ، ونفكر فى جنوب افريقية وأمريكا ، حتى تنحل تركيا ، وهذا أفضل بكثير » .

وهذا يعنى .. ان تفكير اليهود فى فلسطين وان كانت المطالبة بفلسطين غير ملائمة ــ فهى ، اى فلسطين ، فى النهاية كانت هدف الصهيونية النهائى والاخير لاقامة الدولة الصهيونية .

والحقيقة انه على اثر فشـــل هرتزل مع القيصر ، قرر أن يتجه مباشرة الى السلطان العثمانى ، باغرائه ان يتــولى اليهود اصلاح ميزانية رجل اوربا المريض .. كمـــا عرض شراء أرض فلسطين بقرض كبير يعطى لتركيا ..

لكن كل هذه المحاولات صادفت الرفض والصـــــد من جانب السلطان العثمانى .

وكما يقول محمد فيصل عبد المنعم ، ان معارضة السلطان عبد الحميد لبيع فلسطين لليهود ، انما كانت تنبـــع اساسا من المستوى المتهالك ، الذى كانت قد وصلت اليه الدولة العثمانية . فلم يتمكن السلطان من الوقوف رسميا وبصراحـــــة الى جانب مشروع هيرتزل .

وفى كتاب « اسرائيل هل هى سامية ؟ » للمؤلف محمـــد عمارة تدعيم لهذا الرأى ، حيث يعتبر ان ضعف الدولة العثمانيـة فى نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، كان يفرض على دوائرها الرسمية أن تمعن فى اسـتغلال الدين الاســـلامى ، كمنقذ لها من المصير الرهيب الذى ينتظرها ، والانهيـــار الذى يلوح لها صباح مساء . فلقد كانت تحكم العــرب ، لا لشىء الا لانهـــا دولة مسلمة ، تستعبد الولايات العربية باسم الاسلام . وما كان لها أن تسحب الارض من تحت اقدامها ، وتهدم عشها بيديها بتفريطها فى فلسطين للصهيونيين ، لان هذه البقعـــة من الارض العربية ، انما تمثل بالنسبة للمســـلمين أكثر من « مكان قومى » اذ انها تعنى بالنسبة لروحانياتهم ، احـــدى القبلتين التى شرفت يوما بالتفاف قلوب المسلمين حولها عند الصــلاة ،

واستقبال وجوههم لها ، وهم وقوف بين يدى الله . ولذا فما كان للاتراك الضعفاء المتهالكين على استغلال الدين الاسلامى ، الساترين عوراتهم بغلالاته أن يضربوا عرض الحائط بهذا الجو الروحي والقومى الذى يغلف علاقات العرب بفلسطين ، فيتحالفون صراحة مع الصهيونية .

وهذا يعنى ان الاتراك كانوا على استعداد للتفريط فى فلسطين .

على أن هيرتزل لم ييأس ..

فبعد أن فشل فى اقناع سلطان تركيا باسكان اليهود فى فلسطين والحصول على ترخيص لاستعمار يهودى فى فلسطين ، ركز اهتمامه على انجلترا .

وكما يقول د. أنيس صايغ في تقديمه لترجمته « يوميات هيرتزل » .. ان هيرتزل كان يعى استحالة تحقيق هدفه بانشاء دولة صهيونية على ارض فلسطين ، بدون ان يمهد لذلك الانشاء ، وبدون أن يدعم ذلك الانشاء ويحميه بعد قيامه .. بتعاون وثيق بين حركته الصهيونية الناشئة ، وبين بعض دول أوربا .. على أساس أن هذا التعاون يمكن الصهيونيين من تحقيق غرضهم وحماية دولتهم ، مثلما يمكن هذه الدولة الاوربية التى ستساعده من تحقيق مصالحها وخدمة اهدافها الاستعمارية . السياسية أو الثقافية ، أو الاقتصادية .. فى منطقة مهمة من العالم . وكما قال هيرتزل فى كتابه « الدولة اليهودية » سنكون نحن جزءا من السور الاوربى المرفوع فى وجه آسيا . سنكون نحن فى الصفوف الاولى من الجبهة ، وحماة المدنية وخفراءها ضد البربرية » .

والواقع أن الصهيونية فى سبيل تحقيق هدفها طرقت كل الابواب التى يمكن أن تساعدها .. ففى نفس الوقت الذى بدأ فيه هيرتزل يطرق باب انجلترا ، كانت له اتصالات كثيرة مع كل

القوى، حتى المتصارع والمتنافر منها، مثل بسمارك، ورجال البابا في روما، وقيصر المانيا، وآل روتشيلد، وغيرهم من مواطنى هذه الدول من اليهود . وفى كل اتصالاته مع هذه القوى، كان - فى سبيل الوصول الى هدفه - يزعم ان الصهيونية تعمل لها وحدها، بل انه كان يحرض هذه الدول ضد بعضها لصالح الحركة الصهيونية . لقد استخدم هيرتزل كل الوسائل لتحقيق الهدف، حتى الرشوة . وفى البحث الذى كتبه الاستاذ صبرى ابو المجد على حلقات فى مجلة المصور خلال عام ١٩٧٨ بعنوان « الصراع العربى الاسرائيلى » نجد الكثير مما فعله هيرتزل، وفعله خلفاؤه، وما فعلته الصهيونية حتى استطاعت أن تحقق وعد بلفور أولا .. ثم الدولة الصهيونية فى فلسطين استثمارا لهذا الوعد .

● ● ●

ان القصة طويلة، وليس هنا مجالها .

وانما الذى يعنينا هنا سيناء وعلاقتها بالصهيونية .

فالصهيونية ازاء فشلها مع الذين حاولت معهم مساعدتها فى اقامة دولة فى فلسطين، نقلت نشاطها الى بريطانيا، والتى كانت لها فى ذلك الوقت تطلعات استعمارية واسعة النطاق فى منطقة الشرق الاسط الحالية . كما كانت تحتل مصر، وتقبض على زمام الامور فيها، وتلعب بحكامها كيفما تشاء .

وسيناء تبدأ علاقتها بالصهيونية فى صيف ١٩٠٢ :

وتقول جالينا نيكيتينا، الكاتبة السوفيتية فى مؤلفها « دولة اسرائيل » أنه فى عام ١٩٠٢ تعاون قادة الصهيونية مع الامبرياليين الانجليز . ففى هذا العام تقابل هيرتزل مع اللورد روتشيلد صاحب بنك لندن، وعرض عليه « مخططا فلسطينيا » لانشاء مستعمرة يهودية فى الشرق الاوسط بمساعدة بريطانيا . وفى خريف نفس العام تحدث هيرتزل مع جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات البريطانى، والذى أبدى من جانبه تفهما كاملا

للانطـــلاق ، لان الاراضى الخاليـــة فى سيناء كانت تهم الوزير الانجليزى لاسباب كثيرة . وفى نفس العام ذهبت الى شبه جزيرة سيناء بعثة من الخبراء الانجليز . غير أن المشروع الاســـتعمارى اليهودى لفلسطين تحت رعاية انجلتـــرا فشل بسبب موقف تركيا العدائى .

وهيرتزل لم يتجـــرأ مع بريطانيـــا ، الا لان الكثير من الاصدقاء البريطانيين شجعوه على ذلك . فقـــد لمس اصرارهم حين زيارته لبريطانيا فى نوفمبر ١٨٩٥ ، عندما تناول الغداء عند النائب البريطانى السير صمويل مونتساجو ، الذى كان يدعو الى فلسطين الكبرى .

● ● ●

ذهب هيرتزل الى لندن وكانت تحت حكم المحـــافظين . وكانت هذه الحكومة تشكو من سيل الهجرة اليهودية اليها ، على أثر المذابح التى حدثت لليهود فى أوربا . وهذه الهجرة اليهـودية -- بالطبع -- تزيد عدد العاطلين فى بريطانيا . ولو وقفت حـــكومة المحافظين أمام هذه الهجرة فستواجه مشاكل داخلية ، لان الراى العام البريطانى سيعارض فى ذلك . خاصة وأن انجلترا كان فيها الكثير من اليهود الذين يتعاطفون مع الحركة الصهيونية .

وقد بدأ هيرتزل هذه الفرصة ، حين اقترح على الحـكومة البريطانية ، تحويل افواج اللاجئين اليهود الى قبـرص ، بشرط أن تتنازل بريطانيا عن قبرص لليهود .. وكان هـذا الاقتراح قد سبق عرضه على السلطان العثمانى .. وهو أن تتنازل بريطانيا عن قبرص للباب العالى فى مقابل أن يرضى الباب العالى باعطاء فلسطين لليهود .

والحقيقة انه فى لندن تحرك هيرتزل سريعا .. فقـــد قابل لوردتشايلد ، وهو رجل مالى يهودى .. واتفق معه على الضغط

على الحكومة البريطانية . كما اتفق مع صحفى يهودى يعمل فى انجلترا هو جاكوب جرينبرج ، لكى يمهد له لقاء مع جوزيف تشمبرلين . وكان جرينبرج هو أحد أعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية .

ولقد انتهى اللقاء بالاتفاق مع الحكومة البريطانية على استعمار منطقة العريش فى شبه جزيرة سيناء . على اعتبار أن منطقة العريش ستكون نقطة وثوب الصهاينة الى قبرص ، ومن قبرص الى فلسطين .. أو وثوب الى فلسطين مباشرة .

والواقع أن رئيس الوزارة البريطانية آرثر جيمس بلفور فى ذلك الوقت ، قد وافق على استيطان منطقة العريش . وكان فى رايه أن هذا الاستيطان يخدم الامبراطورية البريطانية فى مد نفوذها الى فلسطين . ثم انه يحل مشكلة الهجرة اليهودية الى بريطانيا .

وبالفعل فان الحكومة البريطانية عرضت استعدادها لتزويد هيرتزل بكل التوصيات اللازمة الى اللورد كرومر ، رجلها فى مصر وكان مشروع العريش يقضى بمنح اليهود حق امتياز على الاراضى الواقعة فى شبه جزيرة سيناء والتى تحيط بمنطقة العريش ، فى مساحة ٦٣٠ ميلا مربعا .

وحول هذه النقطة ، ننقل هنا ما ورد فى « مذكرات هيرتزل » .. التى ترجمتها هيلدا شعبان صايغ .. فيما يختص بلقاء هيرتزل مع تشمبرلين فى ٢٢ اكتوبر ١٩٠٢ .

« ... بعد ذلك سرت الى عرض خطتى التى تبدأ بتهيئة الجو لصالحنا فى قبرص . يجب أن ندعى للذهاب هناك .. ان تأسيسنا للشركة اليهودية الشرقية برأسمال قدره خمسة ملايين جنيه للاستيطان فى سيناء والعريش ، سوف يحمل القبارصة على تمنى هذه الامطار الذهبية فى جزيرتهم ايضا .

سيرحل المسلمون ، وسينتقل اليونانيون عن طيب خاطر ، بعد ان يبيعوا اراضيهم بأسعار جيدة الى اثينا وكريت » .

ويضيف هيرتزل قائلا فى مذكراته :

« وقد راقته ـ أى تشمبرلين ـ هـذه الفكرة ، ولكنه قال انه لا يستطيع أن يقرر اى شيء بخصوص العريش او سيناء ، لان الحكومة لابد ان تسمع الى راى لورد كرومر فى الامر ، لانهم يحترمون رأيه كثيرا . ولكن لسوء الحظ لورد كرومر ليس هنا ، لقد ذهب الى مصر . . » .

ويستطرد هيرتزل فى مذكراته ، انه طلب من تشمبرلين ان يبعثه شخصيا الى اللورد كرومر . وقد رد عليه تشمبرلين ، بأن هذا يستدعى الاتصال بوزارة الخارجية .

وقال هيرتزل لتشمبرلين : « هنـاك أراض خاليـة فى العريش وسيناء ، تستطيع انجلترا أن تعطينا اياها ، ويكون لها بدل ذلك زيادة فى قوتها وولاء عشرة ملايين يهـودى . قلت له ذلك مما ترك اثرا فى نفسه . ثم جابهته بالسـؤال التالى : هل تقبل ان نقيم مستعمرة يهودية فى شبـه جـزيرة سيناء ؟ . واجاب نعم اذا رضى اللورد كرومر بذلك .

وفى لقاء هيرتزل باللورد لانسدون وزير خارجية بريطانيا ، يصفه قائلا :

« ... استمع الى بكل لطف ، وسأل بعض الاسئلة ، ثم طلب الى أن أقدم له مذكرة خطية عن الامر .. وقال انه سيكتب الى اللورد كرومر شخصيا ليطلب رأيه ، وذلك عنـدما قلت له اننى سأبعث بجرينبرج الى اللورد كرومر حالا . ثم ذكـرنى ان لورد كرومر قد يكون ذهب الى الجنوب . واضاف انه مستعـد ان يعطى جرينبرج رسالة تقديم الى لورد كرومر » .

ويقول هيرتزل فى مذكراته :

« بعثت جرينبرج الى مصر ، وقد وصلنى منه برقية من القاهرة ، انه قد وصل الى هناك منذ يومين ، وانه سيعود غدا . وان كل شيء على ما يرام . وعاد جرينبرج من القاهرة بنصر عام . لقد نجح فى استمالة اللورد كرومر الى قضيتنا ، وايضا بطرس غالى باشا — وزير الخارجية المصرية — وبعض ذوى النفـــوذ الانجليز امثال مستر بويل ، وكابتن هنتر » .

● ● ●

وتقـــول المذكرات أن هيرتزل بعث الى مصر لجنة عرفت باسم (اللجنة الصـهيونية) لدراســة منطقة العريش . وقـــد تكونت هذه اللجنـــة من المهندس المعمـــارى أوسكار مرموك . وليوبولد كسلر مهندس المناجم وج هـ . ستيفنس مهنـــدس الزراعة . وواربورج أحـــد خبـراء الزراعة فى فلســطين . ود . سوسكن المهندس الزراعى ومدير مزارع اليهود فى فلسطين وجنينج — براملى من العاملين البريطانيين بالسودان . والكولونيل جولد سميد . وجرينبرج الذى كانت مهمته تقديم اللجنـــة الى اللورد كرومر .

وقد وصلت البعثة الى مصر فى ٣ فبراير ١٩٠٣ . وذهبت الى سيناء ، ومكثت فيها نحـــو شهر ، وفى ٢٦ مارس ١٩٠٣ انتهت اللجنة من اعداد تقريرها فى الاسماعيلية .. وفى هذه الاثناء كان جرينبرج يتفـــاوض مع اللورد كرومر والحكومة المصرية للحصول على امتياز لانشـــاء شركة تقوم باســـتيطان اليهود لسيناء ..

بل انه ، وكما جاء فى مذكرات هيرتزل ، فانه هو نفســـه قد وصل مصر فى ٢٣ مارس ١٩٠٣ ، وزار اللورد كرومر بعـــد يومين من وصوله ، لكى يرتب معه الامور ومع الحكومة المصرية .

وقد سجل هيرتزل ما حدث يوما بيوم خلال هـــذه الفترة في مذكراته قائلا : القاهرة في ٢ ابريل :

« كان أمس يوما خاويا . لا أدرى اذا كان ذلك اليوم طيبا ام سيئا بالنســـــبة لنا . فمشروعى عن حق الامتياز فى منطقة العريش كان جاهزا وموافقا عليه ، ولكن ماذا ســيكون تأثيره على الحكومة المصرية » .

« اعتقد انه من الخطأ اننا عهدنا الى « مى الوريث » بمشروع جرينبرج ، لانه يحتوى على الكثير من التفاصيل . بينما مشروعى يتضمن القليل من التفاصل ، ولا ملامح وقســـــمات المشروع غير العدائى ، باختصار .. فلننتظر .. »

القاهرة فى ٣ ابريل :

« امس وبعـــد غروب الشمس ، كنت مع جولد سانلز ، لدى « مى الوريث » واستقبلنا الاخير بملابس التنس .. وكان عائدا لتوه من نادى الجزيرة الرياضى .

« فى هذه المرة قابلنا وهو يبدو عليه الشك فى أن مشروع الامتياز سيتاح له النجاح . ويبدو لى أن المســـتر برنيـــانت ذلك الانجليزى الذى كان يرتدى الطربوش قد غير فكره ، وعلى أى حال ، فان المسألة لن تكون مسألة مشروع مقابل مباشرة ، وانما سيكون بحثها بواسطة مجلس الوزراء .. ان اتساع رقعة الاقليم الذى طالبنا به هو نقطـــة الاعتراض الاساسية . انهم يريدون أن يعطونا أراض ، ولكنهم لا يريدون اعطاءنا اقليما .

« وقلت .. لكننا لا نقبل الا الحصول على اقليم موحد .. اننا لسنا من المضاربين العقاريين مثل الذين تجدونهم فى مصر .

« وقال جولد ســـــانلز : ان الارض لا قيمة لها ، ان علينا أولا أن نفعل شيئا » .

« وقال مى الوريث : وما هى مدة العقـد : خلال ٩٩ عاما ستفقد الحكومة المصرية حقها فى ادارة الارض · ماذا لو أنكم لم تبذلوا الجهود الكافية لضمان النجاح ؟

« وكان ردى على مى الوريث : انه يمكن النص على ذلك فى العقد · فالامتياز ممكن أن يلغى اذا لم ننجح بعـد عشرين سـنة فى أن نستخدم مليونين من الجنيهات فى الاستثمارات ·

والحقيقة أن البعثـة اليهودية التى ذهبت الى العريش ، وضعت تقريرا قالت فيـه ان المنطقة فى حالتها الراهنة لا يمكن السكنى فيها ، اما اذا توافر لها الماء فيمكن السكنى فيها ، وقد حاول هـذا التقرير — بخبث — الا يلفت النظر الى ما فى المنطقة من ثروات .. حتى لاترضى مصر ، لكن مصر رفضـت مطـالب البعثة الصهيونية ، وقد رفضها ايضا اللورد كرومر ·

وكانت وجهة نظر مصر تتلخص فى الآتى ، كما جاء فى خطاب بطرس غالى باشـا وزير الخارجية ، الى المستر جرينبرج فى ٢٢ فبراير ١٩٠٣ ·

« ان حكومة حضرة صاحب السمو الخديوى ، اخذت علما باقتراحاتكم بشأن الحصول على امتياز ، لانشاء شركة تقوم باستيطان اليهود فى شبه جزيرة سيناء ·· الا أن الحكومة المصرية لا تستطيع ، وفقا للفرامانات الشـاهانية ، لاى سبب أو مبرر التنازل عن جزء أو كل من الحقوق المتعلقة بالسيادة · ولذا فانه يجب أن تستبعد بصـفة قاطعة كل فكرة ترمى الى الحصول على اتفاقات من هذا النوع . ومع ذلك فاذا تكونت شركة وفقا للقوانين المصرية لاستغلال أراضى سيناء ، فلا ترى الحكومة المصرية مانعا من عرض الامر على مجلس الوزراء ، على أساس المبادىء الآتيـة التى يجب اعتبارها ثابتة لا نزاع فيها ··

وهذه المبادىء هى :

يشترط فى الوافدين ان يكونوا من رعايا الدولة العلية ، وان يعود كل منهم ذلك كتابة ، وان يقبل اختصاص المحاكم الأهلية والسلطات الادارية المصرية المطلق فى جميع المسائل .

ويجب أن ترفق بهـذا الاقرار شـهادة من السـلطات المختصـة الوافد منها المهاجر تقرر فيها أن اكتسابه الجنسية العثمانية قانونى ، وانها لن تطالب بأى حق من حقوق مصر . . علماً بأنه سـيراعى فى تطبيق الأحوال الشـخصية ، الشروط الخاضعة لها الملل غير الاسلامية » (1) .

والواقع ان هذه الشروط التى وضعت بحذق ، والتى جاءت فى خطاب بطرس غالى باشا ، قد سـدت المنافذ أمام كل محاولة صهيونية لاستعمار منطقة العريش ، ولمحاولة الصـهيونية اقامة دولة داخل دولة مصر .

وهذا الانتصـار على مشروعات تيودور هيرتزل ، هو فى الحقيقة أول موقف وقفته مصر ضد المطامع الصهيونية .. وضـد آمال هيرتزل بصفة خاصة .

وجدير بالذكر ان هذا الخطاب لبطرس غالى باشا ، ارسل منه نسخة الى الحكومة البريطانية . وقـد قام بارسـاله اللورد كرومر ..

وقد زاد اللورد كرومر على ذلك ، بأن أرسل خطابا برأيه الى اللورد سنودرز وكيل الخارجية البريطانية فى ٢٨ مارس ١٩٠٣ يقول فيه :

« بخصوص موضوع مستعمرة يهودية فى شـبه جزيرة

---

(1) الخطابات المتبادلة بنصها الانجليزى موجودة فى كتاب (سيناء المصرية) لابراهيم ابن غالى .

سيناء ، ارسلت البعثة الفنية تقريرها ــ بعثة هيرتزل ــ وأهم مشكلة أمام المشروع هى توفير المياه · وهناك اقتراح بأخذ الزائد من المياه فى وقت الفيضان ، وتوصيله من تحت قناة السويس بسحارات ــ كما يقول تقرير البعثة ــ الا انه ليس فى استطاعتى ابداء الراى فى هذا الخصوص ، قبل استشارة جارستن ــ وكيل وزارة الاشغال بالحكومة المصرية ــ وهو لن يعود قبل شهر .. »

وحين عاد سير وليام جارستن .. بحث المشروع مع المفتش العام لرى الوجه البحرى .. وقد اتفقا معا على ان المشروع الصهيونى لا يمكن قبوله · وقد قال جارستن ان توصيل مياه النيل الى وادى الفرما من المشروعات غير العملية . وقال انه يتعارض مع مصالح الملاك المصريين .

ولدفن هذا المشروع الصهيونى ، ارسلت حكومة مصر ــ بعد تقرير جارستن ــ خطابا آخر ، بتوقيع بطرس غالى باشا الى المستر جرينبرج فى ١١ مايو ١٩٠٣ ، تعلن فيه رفضها للمشروع .

كما ارسل لورد كرومر الى لورد لانسدون بتقرير مفصل فى ١٤ مايو ١٩٠٣ قال فيه : « ارى بصفة قاطعة ونهائية انه يجب صرف النظر عن الموضوع » .

بل ان اللورد كرومر قال هذا الرأى للكولونيل جولد سميث ممثل هيرتزل فى مصر ، بعد سفر البعثة الصهيونية ·

على أن هيرتزل حتى هذه اللحظة لم ييأس فى تحقيق مشروعه فقد ارسل الى وزير الخارجية البريطانيه اللورد لانسدون خطابا فى ٥ يونية ١٩٠٣ يحوى آراء المهندس ستيفن ، احد اعضاء البعثة الصهيونية الى العريش ، حول امكانية استيطان مساحات شاسعة من سيناء .. تلك التى لم يفصح عنها فى البداية · لكن على نفسها جنت براقش كما يقولون : ولذلك فانه حين حاول أن يجعل اللورد لانسدون التوسط

مرة اخرى ، رفض لأن الحكومة البريطانية كانت مقتنعة بوجهة النظر المصرية .

وعلى أثر ذلك كتب هيرتزل فى مذكراته رسالة الى لورد روتشيلد فى ٢٣ مايو ١٩٠٣ يقول له : « ... انهارت خطتى لسيناء بكاملها » .

وفى مذكرات هيرتزل ايضا بتاريخ ١٦ مايو كتب يقول :
« ظننت أن خطة سيناء مؤكدة النجاح الى درجة أنى ما عدت افكر فى شراء مدفن للعائلة فى مقبرة دوبلنج ، حيث والدى مدفون مؤقتا . والآن أعتبر المشروع فاشلا الى درجة اننى اتصلت بالمسئولين ، وسأشترى المدفن رقم ٢٨ » .

وفى ٤ يونية ١٩٠٣ أيقن هيرتزل أن عليه أن ينسى مشروع العريش بصفة نهائية . ويدلنا على ذلك ما كتبه الى المؤرخ اليهودي الفرنسى « ريناخ » ينعى له مشروع العريش قائلا :

« يؤسفنى أن اخبرك أن المشروع الذى كاد أن يجمع بيننا قد انهار . فنحن لن نعطى ما نحتاج اليه من ماء النيل . وانا اشعر بخجل من توصيل هذا الخبر السىء لزملائك ، الذين لا بد انه سرهم أن يروا مجالا للالتجاء مفتوحا امام التعساء الذين يهمونك » .

وهكذا لم يستطع هيرتزل قبل وفاته عام ١٩٠٤ أن يحقق ما كتبه فى (الدولة اليهودية) عام ١٨٩٦ ، حيث ذكر : « امنحونا السيادة على قطعة من الكرة الارضية ، لها من المساحة ما يكفى لتلبية المتطلبات المشروعة ، ونحن سوف نتدبر أمر الباقى بأنفسنا » ..

الفصل الخامس

ســـنوات المعاناة

سيناء ٠٠ وضع جديد

لا شك أن الاحتلال البريطانى لمصر كان يضمر أمرا كبيرا ، وهو يتلاقى مع مصر ، فى الوقوف ضد محاولات الباب العالى ، حين أراد أن يقتطع جزءا من سيناء ، بتغيير حدودها الدولية القديمة .. ثم حين وقف اللورد كرومر مع مصر ضد هيرتزل فى اقامة دولة صهيونية فى منطقة العريش ٠

والواقع أن الاحتلال البريطانى لمصر ، لم يقف مع مصر من أجل سواد عيونها ، أو جوفا على مصالح الشعب المصرى .. انه كان يخطط من أجل مصالحه ٠

فالبريطانيون كانوا يرمون الى السيطرة على فلسطين ، والى السيطرة على قناة السويس ، والاخيرة هى الطريق الامثل الى درة التاج البريطانى فى الهند ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان بريطانيا كانت ترى فى الكتلة الجغرافية العربية ، خطرا هائلا على مصالحها وعلى مصالح الدول الاستعمارية المشتركة معها فى عملية النهب المنظمة لموارد وخيرات افريقيا وآسيا ٠ ويؤيد ذلك (تقرير كامبل) ، الذى وضع فى عام ١٩٠٧ ، وفيه انه اذا تكاملت الشعب العربى مقومات الترابط ، فان ذلك معناه (ضربة) قاصمة لعملية المد الاستعمارى ٠

فتقرير كامبل — كما أورد منه بعض الفقرات كتاب (فلسطين والغزو الصهيونى) لمحمد عبد المنعم — يناشد الدول الاستعمارية: (أن تعمل على استمرار المحافظة على وضع هذه المنطقة المجزأة ، متأخرة ٠ وعلى ابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وجهل ، وضرورة محاربة اتحاد هذه الجماهير أو ارتباطها بأى نوع من التلاقى الفكرى أو الروحى أو التاريخى) ٠

وكاجراء سريع ، أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الافريقى من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوى ٠

أيضا فان بريطانيا كانت ترى أن ضم سيناء الى فلسطين ، تضع حدا فاصلا بين مصر وفلسطين ، وتمكن لبريطانيا مركزا قويا

فى الشرق الاوسط ، مع اتصال سهل بين البحرين المتوســـط والاحمر ، وقاعدة استراتيجية واسعة النطاق ..

وكما جاء فى تقرير سكرتير الجنرال اللنبى الكولونيل ماينز تشاجن ، وفى مذكراته ، ان الورد اللنبى ارسل بمذكرة الى لويد جورج ، يقول له فيها : انمن‌صفات ضم سيناء الى فلسطين ، أنه سيحبط أية محاولة مصرية لاغلاق قناة السويس فى وجه الملاحة البريطانية . كما قال اللورد ماينز تشاجن ، ان ضـــم سيناء لن يثير أية قومية ضد الانجليز اذ أن البـــدو الرحل المقيمين فيهـا لا يتجاوزون بضعة آلاف) .. !!

ويعلق محمد فيصل عبد المنعم على ذلك فى حاشــية كتابه ، فيقول : أخطأ الكولونيل ماينز تشاجن ، حين اعتقد أن ضم سيناء الى فلسطين لن يثير قضية قوميــة ، اذ أن الحكومة المصرية قاومت كل محاولة لفصل سيناء عن مصر — سواء بواســطة الانجليز أو السلطان التركى — وبذلك بقيت سيناء — وستبقى — أرضا مصرية خالصة ، كما كانت منذ أن عرف التاريخ .

● ● ●

نجت سيناء من محاولات الصهيونية ، حتى قبيــل الحرب العالمية الاولى . ولكن ما أن قامت الحرب حتى تحولت ســيناء الى ميدان كبير ، لعدة معارك عسكرية .

فعندما أعلنت الحرب ، دخلت جيوش تركيا شــبه الجزيرة حتى وصلت الى قناة السويس ، فوجدت بريطانيا فى قنـــــاة السويس حاجزا طبيعيا يسهل الدفاع عنه . وكان وصول القوات التركية الى ضفة القناة فى يناير ١٩١٥ . ولقد حاولت عبور قناة السويس ومدت احــد الكبارى عند منطقة طوسون لكن القوات المصرية والبريطانية صدت الهجوم بقيادة الاميرالاى احمد حلمى .

وقد كانت القوة التركية مكونة من ثلاث فرق — حوالى ١٢ الف مقاتل ، بقيادة جمال باشا .. وكان القتال عنيفا تمكنت فيه

القوات المصرية والبريطانية من وقف الهجوم وفقد القائد المصرى حياته فى هذا الهجوم • لكن فى أغسطس ١٩١٦ تقـدم الجيش التركى عن طريق منطقة العريش ولثانى مرة هزم • وكانت قواته تربو على ٢٠ ألف مقـاتل •• كما يقول عادل غنيم فى كتابه (الحركة الوطنية الفلسطينية) من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ •

ومنذ هذا التاريخ ظلت القوات التركيـة على ضـفة قنـاة السويس،حتى بدأ الهجوم الكبير عليها ،والى ان استطاعت القوات البريطانية — فى نهاية عام ١٩١٨ — أن تسيطر على منطقة الشرق الاوسط بأسرها •

والقوات البريطانية فى عملية الهجوم عـلى الجيش التركى استطاعت أن تمد خط سكة حديد عبر سيناء • وشهدت سـيناء نفسها نشاطا كبيرا ، لم تعهده منذ أيام الحملة الفرنسية على مصر• وكما يقول عبد الرحمن الرافعى •• فان هذه الحرب كانت فرصة لبريطانيا ، لاستخدام حوالى مليون مصرى لصد الهجوم التركى • وأن المصريين قاموا بعمل جبار وراء خطوط الجيش البريطانى ،فقد قاموا بمد خطوط السكك الحديدية ، وبنوا الاستحكامات ، وحفروا الخنادق ، ونقلوا التموين والذخائر ، ومدوا أعمدة التلغراف •

والواقع ان مصر قد ساعدت القوات البريطانية فى الحرب •• على أمل أن تعترف بريطانيا بالجميل ، وتجلوا بقواتها بعد انتهاء الحرب • لكن ، حينما انتهت الحرب أعلن الانتداب على فلسطين• وبالنسبة لسيناء ، فان سلطات الاحتلال البريطـانى ضمت خط السكة الحديد ، الذى يمتد من القنطـرة الى حيفا ، الى حكومة فلسطين ، وأطلق على هذا الخط ، خط فلسطين • بل ان بريطانيا ظهرت على حقيقتها فى محاولة فصل سيناء عن مصر • فقد فرضت على المصريين الراغبين فى التنقل الى العريش أو رفح أن يقـدموا للسلطات جوازات سفرهم •• لا على حدود فلسطين ، وانما عـلى

حدود الدلتا فى القنطرة • ولذلك جعل للقنطرة جمرك يمر فيه المصريون الذين يريدون الذهاب الى سيناء •

وهذا يعنى أن السلطات البريطانية حاولت ضم سيناء الى فلسطين ، وفصل سيناء عن مصر ، أو كما يقول صاحب كتاب (سيناء المصرية عبر التاريخ) جعلت شبه جزيرة سيناء منطقة عازله يمتد فيها النفوذ البريطانى ، لا من مصر صاحبتها ، وانما من فلسطين التى صدقت عصبة الامم على الانتداب البريطانى فيها فى ٢٤ يوليو عام ١٩٢٢ •

وهذا - وكما أحسسنا جميعا كمصريين - جعل من سيناء منطقة شبه محرمة علينا • وقد ظل هذا الوضع دون أن نتنبه اليه، ودون أن نحاول مناقشته ، حتى جاء احتلال سيناء من قبل القوات الاسرائيلية فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ . فالذى كان يريد الوصول الى مدينة القنطرة شرق ، أو يحاول مغادرتها الى سيناء•• كأنه بالضبط قد غادر مصر من مطارها الدولى ، أو أحد موانيها . ولم يجر تصحيح هذا الوضع الا فى السنوات الاخيرة من السبعينيات

ان الذى فطن الى ذلك هو الرئيس أنور السادات ، الذى كان قد زار سيناء فى بداية عام ١٩٧٩ ، زيارة للاطلاع على ما يمكن أن تساهم به سيناء بالنسبة لاستراتيجية الامن الغذائى والثورة الخضراء • وقد ألغى أنور السادات القيود على تحرك المصريين من أهل سيناء وأهل الوادى • وقد أرفق القول بالفعل لعملية التذويب للحدود المصطنعة ، فضم بعض أراضى سيناء الى محافظات بور سعيد والاسماعيلية والقناة •

● ● ●

فى عام ١٩٢٠ ، وفى مفاوضات سعد زغلول - ملنر ••وبعد قيام الثورة المصرية فى مصر فى عام ١٩١٩ •• حاول الاستعمار البريطانى أن يستقل بشبه جزيرة سيناء، مبررا ذلك حماية المواصلات

الامبراطورية · بل حاول الاحتلال البريطانى أن ينص على الآتى : (ستحدد المعاهدة المكان الذى ســـتظل فيه القوات الامبرااطورية دون أن تعتبر احتلال عســكريا ، ودون الاضرار بحقوق الحكومة المصرية) · لكن الوفد أبدى تحفظا على هذا النص ، وطالب بتحديد المنطقة التى سترابط فيها القوات البريطانية ، وعددها ، والفترة المصرح لها بالبقاء ، وأن تكون تلك المنطقة فى شرق القناة ·

وقد رفضت حكومة بريطانيا تلك (التحديدات) على أساس أن المواصلات الامبراطورية والدفاع عنها يتطلب أكثر من منطقـــة لمرابطة القوات ··

وتجددت المحادثات فى عهد عدلى باشا فى عام ١٩٢١ ·· وطالبت بريطانيا بأكثر مما طالبت فى محادثات ســعد زغلول ـ ملنر · وكانت حماية مواصلات الامبراطورية موضوعا حيويا ،حتى أن لورد كيرزون قال : ان تلك الحماية لا تمتد فقط على منطقـــة القناة ، فموقع مصر الجغرافى فى غاية الاهمية ، وتلك الاهميـــة لا تمتد فقط على الطرق الارضية ، بل أيضا على الطرق الجوية · ولذلك فانه من الضرورى منح القوات البريطانية حق المرور عـلى الاراضى المصرية ، فالدفاع عن حدود مصر ، يتطلب صد كل هجوم، سواء من الجنوب أو الشرق أو الغرب ، ويجب على القوة البريطانية أن تكون على استعداد فى كل مكان لجعل هذا الهجوم مستحيلا)·

وفى عام ١٩٢٤ تجددت المحاولات البريطانية فى مباحثـات سعد ـ ماكدونالد ، وفشلت فشلا جزئيا · اذا تنازلت انجلترا عن مطالبتها بحرية المرور المطلقة لقواتها · وقبلت مبدأ الحصول على قطعة أرض فى مقابل مبلغ يقدر فيما بعد ، وهذه القطعة تحددت بين قناة السويس والحدود الفلسطينية ، أى فى شـــبه جزيرة سيناء ·

وتواصلت المفاوضات ، وهى مفاوضات عبـــد الخالق ثروت

وأوستن تشمبرلين عام ١٩٢٧ ، ومحمد محمود وهندرسن عـــام ١٩٢٩ ، والنحاس وهندرسون عام ١٩٣٠ . ولقد فشلت هـــذه المفاوضات جميعا ، لاسرار بريطانيا أن تكون الاماكن التى ترابط فيها القوات البريطانية لا بد أن تكون شرق وغرب قناة السويس. خاصة وانها اصطدمت كذلك بعقبة (السودان) .

وكما يقول ابراهيم أمين غالى من خلال دراسة للوثائق فيعام ١٩٣٦ بدأت وجهات النظر بالنسبة للمشـــكلة المصرية بين مصر وبريطانيا تتقارب .. الى أن قامت الحرب بين أثيوبيا وايطاليا ، وبدأ التهديد الالمانى بقيام حرب عالمية .. فأدت الاحداث الدولية الى التقارب فى وجهات النظر . وكانت معاهدة ١٩٣٦ عبـارة عن تنازلات بين الجانبين .

كانت معاهدة ١٩٣٦ كما يرى محمـــــد فريد حشيش فى رسالته للدكتوراه عن معاهدة ١٩٣٦ اقرارا لبريطانيا : ان تبقى قواتها خارج منطقة القناة ، وللاسطول البريطانى استخدام ميناء الاسكندرية لمدة ثمانى سنواتمن تنفيذ المعاهدة ، وفى حالة الحرب أو التهديد بها تمنح القوات البريطانية حق التحركفى مصر كلها. بمعنى أن المعاهدة ، كما يقول ابراهيم أمين غالى ، كانت عبارة عن معاهدة دفاع مشترك بين مصر وبريطانيا امتدت عشرين ســنة ، لتحل مؤقتا مشكلة التوفيق بين السيادة المصرية ومقتضيات الدفاع عن سيناء .

وحينقامت الحرب العالمية الثانية ، كانت سيناء هى المعبر ، الذى كانت تنقل عبره القوات البريطانية من فلسطين الى الصحراء الغربية ، لصد الهجوم الذى قامت به قوات المحور على مصر .

وحين أنتهت هذه الحربكانتبريطانيا تعانى فى فلسطينمن العصابات الارهابية اليهودية .. وهذا ما جعلها تحاول أن تنجو بجلدها من فلسطين لتتركها للصهاينة ، وغم ما فعلوا بقواتها ..

ولهذا عرضت مشروع التقسيم الذى لم يقبله العرب واليهود على السواء خاصة فى عام ١٩٣٩ ٠٠

والواقع — وكما يرى محمد فيصل عبد المنعم — أن بريطانيا قد عرضت مشروع التقسيم كمخرج لها من أزمتها فى فلسطين وفى مصر أيضا ٠ فبريطانيا لم تكن تتوقع أن توافق هيئة الامم على انهاء انتدابها على فلسطين ٠٠ وكانت أيضا تتوقع أن تزيد شقة الخلاف بين العرب واليهود ٠٠ مما يتاح لها الفرصة لتبقى فى فلسطين وتظل تحكمها ٠٠ حماية لمصالحها فى الشرق الاوسط ، وقناة السويس ٠٠ خاصة وأن عام ١٩٤٧ قد شهد انتفاضـــة المصريين مطـالبين بالجلاء البريطانى ، وتخلى بريطانيا عن قواعدها العسكرية فى البلاد ٠

ويدلل محمد فيصل عبـــد المنعم على ذلك بقوله : انه ما أن أوصت اللجنة الانجلو — أمريكية التى أوفدت الى فلســـطين عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية من أن التقســـيم أمر غير عملى ، وأنه لا يمكن انشاء دولة يهودية أو دولة عربية ، ولكن فى الامكان اقناع العرب واليهود بالعيش معا فى سلام (نشر التقرير فى ٣٠/٤/١٩٤٦) ٠٠ لم يرق لوزارة الخارجية البريطانيـــة ، التى وصفت التقرير بأنه (شىء مقيت) ، حيث كان فى رأى بريطانيا متساهلا مع الصهيونية ، متجاهلا المصالح البريطانية ٠٠ حتى أن مســـتر بيفن ، وزير الخارجية البريطانى ، رفض آنذاك أن يقابل أيا من البريطانيين من أعضاء اللجنة عند عودتهم ٠

كما يقول أيضا كريستوفر سايكس ، الكاتب البريطانى فى كتابه (مفارق الطرق الى اسرائيل) : لقد كان ما تنشده بريطانيا الآن — ١٩٤٦ — فى فلسطين بعد قرار الجلاء البريطـــانى ، خلق قاعدة مضمونة وسليمة ، ولم تكن الحكومة البريطانيـــة قد وعت الدرس بعد ، بأن القاعدة لا تكون سليمة ومضمونة فى أية بلاد ثائرة بصورة دائمة ٠

وكذلك من الدلائل على هذا الرأى ما قاله وزير المستعمرات

البريطاني في مجلس العموم في فبراير ١٩٤٧ : (اننا نتوجه الى هيئة الامم المتحدة ، لا لكي ترفض الانتداب ، ولكن نذهب اليهـا ونضع المشكلة ، كي نحصل على نصيحة في كيفية ادارة الانتداب. فاذا كان الانتداب لا يضار بهذا الشكل الحالي ، فنحن نريد أن نستوضح كيف يمكن تحسينه) .

لكن حين لم تجد انجلترا شبهة نجاح لخطتها .. سارت مع الموج . وكما قال ديفيد بن جوريون ، فان موقف بريطانيا بزعامة تشرشل هو الذى شجعه على اعلان الدولة . كما أن أمريكا اعترفت بدولة اسرائيل بعد ١٢ دقيقة من اعلانها .

والواقع أنه بعد تقسيم فلسطين قامت حرب ١٩٤٨ ..وكان ما كان من الهزيمة .

لكن قيام اسرائيل كان له صدى آخر في سيناء ، تبلور في عبء جديد على مصر ، وهو عبء الدفاع عن سيناء .. وهذا يستدعى جلاء القوات البريطانية عن مصر ، وعن منطقة القناة بصفة خاصة ، لتصبح سيناء لمصر خالصة ، ويمكن الدفاع عنها ..

وعملية الجلاء عن مصر استغرقت عدة مراحل، عدة مفاوضات دارت بين الحكومات المتعاقبة وبين البريطانيين ، حتى قيام الثورة في مصر عام ١٩٥٢ . وهي مفاوضات كانت تستهدف جلاء كاملا للقوات البريطانية ، وكحد أدنى تنقل القوات البريطانية الى (غزة). لكن السلطات البريطانيـة كانت تراوغ . ولم توافق على نقل القوات البريطانية الى غزة .. فهذا معناه أن قواتها على الحدود ،لن تكون بعيدة عن الدولة الصهيونية في فلسطين .. وانجلترا لم تنس ما حاق بقواتها في فلسطين أيام فترة الانتداب . وقد حاولت بريطانيا أن تبرر بقاء قواتها في منطقة القناة ، فرهنت اجلاءها بعقد اتفاق سلام بين مصر واسرائيل ، في وقت لم يكن يستطيع فيه عربي أن يلفظ بمثل ذلك .

والحقيقة أن بريطانيا وضعت هذا الشرط ، وكانت متأكدة من أن مصر سترفض هذا الشرط ، لكي تبقى قواتها في مصر ، بل لكي تبقى سيناء مفتوحة أمام الصهاينة يهددون مصر منها كيفما شاءوا . والمهم أن المفاوضات استمرت ، حتى عرضت بريطانيا على مصر الجلاء اذا وافقت مصر على عقد معاهدة دفاع مشـــترك مع بريطانيا ، على أن يتم هذا الجلاء عام ١٩٥٦ . غير أن مصر استطاعت في ١٩ أكتوبر عام ١٩٥٤ أن توقع اتفاقية مع بريطانيـــا لجلاء قواتها عن منطقة السويس .

وقد تبع توقيع اتفاقية الجلاء ، وجلاء القوات البريطانية عن منطقة القناة .. أن أممت مصر قناة السويس ، ثم أن مصر قبل ذلك وفي يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٥٥ وقعت صفقة السلاح مع تشيكوسلوفاكيا . وكانت هذه — بالطبع — مؤشرات عـــلى التزام مصر العربي في القضية الفلسطينية ..

والواقع أن اسرائيل بعد توقيع اتفاقية الجلاء ، بدأت تمد بصرها الى مصر ، وبدأت تناوشها وتحاول استنزافها . ففي سبتمبر ١٩٥٥ قذفت مدينة غزة بالقنابل ، وفي نفس الفترة احتلت منطقة العوجة ، التي كانت منزوعة السلاح وقتئذ .

والواقع أن صفقة السلاح التشيكية قد أثارت مخاوف الحكومة الامريكية .. ولهذا فقد دفعت الحكومة الامريكية القوات الاسرائيلية لان تشن هجومها على سيناء وتحاول تهديد مصر .

وفي أيام بن جوريون حينما صار رئيسا للحكومة الاسرائيلية بدأ الغرب — خاصة أمريكا — تستخدمه ، بعد أن تأكد لديها دور مصر العربي . وهاجمت قوات بن جوريون في أول نوفمبر ١٩٥٥ القوات المصرية في الصبحة . ثم هاجمت غزة في أبريل ١٩٥٦ .

وكانت قمة الهجوم الاسرائيلي على مصر في تلك الفتـــرة هو ما يعرف بالعدوان الثلاثي ، وهذا الهجوم الاسرائيلي ساندته وشاركت

فيه كل من بريطانيا وفرنسا . وهذا الهجوم كان يستهدف بالدرجة الاولى فصل سيناء عن مصر . ويبدو ذلك واضحا من مطالبة دول العدوان الثلاثى لمصر ، بأن تسحب قواتها على مقربة عشرة أميال غربى قناة السويس .. بدعوى حماية قناة السويس .

والمهم .. أن الدول الثلاث حاولت نصب فخ للقوات المصرية لكن مصر استطاعت أن تنتبه لهذا الفخ ، حين سحبت قواتها من رأس النقب ، وصبحة والكونتيلا ، حتى لا تقع هذه القوات فى كماشة القوات الاسرائيلية عبر سيناء ، والقوات الفرنسية والبريطانية من ناحية بور سعيد . وقد انتهى هذا العدوان الثلاثى فى ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ بعدما تدخلت القوتان الكبريان — كما هو معروف — حيث جلت القوات الاسرائيلية عن شرم الشيخ وحدود سيناء الشمالية ، ووضعت مكانها قوات طوارىء دولية .

والواقع — كما يقول هنرى آزو فى كتابه (فخ السويس) ، الذى ترجمه محمود حسن ابراهيم — أن سبب تقدم القوات الاسرائيلية فى سيناء ، هو أن عبد الناصر كان قد حصل على تفاصيل الخطة (موسكيتو) للعدوان الثلاثى قبل أن تعدل . وهذه الخطة كانت تشير الى أن الهجوم الرئيسى سيكون على الاسكندرية ، مع احتمال القيام بهجوم على بور سعيد . وقد رتب عبد الناصر جميع قواته على هذا الاساس ، ولم يترك لاسرائيل غير مجرد ستار من القوات ، بينما احتشدت معظم قوات الجيش المصرى فى وسط مصر .

● ● ●

كان العدوان الثلاثى على مصر ، ووضع قوات الطوارىء الدولية ، كفاصل بين مصر واسرائيل .. خطة من أجل أن تلعب اسرائيل بمصر وسورية ، دون أن تستطيع مصر عبور سيناء .

على أن وجود قوات الطوارىء الدولية على حدود سيناء ، أعطى

مصر فرصة لاستعواض سلاحها ، الذى فقدته فى العدوان الثلاثى. وللحقيقة فان مصر وضعت ثقل دفاعها وراء خطوط الهدنة وخلف قوات الطوارىء الدولية ٠

وقد ظلت هذه الحال كما هى ٠٠ الى أن بدأت اسرائيل هجومها على سورية فى مايو ١٩٦٧ ٠ وكان لا بد من التحرك من جانب مصر ، خاصة وقد قيل ان الاتحاد السوفيتى قد أبلغ مصر وسورية بأن اسرائيل فى هذه المرة ستهاجم سورية ٠

وهنا تستخدم مصر حقها فى اجلاء قوات الطوارىء الدولية ، ويعلن عبد الناصر فى ٢٢ مايو ١٩٦٧ اغلاق خليج العقبة على السفن المتجهة الى اسرائيل ٠ ونتيجة لذلك كانت حرب يونيو ١٩٦٧ ، حيث هاجمت اسرائيل مطارات مصر كلها بما فيها مطارات سيناء فى صباح الخامس من يونيو ٠ كما دمرت الجهاز الجوى المصرى فى بضع ساعات ٠ وبذلك صار الجيش المصرى فى سيناء، بلا حماية جوية ٠٠ مما دفع باسرائيل الى احتلال شبه جزيرة سيناء كلها ، واغلقت قناة السويس ، واقام الاسرائيليون خط بارليف على ضفة القناة الشرقية ٠

وهكذا ٠٠ تم احتلال سيناء ، وبدأت اسرائيل استغلال ثروات سيناء من البترول خاصة ، وهجرت مواطنى سيناء ٠ وأنشأت المستوطنات ، والقرى الجماعية ، والمعسكرات الزراعية شبه العسكرية ٠

وكما احتلت اسرائيل سيناء فى هذه النكسة البالغة الخطورة ، احتلت أيضا المرتفعات السورية التى تعرف باسم هضبة الجولان ، كما احتلت الضفة الغربية لنهر الاردن ٠ وكانت هذه أفظع هزيمة ألمت بالعرب فى تاريخهم الحديث ٠

لكن السؤال الذى يطرح نفسه علينا ، والذى يهم موضوعنا فى هذا الكتاب هو : ماذا فعل الاسرائيليون بسيناء منذ نكسة

الخامس من يونيو ١٩٦٧ .. وحتى عقدت معاهدة السلام فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ ؟!

والواقع أنه من خلال المعلومات المتواترة ، نقول : انه كان بسيناء قبل عدوان حرب ١٩٦٧ مجموعة من الطرق وخطـــوط المواصلات ، بلغت أطوالها حوالى ١٥٠٠ كيلو متر من الطـــرق المهدة ، وحوالى ٤٠٠ كيلو متر من خطوط السكك الحـديدية . يضف الى ذلك مجموعة من حقول البترول ، وبعض المصانع مثل مصنع (أبو زنيمة) للمنجنيز ، ثم الكثير من الواحات التىأنشأتها هيئة تعمير الصحارى ، باستصلاح مجموعة من الاراضى ،ومجموعة من الآبار .. وهذه كلها وقعت بالطبع فى أيدى اليهود ، واستغلها اليهود .

ويقول ابراهيم أمين غالى ، اعتمادا على ما نشر فى الصحف الاوربية ، وبالاخص صحيفة (الموند) الفرنسية ، وأيضا اعتمادا على ما حاولت أن تروجه اسرائيل .. فان سياســـة الاحتلال الاسرائيلى بالنسبة لسيناء ، كانت على الطريقة التى يمكن وصفها (بالتوسع الزاحف) . وأن الاجهزة الاسرائيلية الاقتصـــادية والعسكرية والعلمية امتدت فى أنحاء سيناء .

فالجهاز الاقتصادى استغل المرافق التى كانت تعمل من قبل .. وأضاف انشاء فندق فى منطقة شرم الشيخ لتلقى السياح . كما نشطت الشركات السياحية الاسرائيلية فى اعـــداد الرحلات السياحية ، الى شرم الشيخ ، والى دير ســـانت كاترين ، والى المستعمرات فى سيناء .. وقد تطلب ذلك طرد البدو من أماكن نشاط الاسرائيليين .

كما أنه خلال فترة الاحتلال بدأت عملية استعمار رفح منـذ عام ١٩٦٩ حينما نزع الاسرائيليون ملكية ٤ آلاف فدان هناك . كما أنه فى عام ١٩٧٢ طرد الجيش الاسرائيلى ١٠ آلاف من البدو

من مزارعهم وهدم منازلهم ووضع الاسلاك الشائكة حول منطقـة تقدر بحوالى ٣٠ ألف فدان ، خصصت لايواء اليهود المهجـرين الى سيناء ، وحرم على العرب الاقتراب منها ٠وقد بلغت أماكن ايواء اليهود فى منطقة رفح ما يزيد عن عشرة آلاف ، منها أربع قـرى جماعية ، و٥ مستعمرات زراعية وشبه عسكرية ، وعلى رأس ذلك مستعمرة ياميت ، أكبر المستعمرات الاسرائيلية في المنطقة ٠ وقد سارت الامور وتوسعت رقعة الاستيطان حتى بلغت ٨٠ ألف فدان، أقصى أصحابها العرب عنها ٠

أما الجهاز العسكرى ، فقد أقام خط بارليف ٠٠ ووراء هذا الخط نشط الاسرائيليون فى استغلال موارد شبه الجزيرةالمعدنية فبدأوا أبحاثهم فى وادى فيران منذ عام ١٩٦٨ ، وبالاخص فيوادى الشيخ ٠ وفي خليج العقبة قامت البعثات بدراسة الطبقات المائية تحت سطح البحر ، ونقبوا كثيرا عن البترول ٠ كما أن اليهود أجروا عدة حفائر فى سيناء ، ليثبتوا وجودا عبريا منذ خـروج موسى ، ولكنهم لم يجدوا شيئا يثبت ذلك ٠

وجدير بالذكر أن الذى فعلهالاسرائيليونفىسيناء عقبالاحتلال فى ١٩٦٧ لم يبـدأ من فـراغ فمنذ بداية القـرن العشرين تواصلت رحلات الاستكشاف الى سيناء ٠٠ وأهمها بالطبع بعثـه السير فلندرز بترى في عام ١٩٠٥ ، وهذه البعثه شملت الكثير من الجهد بتحليل المعادن المستخرجة ودراسة التربة ٠٠ بالاضافة الى عمليات التنقيب الاثرية ٠ كما أنه في عـام ١٩١٥ وضعت الادارة الجغرافية بهيئة أركان حرب الجيش البريطانى ، بنـيـاء عـلى الدراسات الجيولوجية ، خرائط ، مدونا فيها التكوين الجيولوجى وأنواع التربة والحجارة والصخور ٠٠ مما يساعد على تحديد مناطق البترول وغيرها من مقومات المعادن المتنوعة فى شبه الجزيرة ٠

وفي دراسة خاصة عن (الاوضاع والمتغيرات في شمال سيناء خلال فترة الاحتلال) قدمها اللواء محمد حسين شوكت، أول محافظ لسيناء الشمالية ، بعد تقسيم شبه الجزيرة الى محافظتين والحاقهما بالحكم المحلى ، يقول :

أقامت اسرائيل العديد من المستعمرات الزراعية والسكنية فى سيناء ·· فى وادى العريش على مشروع مؤسسة تعمير الصحارى المتاحة في شتى المجالات وهذه المستعمرات هى :

اولا : المستعمرات الزراعية :

● مستعمرة (ناحال سيناء) ، التى سميت باســـم نيعوت سيناء ·· فى وادى العريش على مشروع مؤسســة تعمير الصحارى فى هذه المنطقة ·

● مستعمرة (ناحال ديكاليم) فى الشيخ زويد ، وهى غرب طريق العريش – رفع ، ومساحتها حوالى ٣٠٠ فدان ، ويقيم فيها ٣٠ مزارعاً اسرائيليا · وقد وزعت عليهم أرض المزرعة بواقع من ١٠ الى ٥٠ دونما · والدونم ربع فدان · ونصف حيازة هذه المزرعة يزرع على مياه الآبار ، بينما النصف الآخر يزرع على مياه الامطار وهذه المستعمرة تحوى عشرة آبار ، خمسة منها احتياطين ·ويتم تجميع المياه فى خزان للتوزيع على الارض المنزرعة ··

● مستعمرة (حاروفيت) ، وهذه المســـتعمرة اقيمت فى منطقة (خربه) على المشروع الذى أقامته قبل عام ١٩٦٧ مؤسسة تعمير الصحارى ، والذى يعتمد على خندق المياه الذى أقيم فى هذه المنطقة ، والذى كان يصل زمامه الى حوالى ٢٢٦ فدانا ، وهـــذه المستعمرة شبه عسكرية ·

● وهناك أيضـــا مستعمرات أخرى أقامتها اسرائيل شرق

مدينة الشيخ زويد ، وعددها خمس مستعمرات هى : سدوت ، نيتف هاعزرا ، نيرا ابراهام ، أوجدا ، ابشالوم · وهذهالمستعمرات تحتل المناطق الصالحة للزراعة فى الشيخ زويد ،وفى (أبوطويلة) وتشمل هذه المستعمرات مساحة حوالى ٥٠٠٠ فدان بشرق طريق العريش ـ رفح ويسكنها مزارعون اسرائيليون ، موزعة عليهم الاراضى بواقع من ١٠ الى ٥٠ دونما ·

أما مستعمرات جنوب رفح ، فهى ثلاث مستعمرات زراعية غرب طريق العريش ـ رفح ، وفى المنطقة بين مدينتى رفحوالشيخ زويد · وهذه المستعمرات عددها ثلاث مستعمرات هى : تلمى يوسف · سكوت · هوليت · ويقيم فيها مزارعون اسرائيليون موزعة عليهم الاراضى بواقع من ١٠ الى ٥٠ دونما · وتصل حيازة هذه المستعمرات الى حوالى ٣٠٠٠ فدان تزرع على مياه الامطار ومياه الآبار ·

كما توجد أيضا مستعمرات ، أقيمت خصيصا من أجل صيد الاسماك وتصديرها · ومن هذه المستعمرات (مستعمرة يام) ،فى المنطقة ما بين مصفق ، وسالمانة · ويتركز نشاطها فى صيد الاسماك من بحيرة البردويل وساحل البحر المتوسط ، وتصديره الى الخارج مباشرة ، وخاصة أسواق أوربا ·

ثانيا ـ المستعمرات السكنية :

● وأهم المستعمرات هى مستعمرة (ياميت) وتقع جنوب غربى مدينة رفح على شاطىء البحر المتوسط · وتقوم فيها بعض الصناعات الخفيفة ، وتتسع لسكن ٥٠٠٠ اسرائيلى من الذين يعملون فى المناطق الممتدة من العريش وحتى رفح ·· وكل بيوت المستعمرة مصممة على أساس (فيلات) ·· وفيها مشروع سياحى ناجح ·

● وبالقرب من مستعمرة ياميت ، وعلى بعد ١٢ كيلو مترا

شرقى مدينة الشيخ زويد ، أقامت اسرائيل كافتيريا ودورات مياه وحمامات سباحة · كما أقامت فى المنطقة حجرا ضـخما أشـــاعت اسرائيل أنه منقول من جبل موسى لتنشيط السياحة · وأعـدت (موقف) أسفلتى لاستقبال السيارات التى تتوافد على المنطقـــة حاملة السياح لقضاء طول النهار والعودة فى المساء · ويجـــرى تحصيل الرسوم لصالح المستعمرة بدءا من ٥ ليرات اسرائيلية على السيارة الملاكى الى ١٠ ليرات على التاكسى و٢٠ ليرة على الاتوبيس·

● هذا بالاضافة الى المستعمرة التى أقامتهـــا اسرائيل فى شرم الشيخ ، والتى تحتوى على فندق سياحى ·

● على أنه وبالنسبة للسياحة أيضا أنشأت اسرائيل مطارا يبعد عن دير سانت كاترين بحوالى ثمانية كيلو مترات ، ويستقبل الطائرات العمودية والطائرات الخاصة الصغيرة ، وكذلك الطائرات المروحية الصغيرة والمتوســـــطة ·· من أجل زيارة دير ســانت كاترين ·

● يضاف الى ذلك تلك المســـتعمرات التى قامت فى مدن البترول ·

ثالثا ــ المطارات :

الواقع أنه بالاضافة الى مطار سانت كاترين ، فهنــاك فى سيناء ستة مطارات هى :

١ ــ مطار الجورة الحربى (ايتام) وهو من أكبر المطارات وأهمها فى سيناء · وقد أقيم فى منطقة الجورة ، جنوب شرقى مدينة رفح على مساحة حوالى ٣٦ كيلو مترا مربعا ·

٢ ــ مطار العريش ، وكان ــ أثناء الاحتلال ــ قد تم التوسع فيه واعداده لاستقبال أضخم الطائرات · وهو مطار حربى هام ،

ويصلح لان يكون مطارا دوليا ، وقد تم تحويله بعد عودة العريش إلى مطار مدنى ٠

٣ ـ مطار رأس النقب الحربى ، ويقع بالقرب من ميناء ايلات ، وهو من أكبر المطارات فى شبه جزيرة سيناء ٠

٤ ـ مطار شرم الشيخ (أوفيرا) ٠٠ بالقرب من مدينة شرم الشيخ ، وقريب من الفندق العالمى الذى أقامته اسرائيل لاصحاب الملايين ٠

٥ ـ مطار المليز ، فى وسط سيناء ٠

٦ ـ مطار الطور الحربى ٠

رابعا ـ من ناحية التعدين والصناعة :

والواقع أنه من ناحية التعدين والصناعة ، فان سلطات الاحتلال الاسرائيلى لم تستغل منجم الصفا للفحم بمنطقة المغارة ، وتردد أن ذلك بسبب الاستغلال غير الاقتصادى للمنجم من وجهة نظرهم ٠ كما لم تستغل سلطات الاحتلال أيضا مناجم المنجنيز والفيروز فى منطقة أم بجمة ٠

وبالنسبة للبترول ، فقد تم أثناء سنوات الاحتلال اكتشاف بئر غاز فى منطقة (الثوبة) جنوب قبر عمير بحوالى عشرة كيلو مترات ٠ وقد أغلق البئر بعد الاكتشاف ٠ وهذا الاكتشاف كما يتردد ، قد تم بمساعدة احدى الشركات الامريكية ٠

وهناك أيضا اكتشاف لبعض حقول البترول بالقرب من الطور ، وقد تم ذلك بمساعدة احدى الشركات الامريكية ٠٠

وهذه الاكتشافات سيأتى عنها الحديث فى الفصول القادمة ٠

الفصل السادس

مصر .. دائما مصر

وبدأ الطوفان والزلزال فى سيناء

منذ احتلال اسرائيل لسيناء فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ ·· واسرائيل تتباهى بأسطورة الذراع الطويلة ، وجيش الدفاع الاسرائيلى الذى لا يقهر ·· وخط بارليف أمنع حصون التاريخ ، والذى تجمعت فيه تكنولوجية العصر ·

ورغم مرارة النكسة ، وهى نكسة عربية بالدرجة الاولى ، والحرب النفسية الرهيبة والمتواصلة ضد العرب ، فان مصر لم تيأس حتى النخاع · انها بعد أيام من النكسة بدأت تلتقط أنفاسها ، وتسلح جيشها ، وتستعوض الاسلحة التى فقدتها ·· بل بدأت تعيد تكوين سلاح طيرانها الذى دمر على الارض فى مطاراتها ·

ولكن أهم من هذا وذاك أن مصر حاولت أن تجعل الصراع حيا ومستمرا بينها واسرائيل ، بترتيب أوراقها ومواقفها · ويمكن تقسيم موقف مصر من الاحتلال الاسرائيلى لسيناء الى أربعة مراحل :

المرحلة الاولى : وهى التى تسمى مرحلة الصمود ، وهذه المرحلة شملت الفترة من يونيو الى أغسطس ١٩٦٨ ، وهى مرحلة الدفاع الحذر · وفى هذه الفترة حدثت معارك رأس العش، وتدمير الباخرة ايلات ، وبعض المعارك الجوية ·

المرحلة الثانية : هى مرحلة الردع من سبتمبر ١٩٦٨ الى أغسطس ١٩٦٩ ، وهى مرحلة بناء العدو لخط بارليف ·

المرحلة الثالثة : هى مرحلة الاستنزاف من مارس الى أغسطس ١٩٦٩ ، وهى مرحلة تميزت بالهجوم الحذر ، ففيها تم تدمير خط بارليف الاول بالمدفعية · ثم توالى عبور الكوماندوز المصريين والضفادع البشرية ، فضلا عن الغارات والمعارك بين مصر واسرائيل

المرحلة الرابعة : هى مرحلة وقف اطلاق النار .. والمعروفة باسم مرحلة اللا سلم واللا حرب ، وتلى المرحلة السابقة .

ثم مات عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ . وتولى أنور السادات رئاسة الجمهورية فى ظروف صعبة ، كانت مصر فيها تعانى من مراكز القوى ، ويقاسى المصريون الرعب والخوف بفعل سيطرة جهاز مخابرات عقيم ، والمواطن المصرى يفتقد الامن والامان والمعتقلات مملوءة ، والحراسات مفروضة ، والقانون فى أجازة .

لقد ورث أنور السادات تركة ثقيلة من الهموم القومية والوطنية .. ورث احتلالا اسرائيليا لسيناء وصل الى الضفة الشرقية لقناة السويس . وورث تشتتا وتمزقا لم يحدث له مثيل فى نفوس المصريين والعرب على السواء . وورث ، وهو الاخطر ، متغيرات دولية تبارك احتلال اسرائيل للاراضى العربية المحتلة .. بينما تحرير سيناء ، قدس أقداس ، مطلبا وطنيا ملحا وجارفا ..

وقد كان لا بد من البداية الصحيحة .. والبداية الصحيحة للتحرير كانت (التصحيح) أو ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ . بمعنى أنها كانت ثورة فى الثورة .. لتصحيح المسيرة ، وليعود الامن والامان لشعب مصر . وبدأ السادات مسيرة التصحيح فى كل أجهزة الدولة فى مصر ، بما فيها قيادات الجيش .

والواقع أن مصر تحت رئاسة أنور السادات كانت تعمل لليوم التاريخى ، منذ البداية . وهذا اليوم التاريخى جاء فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ (العاشر من رمضان ١٣٩٣ هجرية) . وكانت الخطة (بدر) تبركا بمعركة (بدر) التى خاضها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتيمنا بها . وعبرت قوات مصر قناة السويس ، ودمرت خط بارليف ، ذلك (الصنم) المكرس للاستعمار الاسرائيلى . دمرت الخط الذى كانت تتباهى به اسرائيل ، وتقول ان المصريين لايستطيعون عبوره الا على أشلائهم

٠٠ ثم عادت بعد تدميره تقول على لسان موشى ديان وزير دفاعها في ذلك الوقت ، انه مثل قطعة الجبن السويسرى ٠٠ فيه من الثقوب أكثر مما به من الجبن ٠ وهذا الخط كما يعرف العالم كلف اسرائيل ٢٣٨ مليون دولار ٠

وكان عبور القوات المصرية للقناة ، هو أيضا عبور للهزيمة، وعبور حالة التمزق والتشتت ، وسنوات المعاناة الصعبة ٠ وكان فجرا جديدا لمصر والعالم العربى ٠ بل كان أول مرة يقوم فيها العرب بدور المباداة والمبادرة فى الصراع العربى الاسرائيلى ، بعد صبر طال أمده وتجاوزت سنواته ربع قرن من الزمان ٠

وكما قال توفيق الحكيم في جريدة الاهرام بتاريخ ٩ أكتوبر ١٩٧٣ : (عبرنا الهزيمة بعبورنا الى سيناء ٠ ومهما تكن نتيجة المعارك ، فان الاهم هى الوثبة ٠ فيها المعنى أن مصر هى دائما مصر ٠٠ تحسبها الدنيا نامت ، ولكن روحها لا تنام ٠ واذا هجعت قليلا ، فان لها هبة ولها زمجرة ٠ سوف تذكر مصر فى تاريخها هذه اللحظة بالشكر والعرفان) ٠

● ● ●

ويخطىء جدا من ينظر الى حرب أكتوبر فى اطارها الضيق ، وفى أبعادها المحلية ، كمجرد النقيض الموضوعى المباشر لمعركة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ٠ ان هذه الحرب ــ وكما يقول د٠ جمال حمدان فى كتابه (٦ أكتوبر فى الاستراتيجية العالمية) ــ تحول مؤثر فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى ، وبالتالى فى تاريخ العرب جميعا ٠٠ وتاريخ العالم المرئى كله ٠٠ وهى ــ أى حرب أكتوبر ــ كما يقول موسى صبرى فى كتابه (وثائق حرب أكتوبر) : جاءت لتحقق انقلابا فى العلم العسكرى ٠

وللحقيقة فقد كانت الحروب الثلاثة بين العرب ــ ومصر بصفة خاصة ــ واسرائيل ، هى جميعا (حروب اسرائيلية) تماما أو تقريبا ٠٠

بمعنى أن زمام المبادرة والمباداة والحركة والهجوم ـ استراتيجيا وتكتيكيا ـ كان فى يد اسرائيل ٠هى التى تحدد الزمان والمكان، وهى التى تفرض أسلوب القتال بما يلائمها ، وهى التى تجنى ثمار النصر ٠ أما العرب فكانوا على الدفاع الثابت السلبى ، مجرد رد فعل يحدد العدو ايقاعه ٠ وأما فى أكتوبر ، فان الاستراتيجية العظمى والروح السائدة والعقيدة القتالية هجومية أساسا ، سواء ذلك على المستوى الاستراتيجى أو التكتيكى ، وابتداء من تحديد الزمان والمكان الى أساليب القتال الملائمة ٠ ومن حرب خاطفة صاعقة ، الى مواجهة تصادمية طويلة ٠

لقد كانت حرب أكتوبر حربا مصرية عربية ، بل هى أول حرب مصرية عربية ، منذ بدأ الصراع العربى الاسرائيلى ٠ وهى (الزلزال) الذى دمر أحلام اسرائيل فى بقائها فى سيناء الى الابد ٠

ان الحرب كما يصورها شاعر اسرائيلى كانت (الطوفان) الذى جرف شباب اسرائيل ، وجرف ادعاءات اسرائيل ٠ وأنقل هنا أبيات هذا الشاعر ، من كتاب حمدى الكنيسى بعنوان (الساعة ٢ر٠٥ بدأ الطوفان) ٠٠ يقول :

(الطوفان) يجرف البيت من أساسه ٠٠

والطاعنون فى السن يجلسون على الصندوق العائم فوق الماء ٠٠

يبعثون بأبنائهم للاستحمام فى المياه الهادرة ٠٠
لانقاذ ما يمكن انقاذه من ماضيهم ٠٠
انهم لا يشعرون بأن « الطوفان » سوف يجرفهم ٠٠
فهم يجلسون فوق الصندوق العائم ٠٠
فقط يرسلون الابناء للاستحمام ٠٠
وأحيانا للموت غرقا ٠٠
ترى من يستطيع يعيد الحياة للغرقى ؟ ٠٠

وكما كانت الحرب (طوفانا) على اسرائيل ، فهي أيضا كانت (زلزالا) ، وخاصة على نظرية الامن الاسرائيلي ٠وفي كتاب (حرب رمضان ٠٠ الجولة العربيه الاسرائيلية الرابعة - اكتوبر ١٩٧٣) يقول مؤلفوه الذين شاركوا وخططوا لحرب أكتوبر، وهم اللواء حسن البدرى واللواء طه المجدوب والعميد أ٠ح ٠ ضـــياء الدين زهدى أن هذه الحرب تدل دلالة واضحة على أن المصريين استطاعوا أن يحققوا عنصر المفاجأة ، وأن الضربة المفاجئة صعقت الاسرائيليين ٠

وكما يقول أحمد بهاء الدين في كتابه (وتحطمت الاسطورة عند الظهر) ٠٠ ان هزيمة الاسرائيليين كانت المفاجأة الحقيقية ، أكثر منها مفاجأة التموية التي يتحدثون عنها ٠ وكانت مفاجأة شرعية تلك التي قامت بها القوات المصرية ، يقرها الشرف العسكرى ٠ فهي تمثل جزءا من صميم العمل العسكرى المشروع ، والانتصـــار يعود الى براعة التخطيط السياسى والعسكرى ٠

والواقع أن الذى حدث ببســـــاطة كما شرحه قائد العبور الرئيس السادات هو : (ان القوات المسلحة المصرية قامت بمعجزة على أى مقياس عسكرى ٠ لقد أعطت نفســــها بالكامل لواجبها ، واستوعبت العصر كله ٠٠ تدريبا، وسلاحا ، بل وعلما واقتدارا ٠٠ وسوف يجيء اليـــوم الذى نجلس فيه لنقص ونروى ، ماذا فعل كل واحد منا في موقعه ، وكيف حمل كل منا أمانته وأدى دوره ٠وكيف خرج الابطال من هذا الشعب وهذه الامة ، في فترة حالكة ، يحملون مشاعل النور ، لتضيىء الطريق ، حتى تستطيع أمتهم أن تعبر الجسر بين اليأس والرجاء) ٠

ان أكبر مفاجآت حرب أكتوبر كانت روح الجندى المصرى العالية وكفاءته ٠٠ هكذا قال الجنرال ديفيد اليعازر عقب الحرب٠ والذى نقوله : ان الانسان المصرى بحق كان في هــذه الســـاعات الحاسمة يعطى بسخاء ، وكان في قمة الاحساس بأصالة تاريخه وعظمة مستقبله ، فجاد كما لم يجد به احد من قبل ، وأثبت أنه

من خير أمة أخرجت للناس ، وأنه – كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم – خير أجناد الارض .

لقد حقق العرب فى السادس من أكتوبر ، ولاول مرة فى سجل الصراع الطويل ضد اسرائيل ، المفاجأة الكاملة بمستوياتها الثلاثة . وكان وقع ذلك أليما فى اسرائيل .

وأحسن وصف قيل عند تدمير خط بارليف . وقد قاله نوماس تشتيهام . (لقد أمسكت هذه العمليات بالقيادة الاسرائيلية وهى عارية ، وتلك حقيقة لا تقبل الجدل) .. !

ولذلك فقد كانت حرب أكتوبر ، كما وصفها الكاتب الاسرائيلى جان كلود جيبوه ، فى كتابه (الايام المؤلمة فى اسرائيل): .. كانت كأنها نهاية العالم .

فالمفاجأة المذهلة التى قام بها الجندى المصرى والعربى قوضت صروح نظرية الامن الاسرائيلى ، التى طالما ارتكزت عليها المؤسسة الاسرائيلية .

ومن الواضح كما قال الجنرال اندريه بوفر الفيلسوف الاستراتيجى الفرنسى الشهير ، ان مفهوم الحدود الآمنة فى قاموس اسرائيل ينبع أساسا من فكر توسعى عدوانى ، اذ كلما زادت أراضى الدولة اتساعا ، زادت حاجتها الى نقل حدودها الى أرض جديدة على حساب جيرانها .. الامر الذى لا يقف عند حد معين أو يحكمه منطق عاقل . ان الاسرائيليين – وكما قال شلزنجر وزير الدفاع الامريكى – أدركوا أخيرا أن أمنهم لا يمكن أن يتحقق بمجرد الاحتفاظ بالسيطرة العسكرية ، بعد أن أصبحت هالة دولتهم التى لا تقهر موضع تساؤل ؟!

لقد جاءت حرب أكتوبر كما يقول الهيثم الايوبى فى كتابه (درس الحرب الرابعة) .. لتهز الكثير من المفاهيم ، وتقلب العديد من المسلمات .

ويتساءل د. لواء عبد الكريم درويش ود. ليلى تكلا فى كتابهما (حرب الساعات الست) عن الحدود الآمنة لمن ؟. ويقولان ان اسرائيل لم تكن تريد أن تستقر فى حدودها القديمة التى وضعها قرار التقسيم .. وكان فكرها عن نهاية حدودها ، فكرا غير منضبط . فعندما بحث موضوع الحدود الآمنة فى الكنيست عام ١٩٤٨ ، سخر بن جوريون من العضو الذى أثاره وقتئذ قائلا: ان هذا الاقتراح غير عملى ، اذ من الصعب تحديد حدود آمنة لاسرائيل ، لانه اذا نزح اليها عدد أكبر من المهاجرين ، فاناسرائيل سوف تحتاج الى مساحة أكبر من الارض .

وقد ظل هذا الفكر الاسرائيلى مسيطرا على عقليتها حتى نسفته حرب أكتوبر . والدليل على استمرارية هذا الفكر ، ما قاله موشى ديان قبل الحرب : (لا أعرف حدودا لاسرائيل الا حدود التوراه). وما قاله أيضا عزرا وايزمان عندما كان وزيرا للمواصلات : (لا أعرف حدودا لاسرائيل سوى حدود هيرتزل التى رسمها فى خريطة معينة من النيل الى الفرات) .

بل ان هذا الفكر ظل مسيطرا على العقلية الاسرائيلية.. حتى أن الكاتب اليهودى الالمانى ميكائيل حاييم ، تصور فى روايته (مياه أسوان) أن اسرائيل قادرة على الوصول الى السد العالى ورفع علمها عليه ، وتحقيق حلمها الذى يمتد من النيل الى الفرات ..

لقد انهار ذلك كله بالزلزال الذى حدث .. وصار (يوم الغفران) .. أو يوم كيبور .. هو يوم الحزن فى اسرائيل والذى لن تنساه أبدا .

● ● ●

أجمع الخبراء العالميون على أن معركة أكتوبر تعد واحدة من أكبر معارك التاريخ العسكرى الحديث . لا تقل عن كبريات معارك الحرب العالمية الثانية ، ومعارك الدول الكبرى عموما .

كذلك أجمعوا على أن ملحمة المعركة المصرية فى سيناء جاءت - وبكل المقاييس - قطعة مذهلة من الاستراتيجية الممتازة فى جميع مراحلها : العبور ، اجتياح خط بارليف ، رءوس الجسور ، القاعدة الارضية . ولهذا فان على أكاديميات العالم العسكرية أن تستوعب درس العبور جيدا .

ان حرب رمضان غيرت الاستراتيجية العسكرية فى العالم كله ، حتى باتت القيادات العسكرية فى الدول الكبرى تعكف على دراسة وتحليل حرب رمضان ، كما أنها أوقفت انتاج الاسلحة التى ثبت عدم جدواها .

وهكذا جاءت حرب العبور تكذيبا عمليـــا لادعاء اسرائيل ، وضربة لاوهامه النظرية . كما جاءت لتثبت القدرة العربيـــة على التخطيط الثاقب والواثق ، بل الانضباط المطلق والتنفيذ الدقيق .

وكما قال أحمد بهاء الدين فى كتابه : ان هزيمـــة يونيو ، لم تجعلنا نركع - كما كانت تريد اسرائيل - ولكن ظل سيفها مصلت فوق رءوسنا ، قريبا جدا من أعناقنا . وحرب أكتوبر كسرت هذا السيف المسلط وحطمت القيد الذى كان يكبلنا .

ونضيف الى هذا مما قاله تشرشل الحفيد مؤلف كتاب (حرب الستة) ، فهو يقول : لقد فوجىء جنرالات اسرائيل وهم غافلون !! .. ويرجع ذلك أساسا الى ما كانت تشعر به اسرائيل من نشوة لانتصارها فى ١٩٦٧ . كذلك فان اسرائيل لم تكن مســــــتعدة لمواجهة هذا النوع من الحرب الذى خاضه العرب بالسلاح الحديث . فاسرائيل ظلت تعتمد فى استراتيجيتها على انتصاراتها بالطائرات والمدرعات ، كما حدث فى عام ١٩٦٧ .. بينما أغفلت المدفعيـــة والمشاة ، وهما السلاحان اللذان تحملا عنف الهجوم .

لقد كان انتصار اسرائيل السهل فى عام ١٩٦٧ - كما يرى الهيثم الايوبى - أكبر أعدائها ، وأخطر ما تعرضت له فى حياتها .

فهزيمة يونيو علمت العرب دروسا كثيرة ،وكانت أفضل حلفائهم في الحرب الرابعة • بمعنى أنه انطبقت على الصراع العربي الاسرائيلي قاعدة أثبتها التاريخ العسكري أكثر من مرة ، وهي أنه يندر أن يتعلم المنتصر الكثير من انتصاره • أما المهزوم فهو أكبر المتعلمين من الهزيمة • فالعرب قد استفادوا من هزيمتهم في ١٩٦٧ ،بأفضل مما تعلم الاسرائيليون من انتصارهم •

وهكذا جاءت الحرب انجازا كبيرا لترد على الذين قالوا عنها أنهـــا حرب (تحريك) • لا حرب (تحرير) • فالحرب وضعت القضية العربية بصفة عامة ، والقضية الفلسطينية بصفة خاصـة في وضعها الصحيح •• بل انها كانت – وبحق – البداية لتحرير سـيناء •• وهذا ما أثبتته الايام •• والبداية أيضا للحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة ، بما فيها القدس العربية • ثم ان هذه الحرب اثبتت بما لا يدع مجالا لأي شك أن خطوط ١٩٦٧ ليست هي الخطوط الآمنة كلية ، وأنه لا يمكن تحقيق أمن اسرائيل الا بعد التوصل الى سلام حقيقي •

وهذا بالطبع يتفق مع الهدف العسكري للحرب ، والذي أشار اليه مؤلفو كتاب (حرب رمضان) •• حيث قالوا ان الهدف كان هو : هزيمة تجمع قوات العدو الاسرائيلي في سيناء والهضـــــبة السورية ، والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية ، تهيىء الظروف المناسبة لاستكمال تحرير الاراضي المحتلة بالقوات المسلحة، ولفرض الحل السياسي العادل للمشكلة • وبناء على هذا الهـــدف الواضح كان على القيادة المصرية أن تخطط للقيام بعملية هجوميـة استراتيجية مشتركة ، تنفذ بالتعاون مع القوات المسلحة السورية، وتقوم فيها مصر بالاقتحام المدبر لقناة الســـــويس ، وتدمير خط بارليف ، والاستيلاء على رءوس كباري بعمق ١٠–١٥ كيلو مترا على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وتكبيد العدو أكبر خسـائر ممكنة ، وصد وتدمير هجمات العدو المضادة ، والاستعداد لتنفيـذ

أى مهام قتالية أخرى تكلف بها فيما بعد • أما ســـورية فتشن الهجوم وتخترق دفاعات العدو بالجولان ، وتجزىء تجمعاته وتدمر قواته وتصل الى الخط : نهر الاردن ، والشاطىء الشرقى لبحيرة طبرية •

وقد نجحت القوات المصرية فيما أوكل اليهــا من مهام •• وكان النجاح رائعا بشهادة كل الشــهود من الخبـراء والمعلقين العسكريين ، وحتى من المهزومين الاسرائيليين أنفسهم •

● ● ●

لكن كيف سارت الحرب •• فى سيناء ؟ :

بدأت الحرب بضربة جوية كبرى : ٢٤٠ طائرة من القاذفات المقاتلة انطلقت الى أعماق سيناء ، لتدك مطارات العدو وقواعده فى المليز ، وتماده ، والجفجافة ، والقاعدة الجوية فى العــريش فى الشمال ، ومطار رأس نصرانى فى الجنوب ، ثم مراكز التشويش فى أم خشيب ، وأم مرجم ، والطاسة ، وغيرها على المحور الاسط•

وفى نفس اللحظة ٤٠٠٠ مدفع كاملة تنطلق ، مضافا اليهــا قوة صواريخ أرض ـ أرض ، تضرب فقط خط بارليف الحصينة ، وبطاريات المدفعية ، وتجمعات الاحتيــاطى الامامية والخلفية ، التكتيكية منها والتعبــوية •• هــذا فضلا عن انطلاق الآلات الهيدروليكية لهدم الساتر الترابى •

وتحت هذه النيران كلها ، كانت مرحلة العبور الاولى • فقد انزلق الى الماء ـ ماء القناة ـ ألف قارب مطاط ، بالاضـــافة الى العربات البرمائية ، تحمل المهندسين والفنيين لمد الكبارى والمعابر ولفتح الثغرات فى الساتر الترابى ، ولابطـــال مفعـول أنابيب النابالم • هذا بالاضافة الى المشاه والصاعقة والكوماندوز ، لتأمين رءوس الجسور ، والتعامل المباشر مع طلائع العدو ، وصد وتصيد دباباته ، وبث الالغام فى مصاطبها لمنعها من الحركة والتدخل •

وكانت النتيجـــة لهذه العملية الجماعية ، شق ٨٥ ثغرة فى الساتر الترابى ، واقامة حوالى عشرة من الكبارى العائمة الثقيلة ، و١٠ أخرى للمشاة ، ونحو ٥٠ معدية ، عـلى طول القنـاة البالغ حوالى مائة ميل أو حوالى ١٨٠ كيلو مترا ٠

وهكذا نجحت عملية العبور التاريخى ، وتدفق المـد المصرى كالطوفان نحو الضفة الشرقية للقناة ٠٠

واذا كان العبور ، هو الخطوة الاولى فى المعركة ــ كما يقول د٠ جمال حمدان ــ فقد كان بمثابة عبور للهزيمة ، وكان نجاحه بمثابة هزيمة للهزيمة ٠ فالواقع أن العبور كان مفتــاح المعركة ومفتاح النصر ٠

لقد قال الجنرال جونين قائد جبهة سيناء يصف عبور الجيش المصرى على جنوده :

كان الجندى المصرى يتقدم فى موجات تلو موجات ، وكنــا نطلق عليه النار وهو يتقدم ، ونحيل ما حوله الى جحيم ٠٠ ورغم ذلك ظل يتقدم ٠٠

وكان خط بارليف يتكون من ٢٢ موقعا حصينا ، ويتألف من حوالى ٣٠ نقطة قوية تبدأ من الشط ، وتنتهى عند رأس العش ٠ وهذه النقط يتراوح البعد بينها وبين الاخــرى بين ٤ و١٠ كيلو مترات ٠ وهى نقط أقامها العدو الصهيونى لمنع العبور أساسا ٠ وهى كلها تقترب من رءوس المحاور ، وهى : الجنوبى ، والاوسط والشمالى ٠

كانت أول نقطة سقطت فى يد الجيش الثانى هى نقطة الكيلو ١٩ جنوبى بور سعيد ٠ كما أن أول نقطة سقطت فى يد الجيش الثالث هى نقطة الشط ٠

وكما ظهر ، فان خط بارليف لم يكن هو خط الدفاع الوحيد

على جبهة القتال ٠ كان هناك خطان دفاعيـــان آخران خلف خط بارليف ، ويفصل بين كل منهما بين ٣ و٤ كيلو مترات ٠ وكـان الخط الثانى هو الخط الاحتياطى التكتيكى ٠ أما الخط الثـــالث فكان الخط الاحتياطى التعبوى ٠ وقد تم هدم الخطوط الثلاثة ، فى الايام الثلاثة الاولى من القتال ٠

وقد كانت حصيلة الاسبوع الاول للقتال ، تحرير منطقـــة أرضية بطول قناة السويس ، يتراوح عمقهـــــا ما بين ١٠ و١٨ كيلو مترا ٠

أما أكبر معارك الدبابات ، فقد بدأت قبل يوم ١٥ أكتوبر ، وبلغت قمتها في يوم ١٥ أكتوبر نفسه ٠ وهذه المعركة الفريدة في التاريخ العسكرى العالمى ، استمرت عشرة أيام كاملة ،أىحتى يوم ٢٥ أكتوبر ٠ وقد اشتركت فيها من الجانبين حوالى ٣٠٠٠دبابة ٠ لقد تجاوزت هذه المعركة كل حروب المدرعات ٠ اذا اشترك فيهـا الكثير من الاسلحة غير المدرعات ٠٠

كان (الطوفان) المصرى مزلزلا ورهيبا ٠٠ حتى أن اسرائيل انهارت ، الى أن دخلت أمريكا المعركة مباشرة ، فكانت امداداتهـا تهبط فى مطار العريش وتنقل مباشرة الى ساحة المعركة ٠ وكانت طائرات أمريكا أو الحاملات الضخمة المعروفة باسم (جلاكسى)٠٠ تأتى بالمدد المستمر ، فقد كان هناك جسر جوى أمريكى بينالعريش وبين مخازن الاسلحة الامريكية فى أماكن تجمعاتها فى دول حلف الاطلسى ٠

● ● ●

فى حديث له ، قال الرئيس أنور السادات : (سوف يجىء اليوم الذى نجلس فيه لنقص ونروى ماذا فعل كل واحد منــــا فى موقعه ، وكيف حمل كل منا أمانته وأدى دوره ، وكيف خـــرج الابطال من هذا الشعب وهذه الامة ٠٠ فى فترة حالكة ، يحملون

مشاعل النور ، حتى تستطيع أمتهم أن تعبر الجسر بين اليـأس والحياة ٠٠)

والواقع أن مصر بعبورها القناة ، قد عبرت نهائيا الجسر بين اليأس والحياة ، بل أنها أغرقت اليأس فى مياه القناة ، لتبدأ حياة جديدة فى سيناء ومن سيناء ٠

فرغم أن القتال ، بعد أن أطال أمد التدخل الامريكى ، قـد توقف ، فانه توقف فى يوم ٢٢ أكتوبر بعد أن كانت مصر قـد وضعت أسس وقواعد التحرير لشبه الجزيرة ٠ فقد كان الموقف كالآتى فى يوم ٢٢ أكتوبر :

كان الشاطىء الشرقى للقناة برمته من رأس مسلة على خليج السويس ، وحتى بور فؤاد بطول ٢٠٠ كيلو متر ، وبعمق يتراوح ما بين ١٢ و١٧ كيلو مترا شرقا ، بما فيها القنطرة شرق تحت يدى قوات مصر الباسلة ٠ وهذا بالطبع لا ينسينا عملية الثغرة فى غرب القناة ، والتى تراوح عمقها ما بين ٧ و٨ كيلو مترات ٠ لكن هذه الثغرة لا تهم فى سير معركة تحرير سيناء ٠ فكما وصفها الجنرال أندريه بوفر : (كانت عملية شارون مظاهرة تلفزيونية لا أكثـر ولا أقل) ٠٠ وهذه العملية كادت تحدث معركة أخرى بعد توقف القتال ٠٠ لولا محادثات الكيلو ١٠١ التى أنقـذت جنود اسرائيل فى الثغرة ٠ ثم كانت اتفاقيتا فض الاشتباك الاولى والثانية ٠٠ حيث سلمت اسرائيل بالانسحاب المباشر من جميع الاراضى الواقعة غربى خط يوازى قناة السويس بطول امتدادها ، ويبعد عنها ٣٠ كيلو مترا ٠٠

والحقيقة أن حرب أكتوبر ، كما قال الرئيس أنور السادات : (غيرت التاريخ ، ليس فقط فى بلدنا أو أمتنا ، وانما غيرت تاريخ العالم كله) ٠

ان حرب أكتوبر جعلت العـرب يبدأون منعطفا جديدا فى

تاريخهم كقوة سادسة ٠٠ كانت الحرب ، بقدر ماجرى فيها من تنسيق للعمليات الحربية ، ذلك التنسيق الذى أعده جيل أكتوبر بحذق ومهارة ٠٠ بقدر ما كان فيها من تضامن عربى ، وخاصة بالنسبة للبترول بالذات ٠٠ لدرجة ــ وكما قال وولتر لاكير فى كتـــابه (حرب يوم كيبور) ــ ان قوة البترول جلبت التضامن بين العرب٠ وبيدهم كل الحق فى استعمال هذا السلاح ٠ ألم يحتكر اليهود منذ طويلة ، المال فى كل أنحاء العالم ٠؟

والواقع أنه لاول مرة يظهر الوجه السياسى للبترول العربى، بعد أن كان قوة اقتصادية يستفيد منها الغرب وهو مطمئن ٠ لقد اكتشف الغرب أن البترول سلاح ســـــياسى جبار ، وأن العرب يستطيعون استخدام هذا السلاح بحذق ومهارة ٠

ان العالم بعد معركة أكتوبر ، ليس هو العالم قبلها ٠

لقد خلقت سيناء ، قدس أقداس مصر ، موقفا جديدا من أجل القضية العربية ، وهدمت نظرية الامن الاسرائيلى من أساسها تلك النظرية التى حلمت بها وآمنت بها منذ بدأ الصراع العربى الاسرائيلى ٠٠ بل ان سيناء فتحت الطريق للسلام فى المنطقة ٠

الفصل السابع

الســـلام

اصعب المعارك

لم تحارب مصر فى سيناء من أجل الحرب ، وانما من أجل الحق والسلام ٠٠ هذا بالرغم من أن حرب أكتوبر — أو حـــرب كيبور كما يسميها الاسرائيليون — قطعت الذراع الطويلة لاسرائيل التى كانت تتباهى بها ، وهدمت نظريتها فى الامن ٠

والدليل على أن مصر حاربت من أجـــل السلام ، ما قام به الرئيس أنور السادات فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ومصر فى قمـــــة الانتصار ٠ فقد نادى فى مجلس الشعب المصرى ، بأنه يفتح القلب والعقل للســـلام العادل فى المنطقة ٠ ومصر دولة تعشق الســـلام ، وهو نابع من ديننا ومعتقداتنا ٠ كما أن ذات عقل راجح ومتسع ، وقيادتها تفهم أبعاد اللعبة السياسية ، وتدرك المتغيرات الدولية ٠

ان مصر لا تطلب سوى تحرير الاراضى العربية التى احتلت فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، واقامة الدولة الفلسطينية بما فيها القدس العربية ٠٠ وهو هو الدافع الى القتال ٠ بمعنى أنه قتـــال حق ، لا قتال عدوان ٠٠ وهذا يختلف مع الاستراتيجيةالاسرائيلية ومع الفكر الاسرائيلى ، الذى يعتبر كل أرض احتلت فى عام١٩٦٧ هى أرض اسرائيلية محررة ٠٠ كما يقول مناحم بيجين فى كتـابه (التمرد ٠٠ قصة الارجون) والذى نشرته فى عام ١٩٧٨ هيئـــة الكتاب فى مصر ٠

أيضا فان الاسرائيليين منذ انتصارهم فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ ملأوا الدنيا ضجيجا وعجيجا بأجهزة أعلامهم الزكية ، من أن هذه الاراضى التى احتلوها ، هى ضرورة حيوية لامن اسرائيل وسط بحر الكراهية العربى ، هؤلاء العرب الذين يريدون القـاء اسرائيل فى البحر ٠ بل ان اسرائيل أشاعت أن العرب لا يريدون السلام ٠ بل ان جولدا مائير رئيســـة وزراء اسرائيل أيام حرب أكتوبر قالت : (ان الحكام العرب يدعون أن هدفهم محــــــدد

بالوصول الى خطوط الرابع من يونيو ١٩٦٧ ، ولكننا نعرف أن هدفهم الحقيقى هو القضاء كاملا على دولة اسرائيل) •

والواقع أن الذى ساعد اسرائيل على دعم هذه الفريات التى افترتها على العرب ، تلك الاختلافات والمزايدات بين الانظمةالعربية، وهذه التصريحات اللا مسئولة من الذين ينتمون الى العرب •

وحين بدا أن السلام وشيك ، وأن مؤتمر جنيف للســـــلام سينعقد •• كانت الاختلافات البيزنطية على أمور شـــكلية حول المؤتمر • وكان مؤتمر جنيف حلا يقترب من السلام ، وهو حــل دولى أمريكى سوفيتى •

وجنوب كان فيه تيارات : اختلاف العرب على وفد واحد متحد ، او عدة وفود •• وعلى أوراق سوفيتية وأخرى أمريكية . واذا عرفنا أن اسرائيل أصلا لم تكن تريد مؤتمرجنيف للسلام••فان تلك الاختلافات قد أعطتها ذريعة للتملص من الذهاب الى جنيف •

والحقيقة أن اسرائيل بعد حرب أكتوبر كانت تخشى السلام الحقيقى ، أكثر مما تخشى الحرب ، وتفضـــــل حربا دموية غير مضمونة على سلام دائم قائم على العدل • ولا تعترف بالسلام الا كمناورة سياسية مضادة • وهكذا ، فعلى حين تعلن مصر أن عـلى اسرائيل أن تختار بين السلم أو الحرب ، فان اسرائيل لم تقدم الا لعبة الســـلام المراوغ ، أو المراوغة السياســـــية ، ولا تملك الا استراتيجية السلام الكاذب •

وكما يقول د• جمال حمدان فى كتـــابه (٦ أكتوبر ••) بطريقة ذكية : (حقيقة الامر أن اسرائيل فى قرارة نفسها ، تتبنى فى الشرق الاوسط نظرية الدومينو ، تلك التى كانت أمريـــكا تتبناها فى الشرق الاقصى ، والتى تقول ان فقد قطعة من الارض للخطر الشيوعى فى جنوب شرقى آسيا ، يؤدى الى فقد قطعـــــة أخرى ، وثالثة •• وهكذا ، حتى تسقط المنطقة جميعها • وبالمثل

تعتقد اسرائيل أن تنازلها عن الاراضى العربية المحتلة اليوم سيعقبه حتما تنازل عن جزء من فلسطين غدا ، ثم عنها كلها بعد غد ٠٠)

ومن هنا جاءت محاولات اسرائيل المستميتة في افشال أيـه جهود للسلام القائم على الحق والعدل ، وعلى عودة الارض العربية المحتلة ٠٠

لقد بذل أنور السادات جهـــودا خارقة ، لكى يشرك أوربا وأمريكا فى محاولات السلام ، وفى طرح وجهة النظر العربية التى كانت غائبة عن العقل الاوربى والامريكى ٠ فما أكثر الرحلات التى تعددت للرئيس الســـادات حاملا القضـــية بثقلها على كتفية لكى يعرضها بصدق على الملوك والرؤساء وعلى شعوب ٠٠

وقد نجح أنور السادات فى حرث الارض وتمهيدها ، وفى اقناع العالم بقضية العرب ، بل ان السادات استطاع أن ينقـــل عدالة القضية العربية الى قلب المواطن الامريكى ، بل الى (اللوبى) اليهودى داخل الولايات المتحدة الامريكية نفسها ، معقل الصهيونية وحامى حماها. لقد استطاع السادات فك وخلخلة العلاقة العضوية بين أمريكا واسرائيل ، وأن يجعل رئيس أمريكا يصرح — ولاول مرة منذ ٢٥ سنة — بأن السلام ممكن فى المنطقة ٠ كما استطـاع من خلال الامم المتحدة ، ومن الزيارات والمباحثات لدول العالم ، أن يجعلها تعترف بالوجود الفلسطينى أولا ٠٠ وبأن منظمة التحرير الفلسطينية هى المعبر عن الشعب الفلسطينى ٠

ومع هذه الجهود كلها فان اسرائيل ظلت تراوغ وتماطـل ، لا تريد ســـــلاما ٠٠ بل تريد حالة من اللا ســـلم واللا حرب التى كانت قبل حرب أكتوبر ، اقتناعا منها بأن العرب قوم سرعان ما ينقلبون على أنفسهم وينسون قضاياهم المصيرية ٠

ووصل الامر فى أواخر عام ١٩٧٧ ، وكأن جولة خامسة من الحرب تلوح فى الافق بين مصر واسرائيل ، وتوشك على الوقوع٠

فعلى الجانب الاسرائيلى كان العمل المضاد لجهود السـلام ومحاولة نسف المساعى الصادقة التى قامت بهـا مصر ، واذاعت اسرائيل أن العرب يعدون أنفسهم للحرب .

وعلى الجانب المصرى ، قال الرئيس السادات فى خطاب له : (اننى لا أهدد أحدا . ولكن على الجانب الآخر - أى الاسرائيلى - أن يدرك أنه لن يستطيع البقاء فى بلادى ، الا اذا كان يفكر فى حرب أخرى بالطبع) .

وتواترت الانباء وطيرتها وكالات الانباء ، بأن الجانبين العربى والاسرائيلى يستعدان بتسليح المكثف المخيف .. لجولة خامسة .

وفجأة تلوح فى الافق (مبادرة السلام االتاريخية) .. التى قام بها الرئيس أنور السادات الى القدس .

● ● ●

المبادرة التاريخية الى القدس ، كانت زلزالا آخر .. مثلما كانت حرب أكتوبر .. كانت المبادرة لحظة تاريخية هزت ضمير العالم .

لقد استغرقت هذه المبادرة ثلاثين ساعة وقف العـالم كله وقلبه يخفق لهذا الحدث الحضـارى الذى لم يحدث له مثيل من قبل .

كانت المبادرة ابداعا تاريخيا لقـائد موهوب بحق ، عميق الاحساس بضمير شعبه الحضارى التليد . كما كانت عملا محسوبا بدقة عميقة .

وقد استهدفت المبادرة شيئين أساسيين :

أولهما : أن تعود الحقوق العربية الى أصحابها .

والثانى : أن تكون هناك مبادىء انسانية تضمن لكل شعوب المنطقة

العيش فى سلام ، وتقف النزيف الدموى المراق ، ثم نزع الفتيل المتفجر فى المنطقة التى شهدت عدة حروب دامية .

لقد أراد السادات مواجهة العدو الصهيونى مباشرة وجهـا لوجه . ومادام العرب كان من المقرر أن يجلسوا مع الاسرائيليين فى جنيف ، فلماذا لايجلسون اليهم فى القدس أو فى القاهرة ، أو فى أية عاصمة عربية . أراد السادات أن يقف المدلهمة التى كانت على وشك الوقوع ، ويكسب الوقت الثمين ، ويصل الى جوهر الموضوع مباشرة .

ولقاء الاسرائيليين مباشرة ، وليس من وراء حجاب ، لم يكن بدعة ابتدعها أنور السادات .. فقد التقى السوريون والاردنيون واللبنانيون والمصريون أكثر من مرة بالاسرائيليين فى السر منذ عام ١٩٤٨ ، أو منذ وقعت كارثة فلسطين .

والذى يدرس (البحث عن الذات) بعمق .. ويدرس الكتب التى ألفها السادات قبل (البحث عن الذات) ، يجد أنه انسان ـ قبل أن يكون رئيسا ـ لديه اقتناع جازم أنه لا يمكن اخفاء شىء يتعلق بقضية المصير . فالسادات دائما ، وكما عاصرناه يختلف عن كثير غيره بوضوحه وعلانيتـه واسـتقامة منهجه ، ولا يعمل بوجهين . وهو دائما لا يتخلى عن مبادئه وعن قيمه ، وهى قيـم ومبادىء القرية المصرية المتميزة . لا يعرف المزايدة على حقوق شعبه وحقوق أمته العربية .

ولم يذهب السادات الى القدس باسم مصر وحدها ، ولو كان قد ذهب لكان معه الحق ، وانما ذهب باسم الامة العربية وحدها . وهو لم يسع الى حل منفرد ، كان يستطيع أن يناله لشعبه فى مصر بلا مجهود أو معاناة . كما لم يذهب ليعطى ظهره للامة العربية أو لينزع عن مصر عروبتها كما ادعى البعض للاسف ، هؤلاء الذين لا يعملون ، ويؤذى نفوسهم أن يعمل الناس .. انه ذهب يحمل

رسالة مصر وأمة العرب ، تلك الرسالة التى حملتها مصر منذ أن اخضر الاسلام فى قلبها .

ولذلك فحقا ما قاله السادات فى القدس . « .. ان الامة العربية لا تتحرك فى سعيها من أجل السلام الدائم العادل من موقع ضعف أو اهتزاز ، بل انها على العكس تمـــاما تملك من مقومات القوة والاستقرار ، ما يجعل كلمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام ، صادرة عن ادراك حضارى ، بأنه لكى نتجنب كارثة محققة ، علينا وعليكم وعلى العالم كله ، فانه لا بديل عن اقرار ســــلام عادل ، لا تزعزعه الانواء ، ولا تعبث به الشكوك ، ولا يهزه سوء المقاصـد أو التواء النوايا) .

كانت المبادرة شيئا لم يطـــرأ فى ذهن انســان غير أنور السادات .

بل انها كانت ، وكما وصفها أحد الحاخامات اليهود: (حدث من فعل الله ، وليس من عمل انسان) .. ووصفتها مجلة (تايم) الامريكية قائلة : (لم يكن الامر يبدو أقل احتمالا أو توقعا ، فقد بدا كما لو أن رسولا من عند الله نزل الى أرض الميعاد على بساط سحرى) . وكانت المبادرة قبل كل ذلك شجاعة نادرة من قلب مؤمن لايحسه الا من درس السادات ونفسيته وحياته وتاريخه .

لكن ماذا قال السادات للاسرائيليين فى عقر دارهم ؟

قال السادات أمام ممثلى الشعب الاسرائيلى فى الكنيست فى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ :

(لقد أصبحت اسرائيل حقيقة واقعة اعتـــرف بها العالم ، وحملت القوتان الاعظم مسئولية أمنها وحماية وجودها ..) وقال أيضا : (اننا لا نقبل عقـــد اتفاق منفرد بين مصر واسرائيل ، ولا نقبل سلاما جزئيا ، ولا اتفاقية ثالثة لفض الاشتباك ان أرضنا

لا تقبل المساومة ، وليست عرضة للجدل ، لا يملك أى منا أو يقبل أن يتنازل عن شبر واحد فيه ، أو أن يقبل مبدأ الجدل والمساومه عليه • هناك أراض عربية احتلتها — لا تزال تحتلها — اسرائيل بالقوة المسلحة • ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية • ليس من المقبول أن يفكر أحد فى الوضع الخاص لمدينة القدس ، فى اطار الضم أو التوسع ، وانما يجب أن تكون مدينة حرة مفتوحة لجميع المؤمنين • ان تلك المدينة يجب ألا تفصل عن هؤلاء الذين اتخذوها مقرا ومقاما لعدة قرون • يجب ألا يخطىء أحد فى تقدير الاهمية والاجلال اللذين نكنهما للقدس نحن معشر المسيحيين والمسلمين ••)

ويقول أنور السادات للاسرائيليين أيضا :

(ان الانسحاب الكامل من الارض العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ أمر بديهى لا نقبل فيه الجدل ، ولا رجاء فيه لاحد أو من أحد • ان السلام لا يمكن أن يتحقق بغير الفلسطينيين • وقضية شعب فلسطين ، وحقوق شعب فلسطين المشروعة لم تعد اليوم موضع تجاهل أو انكار من أحد ، بل لا يحتمل عقل يفكر أن تكون موضع تجاهل أو انكار • لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطينى وحقوقه فى اقامة دولته وفى العودة • لا داعى للدخول فى الحلقة المفرغة مع الحق الفلسطينى ، ولا جدوى من خلق العقبات ، الا أن تتأخر مسيرة السلام أو أن يقتل السلام • اللغة الواحدة لعلاج المشكلة الفلسطينية هى أن تقوم دولتها) •

وختم أنور السادات خطابه الى الكنيست الاسرائيلى قائلا :

(لتتجه الجهود الى بناء صرح شامل للسلام ، بدلا من بناء القلاع والمخابىء المحصنة بصواريخ الدمار •• قدموا للعالم كله صورة الانسان الجديد فى هذه المنطقة • بشروا أبناءكم أن ما مضى هو آخر الحروب ونهاية الآلام •• وأن ما هو قادم هو البداية للحياة الجديدة ، حياة الحب والخير والحرية والسلام ••)

(ويا أيتها الام الثكلى ، ويا أيتها الزوجة المترملة ، ويا ايها الابن الذى فقد الاخ والاب ٠٠ يا كل ضـــحايا الحرب ٠٠ املأوا الارض والفضاء بتراتيل السلام ، املأوا الصـــدور والقلوب بآمال السلام ، اجعلوا الانشودة حقيقة ، تعيش وتثمر ٠٠ اجعلوا الامل دستور عمل ونضال ، وارادة الشعوب هى ارادة الله) ٠

ويقول السادات للاسرائيليين والاسرائيليات مخاطبا :

(لقد جئت اليكم اليوم على قدمين ثابتتين لكى نبنى حيـــاة جديدة ، لكى نقيم السلام ٠ وكلنا على هذه الارض ، أرض الله ، كلنا مسلمون ومسيحيون ويهود ، نعبد الله ولا نشرك به أحدا ٠٠ وتعاليم الله ووصاياه هى حب وصدق وطهارة وسلام) ٠

● ● ●

والواقع أنه اذا كانت مبادرة السادات التاريخية الى القدس قد هزت وجدان العالم ، فانها وضعت القادة الاسرائيليين — وعلى رأسهم مناحم بيجين رئيس الوزراء — بين فكى الكماشة ٠ بل هى وضعت نهاية للمراوغات السياسية أو السـلام المراوغ كما سبق أن ذكرنا ٠

وأعتقد أن هذه المبادرة كانت قمة الحصار السـياسى الذى التف حول اسرائيل ، كما يلتف الحبل حول عنق المحكوم عليـــه بالاعدام ، ان جاز هذا التعبير ٠ فلقد كانت هذه المبادرة — كمـــا أعتقد — موجهة الى شعب اسرائيل والى قادة اسرائيل بالدرجـــة الاولى ٠

كما أعتقد أيضا — كدارس للحركة الصهيونية — أن مبـادرة السادات للقدس جاءت فى وقتها المناسب ، والمنـــاسب جدا ٠٠ خاصة بالنسبة للقيادات الاسرائيلية ذوى الثقل السياسى عنـــد الشعب الاسرائيلى ٠ فمناجم بيجين من جيل القادة القدامى الذين بنوا اسرائيل ، أو هو آخر أبناء هذا الجيل بالمعنى الاصح ٠

ولقد كان لبيجين دور خطير ، ومفاهيم عتيقة ظل يعتنقها ، وربما لا يزال ـ بالنسبة لفلسطين وللارض الفلسطينية ، ضمنها كتابه (التمرد ‥ قصة الارجون) ‥ ذلك الكتاب الذى أوردنا بعضا من تفاصيله فى كتابنا (اليهود والحركة الصـــهيونية فى مصر) ، والذى صدر فى الخامس من يونيو عام١٩٦٩، فى الذكرى الثانية لنكسة يونيو عام ١٩٦٧ ٠

فمناحم بيجين من أشـــــد الدعاة المتعنتين لفكرة التفوق الصهيونى ، وحق اليهود فى أرض الميعاد ، ومن أشد معتنقى مذهب القوة فوق الحق ، والغاية تبرر الواسطة ، مذهب مكيافيللى ،وأنه لا وسيلة لتحقيق الحلم الصهيونى سوى العنف والدماء وحمــــل السلاح بصفـــــة دائمة .. لدرجة انه كان يقول لشباب عصابة (الارجون) ‥ ومن يمت منكم وهو يحارب العرب ، فســـــوف يبقى خالدا فى مخيلة اليهود ‥ !!

وبيجين تلميذ مخلص لافكار زعيـم التصحيحين : أو أقصى اليمين ـ فى المنظمة الصهيونية العالمية فى الثلاثينيـــــات ، وهو فلاديمير جابوتنكس ، الذى التقى به بيجين عام ١٩٣٨ وأعجب به، واعتنق نظريته التى تؤمن بالعنف المطلق ٠ وبيجين أيضا بلورهذه النظرية فى قوله :(أنا أحارب ‥ إذن فأنا موجود) ‥ على غرار منهج الشك الديكارتى (أنا أشك ، اذن فأنا موجود) ‥ !!

كذلك فهناك الكثير من معتنقات بيجين التى بثها فى منظمته الارهابية ، التى تحولت الى حــزب (حيروت) الــذى تزعيــه بيجين ، حيث من مبدئها (كن أخى والا قتلتك) ‥ بل كان يبث فى الشباب قوله : (لن يكون هناك سلام لشعب اسرائيل ، ولا فى أرض اسرائيل (ارتز اسرائيل) ، ولن يكون سلام للعرب أيضا، ما دمنا لم نحرر وطننا بأكمله ، حتى لو وقعنا مع العرب معاهدة صلح) ٠

وبيجين وجماعته ، هولاء من الصقور المؤمنين باسرائيـــل

الكبرى ، حتى ان شعار منظمة (الارجون) كان خريطة كبيرة المساحة تمتـــد من النيل الى الفرات ، وعليها بندقية جاهزة للانطلاق ، وتحتها كلمتا (راك كاخ) .. اى (هكذا فقط) .. وكان من عقيدتها ان الهجوم على العرب لا يعتبر عدوانا ، وانما دفاع عن النفس) .

ولم تهاجم الارجون العرب وحدهم بل هاجمت بريطانيـــا لاصدارها الكتاب الابيض فى عام ١٩٣٩ ، وهى التى نسفت فندق الملك داوود فى ٢٢ يوليو ١٩٤٦ . كما أنها فى أول مارس ١٩٤٨ نسفت نادى الضباط الانجليز فى القـدس ، وهى أيضـــا التى اختطفت الانجليز وذبحتهم وشنقتهم .. لمــا زعمت حـــول سرقة الاسلحـة البريطانية لتضرب بها العرب . والارجون مع عصابة شترن هى التى دبرت مذبحة دير ياســـين فى ١٠ ابريل ١٩٤٨ حيث بلغ عدد ضحـــاياها حوالى ٣٠٠ ضحية كما يروى القائد عبد الله التل فى كتابه (كارثة فلسطين) . وقد قال بيجين دون خجل : (لولا النصر فى دير ياسين لما كانت دولة اسرائيل) . لقــد كانت دير ياسين كما يقول الكاتب اليهودى الفريد ليلينتال فى كتابه (الوجه الآخر للعملة) .. حمام دم رهيب ..

ولكى نقترب من فكر بيجين أكثر نقول :

انه فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وجه مناحم بيجين خطابا الى اليهود فى اسرائيل بمناسبة قيام الدولة ، قال ضمن ما قاله فيه بالحرف الواحد (.. ومن لا يعترف بحقنا الطبيعى فى وطننا كله ، فهو لا يعترف بحقنا فى أى جزء منه ، ولن نتنازل مطلقا عن هـــذا الحق ، بل سنظل ساهرين على العمل لتحقيق اســـتقلال الوطن اليهودى بأكمله) .

ولقد ظل بيجين يردد هذا المعنى ، حتى انه فى عام ١٩٦٨ وبعد عام من نكسة يونيو ١٩٦٧ قال : (ان شرط الامن الاساسى

لاسرائيـــل هو الاحتفاظ بسيـــيطرة اسرائيل على المنـــاطق التى احتلتها ، والاستيطان الواسع النطاق فى مناطق الضفة الغربية ــ يهودا والسامرة ــ وغزة والجولان وسيناء) ٠

وفى عام ١٩٧٠ كان لدى بيجين اقتناع بأن الارض العربية المحتلة ما هى الا مناطق محررة اسرائيلية ، حتى أنه طالب ــ ولم يكن فى السلطة ــ بأنه من أجل ضمان سيادة اسرائيل على جميع (المناطق المحررة) ٠٠ !! يجب تطبيق القانون والقضاء والادارة الاسرائيلية عليها ٠

وحتى عندما جاء بيجين الى السلطة فى مايو ١٩٧٧ ٠٠ لم يغير شيئا من معتقداته رغم المتغيرات الدولية والمحلية فى المنطقة ، ورغم حرب أكتوبر ، ورغم مساعى السلام ، بل كان يؤمن كمـــا قال : (ان استيطان شعب اسرائيل على نطاق واسع فى يهـودا والسامرة ــ كما يسميها دائما ــ وفى غزة والجولان وسيناء ، لا بد وأن يكون فى مرتبة القداسة لدى اليهود) ٠

هذا الفكر الصهيونى المسيطر على بيجين وعلى صقور اسرائيل كان هو السبب فى تعثر المباحثات ، والسبب أيضـــا فى تلك المراوغات ، وتعثر مسيرة السلام ٦١ شهرا عصيبة ، بذلت فيها مصر وقائدها أنور السادات المستحيل ، وطرقت كل السبل ٠ فقـــد كان اصرار بيجين دائما ، الذى يصل اليه الى درجة اليقين ، أن تظل شئون الامن والنظام العام فى الضفة الغربية وغزة بيد السلطـــة الاسرائيلية ، وأن تظل السيادة فى يهودا والسامرة بيد الاسرائيليين، وأن يكون من حق اسرائيل امتلاك الاراضى فى الضـفة وغزة ٠٠ وكان مصرا أيضا على بقاء المستوطنات الاسرائيلية فى أماكنهـــا كشرط للانسحاب من سيناء ٠

● ● ●

وقد أطنبنا فى شخصية مناحم بيجين ومعتقداته لكى ندلل بالبرهان القاطع ، على أن غزو السادات للقدس بمبادرته التاريخية

من أجل السلام ، جاءت على غير ما يريده صقور اسرائيل وعلى رأسهم مناحم بيجين رئيس الوزراء . انهم لا يريدون السلام ... ولذلك أطلقوا ما فى جعبتهم من سهام لكى يفشلوا مبادرة السلام بكل السبل والوسائل .

وحين ضيق عليهم السادات الخناق ليعريهم أمام العالم ، وليكشفهم أمامه بأنهم هم الذين لايريدون السلام ، وليس العرب .. حاولوا الفكاك بكل الطرق ، وفى كل اللقاءات والمباحثات التى جرت : فى مؤتمر القاهرة التحضيرى بفندق مينا هاوس بالقاهرة فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٧ ، وفى لقاء الاسماعيلية فى ٢٥ ديسمبر ١٩٧٧ ، ثم خلال اللقاءات التى تمت عام ١٩٧٨ بدءا من مؤتمر كامب ديفيد الاول الى مباحثات قصر ليدز فى بريطانيا ، الى محادثات بروكسل ثم محادثات بلير هاوس ، ثم فى كامب ديفيد الثانى .. و .. و .. وخاصة حول قضية المستوطنات .

ففى المؤتمر التحضيرى بالقاهرة ، الذى انعقد بحضور الامم المتحدة ، ومصر واسرائيل وأمريكا عرضت على مائدته مسائل أساسية للبحث هى : الانسحاب الاسرائيلى من الارض العربية التى احتلت فى ٥ يونيو ١٩٦٧ كجزء من الحل الشامل . ثم الاتفاق على حدود معترف بها ، ثم المسألة الفلسطينية ، ومفهوم السلام ، ونوعية العلاقة التى ستنشأ بين العرب واسرائيل فى ظل السلام.

وفى ٢٥ ديسمبر كان لقاء الاسماعيلية بين وفد مصر برئاسة الرئيس أنور السادات ، ووفد اسرائيل برئاسة مناحم بيجين . وفى هذا اللقاء أبلغ مناحم بيجين الرئيس السادات ، بأن مجلس الوزراء الاسرائيلى وافق على اعادة سيناء كاملة كمناورة من اسرائيل لكن الرئيس السادات رفض الموافقة على استعادة سيناء المصرية .. الا اذا ارتبط ذلك بالحل الشامل والكامل للقضية الفلسطينية . وانتهى اللقاء بتكوين لجنة عمل مصرية - اسرائيلية ، ورفع التمثيل

فى مؤتمر القاهرة الى مستوى الوزراء ، وتكوين مجموعتى عمل سياسية وعسكرية يرأسهما وزيران من كل جانب ويجتمعان بالتناوب ، فى القدس والقاهرة ٠

ومع بداية عام ١٩٧٨ انعقدت اللجنة العسكرية فى القاهرة. كما انعقدت اللجنة السياسية بالقدس ٠ وفى اللجنة السياسية التى حضرتها الولايات المتحدة كشريك ، كما حضرها الجنرال سيلاسفو المنسق العام لقوات الامم المتحدة فى الشرق الاوسط ٠ قدمت مصر مشروعا من خمس نقاط على أساس تطبيق قرارى مجلس الامن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ ، وتشمل : الانسحاب الاسرائيلى الكامل من سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة ٠ وضمان سلامة الاراضى ، والاستقلال السياسى لكل دولة عن طريق ترتيبات أمن يتفق عليها ٠ وتحقيق تسوية عادلة للمشكلة الفلسطينية بجميع جوانبها ، على أساس حق تقرير المصير ٠ وانهاء دعاوى الحرب واقامة علاقات سلمية بين الاطراف ٠

على أن هذه المباحثات أكدت تعنت وهروب الجانب الاسرائيلى أو تهربه من السلام ،والخلاف ظهر فى نقطتين أساسيتين : تذرعت بهما اسرائيل لنسف جهود السلام ، وهى : المستوطنات ٠٠ ثم المسألة الفلسطينية ، بمختلف جوانبها ٠٠ السياسية والانسانية

وأمام التعنت والتسويف الاسرائيلى ، استدعت مصر فى ١٨ يناير ١٩٧٨ وفد التفاوض المصرى فى اجتماعات اللجنة السياسية بالقدس ، وأوقفت اجتماع اللجنة العسكرية ٠أما السبب فى ذلك، فقد أزاح الرئيس السادات عنه الستار فى اجتماع طارىء لمجلس الشعب المصرى فى مصر ، حيث قال : (ان مصر ترفض أن تتيح للطرف الآخر استغلال عنصر الوقت ، كما ترفض أى موقف يقوم على التشبث بمنطق التوسع والاحتفاظ بالارض المحتلة ، بحجة دعاوى الامن) ٠

وقال الرئيس السادات أيضا : (ان اسرائيل لم تستوعب بعد جوهر وروح مبادرة السلام) .

ولقد توقفت المباحثات وقطعت ، وبدا أن حمامة السلام ستغتال .. الى أن صدر بيان من البيت الابيض الامريكى فى ٩ فبراير ١٩٧٨ ، يؤكد أنه لا يمكن تحقيق السلام العادل والدائم دون حل للمشكلة الفلسطينية ، وهذا البيان الامريكى أوضح أيضا الاسس التى ينبغى أن يقوم عليها السلام الدائم فى المنطقة ، وطبيعة الالتزام الامريكى تجاه جهود السلام .. وهو التزام استطاع الرئيس السادات بجهد شاق أن يجعل من أمريكا شريكا كاملا فى المباحثات .. حتى لا يدع مجالا لاسرائيل لكى تقلب الحقائق ، وتدعى أن مصر هى التى تتسبب فى توقف مباحثات السلام .

والواقع أنه فى الفترة من ٢٨ يناير الى التاسع من فبراير ١٩٧٨ قام الرئيس السادات بجولات نشطة زار فيها كلا من أمريكا وبريطانيا ، وألمانيا الغربية ، والنمسا ، ورومانيا ، وايطاليا ، والفاتيكان .. وقد شرح لهذه الدول ورؤسائها التعنت الاسرائيلى . ومنذ هذا الوقت شاركت أمريكا مشاركة فعلية فى مباحثات السلام والتفاوض المضنى الصعب ، ذلك الذى انتهى بعقد معاهدة السلام بين مصر واسرائيل فى السادس والعشرين من مارس ١٩٧٩ .. أى بعد عام كامل صعب من صدور البيان الامريكى .

● ● ●

أدى هذا البيان الى عقد مباحثات مصرية اسرائيلية فى (قصر ليدز) بلندن .. لمناقشة مشروع مصر و مشروع أمريكى معه ، بالاضافة الى مقترحات تقدم بها الجانب الاسرائيلى . لكن هذه المباحثات انتهت دون التوصل الى نتائج محددة .

وقد أدركت الادارة الامريكية بصدق ، أن اسرائيل هى التى تحاول نسف جهود السلام .. ولذلك فقد كان لا بد من أن يتدخل

الرئيس الامريكي جيمي كارتر شخصيا • حتى لا تضيع الفرصة التى حققتها مبادرة السلام الى القدس • وارسل الرئيس الامريكى وزير خارجيته فى ٥ أغسطس ١٩٧٨ •• لمحاولة استعادة قوة الدفع لجهود التسوية السلمية • واستطاع وزير الخارجية الامريكى أن يقنع مصر واسرائيل بحضور مؤتمر قمة فى (كامب ديفيد) ، وهو المؤتمر الذى بدأ اجتماعاته فى الخامس من سبتمبر عام ١٩٧٨ ، وحيث جرت مباحثات السلام بين الرئيس السادات والرئيس جيمى كارتر ، ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل •

والواقع ان جهود مصر فى مباحثات (كامب ديفيد) ــ كانت .. لايجاد حل لمشكلة الضفة وغزة ، على اعتبار أن القضية الفلسطينية هى لب الازمة فى الشرق ، وهى جوهرها أيضا •

وقد أنهي مؤتمر (كامب ديفيد) احتماعاته بعد ١٣ يوما من الجهود المضنية فى ١٨ سبتمبر ، حيث أمسك العالم قلبه عدة مرات ، توقفت فيها المباحثات ، وهدد السادات بترك كامب ديفيد •• لولا النشاط المكثف الذى بذله الرئيس كارتر لانقاذ المؤتمر من الفشل •

وانتهى مؤتمر كامب ديفيد بالاتفاق على وثيقتين هامتين ، لتحقيق تسوية شاملة النزاع العربى الاسرائيلى ، وذلك فى الساعات الاخيرة للمؤتمر ..

وقد أطلق على الوثيقة الاولى : (اطار السلام فى الشرق الاوسط) • وجاءت الوثيقة الثانية لعنوان : (اطار لابرام معاهدة سلام بين مصر واسرائيل) (١) •

وتنص الوثيقة الاولى ، على الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وعلى ترتيبات أمن تستهدف حماية وتعزيز أمن أسرائيل . وفيما يتعلق بالفلسطينيين فتنص الاتفاقية على أن

---

(١) انظر نصوص اتفاقيتى كامب ديفيد :

تكون لهم الفرصة لتقرير الكيفية التى يرغبون فيها لحكم انفسهم ، من حلال حكم ذاتى لفترة انتقالية اقصاها خمس سنوات .

وبناء على الاتفاقات المبرمة لن تقام مستوطنات اسرائيلية جديدة فى المنطقة خلال المفاوضات حول اقامة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزة .

وتتيح الوثيقة للفلسطينيين ، أو بمعنى أصح لممثليهم الاشتراك فى المفاوضات الخاصة فيما يتعلق بمستقبلهم ، ويكون للممثلين الفلسطينيين المنتخبين فرصة متاحة للموافقة على الاتفاقية التى تنظم قواعد الوضع النهائى للمنطقة . وتجرى هذه المفاوضات على أساس جميع البنود والمبادىء الواردة فى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، والذى يدعو اسرائيل الى الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ .. وعودة النازحين ، وحل سريع لمشكلة اللاجئين .

كذلك تنص هذه الوثيقة على ترتيبات الامن ، وتعهدات السلام ، التى يتوقع أن تكون جزءا من أية تسوية شاملة بين اسرائيل وجيرانها ، بما فى ذلك انشاء مناطق منزوعة السلاح ومناطق محدودة التسليح ، ومناطق انذار مبكر ، وتواجد قوات دولية .

أما الوثيقة الثانية والمتعلقة بسيناء ، فهى تنص على الانسحاب من شبه الجزيرة على مرحلتين : انسحاب رئيسى يتم فى فترة تتراوح ما بين ثلاثة وتسعة أشهر بعد توقيع اتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية . كما تقضى بأن يتم الانسحاب الاسرائيلى النهائى من سيناء فى فترة تتراوح ما بين عامين وثلاثة أعوام بعد توقيع اتفاقية السلام . كما تقضى الوثيقة باقامة علاقات طيبة بين مصر واسرائيل عند اتمام انسحاب المرحلة الاولى ، والتى تمثل الجانب الاكبر من عملية الانسحاب . بالاضافة الى اعادة كل المطارات الاسرائيلية فى

سيناء لمصر ، وتحويلها الى مطارات مدنية ٠٠ على أن يضمن مجلس الامن هذا الاتفاق ، والحدود الآمنة للدول العربية واسرائيل ٠

وفى ٢٣ سبتمبر ١٩٧٨ اذاع البيت الابيض الامريكى نصوص الرسائل التسع (١) التى تم تبادلها بين الرئيس السادات والرئيس الامريكى جيمى كارتر ، ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل حول اتفاقيات كامب ديفيد ٠

وتحمل ثلاثا من هذه الرسائل توقيع الرئيس السادات ، واثنتان توقيع مناحم بيجين ، والاربعة الاخرى تحمل توقيع الرئيس كارتر ٠ وهذه الرسائل تحدد فيها الآتى :

أولا : ان القدس العربية جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية لنهر الاردن ، وان الحقوق القانونية والتاريخية للعرب بالمدينة يجب أن تحترم وأن يتم الحفاظ عليها ٠

ثانيا : ان القدس العربية يجب أن تكون تحت السيادة العربية ٠

ثالثا : ان السكان الفلسطينيين فى القدس العربية لهم الحق فى ممارسة حقوقهم القومية الشرعية ، باعتبارهم جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطينى فى الضفة ٠

رابعا : أن القرارات الصادرة عن مجلس الامن والخاصة بالاوضاع فى مدينة القدس يجب أن تطبق ، وأن كل الاجراءات التى اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع المدينة لا يعتد بها ، وتعتبر لاغية وباطلة ٠

خامسا : أن يكون لكل الشعوب حرية الوصول الى المدينة المقدسة ، وأن تكفل لهم حرية ممارسة تقاليدهم فى العبادة ، وحرية الزيارة والتنقل بين الاماكن المقدسة دون اية تفرقة أو تمييز ٠

---

(١) انظر ملاحق اتفاقيتى كامب ديفيد ٠

والواقع أن اتفاق كامب ديفيد فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ .. كان انجازا كبيرا على طريق السلام ، حتى أن الرئيس السادات قال فى رسالته من كامب ديفيد لشعب مصر : (حققت ما كنت أريد ، ولم نعد فى حاجة الى أن نرسل أبناءنا للحرب مرة أخرى) .

● ● ●

ويتنفس محبو السلام الصعداء ، وتنشرح صدورهم لتوقيع اتفاقيتى كامب ديفيد .

لكن اسرائيل حتى هذه اللحظة يبدو أنها لم تستوعب الدرس جيدا .. لتتعثر عملية السلام مرة أخرى وتفقد دفعها . ويبدو أن اسرائيل اعتبرت أن وثيقتى كامب ديفيد (فخا) أوقعها فيه أنور السادات ، ولذلك لم تتجاوب بالقدر الكافى مع أفكار مصر من أجل السلام .

وبدأت جولة أخرى ، كانت المباحثات فيها مضنية ، والاتصالات مكثفة مع الولايات المتحدة الشريك الكامل فى المباحثات .. فقد سافر السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية المصرية الى أمريكا فى ١٥ نوفمبر ١٩٧٨ ليسلم رسالة هامة من الرئيس السادات الى الرئيس جيمى كارتر ، توضح وجهة النظر المصرية . كما قام رئيس وزراء مصر دكتور مصطفى خليل ، فى أول ديسمبر عام ١٩٧٨ بزيارة الرئيس كارتر فى واشنطون ، وشرح له موقف مصر من المباحثات والعقبات التى تعترض سير المفاوضات .

ولبحث سبل استئناف المفاوضات بين مصر واسرائيل .. عقدت اجتماعات فى بروكسل فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٨ حضرها د. مصطفى خليل رئيس وزراء مصر ، وسيروس فانس وزير خارجية أمريكا ، وموشى ديان وزير خارجية اسرائيل . وفى هذه المباحثات تمسكت مصر بموقفها من ضرورة تحقيق السلام الشامل والدائم ، وضرورة اعادة النظر فى ترتيبات الامن بعد مضى فترة زمنية معينة

على توقيع معاهدة السلام . كما تمسكت مصر بالتزاماتها بالمعاهدات والاتفاقات المبرمة مع الدول العربية ، وعلى وجه الخصوص ميثاق الضمان الجماعي العربي .

لكن مباحثات بروكسل لم تكن جرعة كافية في دفع عجلة المباحثات ، فكان لا بد من نقلها الى واشنطون ، حيث بدأت في كامب ديفيد في ٢١ فبراير ١٩٧٩ . وهناك أسفرت المباحثات عن صياغة يمكن أن تكون نهائية للنقاط الرئيسية موضوع الخلاف . وقد مثل مصر في المباحثات الفريق أول كمال حسن على وزير الدفاع . والمهم ان هذه المباحثات التى اوشكت على النجاح توقفت ، بعد أن تذرع موشى ديان ، رئيس وفد اسرائيل ، بأنه سيتشير حكومته .

على انه خوفا على ضياع فرصة السلام ضياعا نهائيا ، فقد ألقت الولايات المتحدة الامريكية بكل ثقلها في اللحظات الاخيرة الحاسمة . وكانت زيارة الرئيس جيمى كارتر لمنطقة الشرق الاوسط في ٨ مارس ١٩٧٩ بمقترحات أمريكية محددة ، تحاول التوفيق بين النقاط التي تعترض توقيع معاهدة السلام . وقد تم خلال هذه الرحلة المكوكية للرئيس كارتر بين مصر واسرائيل ، والتى انتهت يوم ١٣ مارس ١٩٧٩ ، تذليل كل العقبات .

ثم وقعت معاهدة السلام في ٢٦ مارس ١٩٧٩ في واشنطون على مرأى ومشهد من العالم كله ، ونقلها القمر الصناعي على شاشة التليفزيون . وقد وقع على هذه المعاهدة الرؤساء أنور السادات وجيمى كارتر ، ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل .. وهي ثلاث نسخ : بالعربية ، والعبرية والانجليزية «١» .

---

(١) انظر الملاحق .

الفصل الثـــامن

التحدى عظيم ... والمستقبل اعظم

في السادس والعشرين من مارس عام ١٩٧٩ ، تم في مدينــة واشنطون توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، في حفل كبير أقيم بالبيت الابيض ، المقــر الرسمي للرئيس الامريكي • وقد وقع على هذه المعاهدة الرئيس محمد أنور السادات ، رئيس جمهــورية مصر العربية • ومناحم بيجن رئيس وزراء اسرائيــل ، والرئيس جيمي كاتر رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، باعتبــار امريكا شريك كامل في مباحثات السلام ، وفي مباحثات الحــكم الذاتي للفلسطينيين • وهذه المعــاهدة صيغت من ثلاث نسخ ، باللغات العربية والعبرية والانجليزية •

وبالنسبة لسينــاء ، فقد نصت معــاهدة الســلام على انسحاب اسرائيل الى خط العريش – رأس محمد « ثلثي سيناء » خلال تسعة أشهر ، على أن يبدأ الانسحــاب من العريش ، بعــد شهرين من توقيع المعاهدة ، ومن مناطق البترول بعد سبعة أشهر ثم يتم الانسحاب من سيناء كلها ، وحتى الحدود الدولية ، خلال خلال سنوات ثلاث •

والحقيقة أن معــاهدة السلام ، لم تعــط لاسرائيــل أية أية امتيازات او أفضليات لاسرائيل في سيناء ، تحت أى ظــرف من الظروف • كما أنها نصت – وبصراحــة – على أنه لا وجــود اسرائيلي على الارض المصرية بعد الانسحاب • كما أكدت المعاهدة التزام مصر بجميع ارتباطاتها العربية •• وأنه لا قيود اطــلاقا على سيادة مصر على ترابها الوطني •

أما بالنسبة لصلاحيات وسلطات الحكم الذاتي للفلسطينيين فقد نصت معاهدة السلام على أن تبدأ المباحثات بشأنها بعد توقيع المعاهدة • كما نصت أيضا أنه لابد من انتقال حقيقي للسلطة الى الشعب الفلسطيني ، مع تأكيد حق هذا الشعب في تقرير مصيره

واقامة دولته على أرضه ، ولذلك ففى الوثائق الملحقة بالمعاهدة المصرية الاسرائيلية ، جاء النص ، على أن تجرى انتخابات الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة بعد عام من بدء المفاوضات ، وانه لا حل لمشكلة الشرق الاوسط برمتها ما لم تجر تسوية القضية الفلسطينية ·

والواقع ، انه وكما كانت وثيقتا كامب ديفيد اطارين للتسوية الشاملة ، فان معاهدة السلام كانت فقط بداية للتحدى العظيم والمستقبل الاعظم لترسيخ أساس السلام فى هذه المنطقة المشتعلة من العالم ·

وكما قال الرئيس أنور السادات ، بعد توقيع اتفاقية السلام

« لقد سعينا الى السلام من موقع القوة ، ومضينا على طريقه بقدمين ثابتتين ، لأن الروح التى تزهق فى الحرب هى روح انسان عربيا كان أم اسرائيليا ·· لكن النصوص وحدها لا تبنى السلام ، انما تبنيه الارادة القوية والنوايا الصادقة والنظرة البعيدة · والاختبار الحقيقى للسلام ، سوف يأتى بعد توقيع المعاهدة ، لأننا ننشد سلاما عادلا ، سلاما شاملا ، سلاما لا يقوم على احتلال أراضى الغير · سلاما تعود فيه السيادة الكاملة للقدس القديمة لان فيها حقوقا مقدسة لاكثر من ٨٠٠ مليون مسلم · سلاما يتمكن فى ظله أشقاؤنا الفلسطينيون من الحصول على حقوقهم المشروعة » ·

وما قاله الرئيس أنور السادات فى واشنطون يعنى أن توقيع معاهدة السلام ، ليس سوى مجرد خطوة على طريق « نعرف مسبقا أننا سوف نواجه خلال الكثير من المشكلات ، ولكننا مصممون على تحقيق الأهداف » · وقد تحقق ما قاله الرئيس أنور السادات حول تلك المشاكل التى نشأت بعد توقيع معاهدة السلام ، وهى مشكلات بلا شك متنوعة خاصة بقضايا الانسحاب ، وتطبيع

العلاقات ٠٠ وكذلك مشكلات صعبة صـــادفت الحديث حول مباحثات الحكم الذاتي وتفاصيله ٠٠ ثم تلك الصـــعوبات التي واجهت حقول البترول المصرى فى سيناء ٠٠ ثم مشكله المراقبين الدوليين ، الذين يحلون محل قوات الطوارىء الدولية ٠

لكن فى الحقيقة وكما قال الرئيس الامريكى جيمى كارتر : « اننى على يقين من أن معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، سوف تكون حجر الزاويه فى سلام شامل ، يجنب كل شعوب المنطقة مرارة الصراعات الطويلة السابقة ٠ لقد جاء الرئيس الســـادات ليمد يده القويه مغيرا مجرى التاريخ ، داعيـــا ان وقف دوامة الحرب والكراهية ، وفى الحقيقة ، فانه ما من زعيم فى الشرق الاوسط بذل جهودا مضنية من أجل استعادة الحقوق الفلسطينية، مثلما فعل الرئيس السادات » ٠

● ● ●

ولأن توقيع معاهدة الســـلام بين مصر واسرائيل حدث تاريخى ، دخل به الشرق الاوسط مرحلة جديدة تفتح الطريق أمام الاستقرار الشامل ٠٠ فاننا نورد هنا نص معاهدة السلام ، الذى يبدأ بديباجة تقول :

ان حكومة مصر العربية وحكومة اسرائيل ، اقتناعا منهمـــا بالضرورة الماسة لاقامة ســلام عادل وشـــامل ودائم فى الشرق الأوسط ، وفقا لقرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ اذ تؤكدان من جديد التزامهما باطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليـه فى كامب ديفيد فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ٠

واذ تلاحظان أن الاطار المشار اليه انما قصد أن يكون أساسا للسلام ، ليس بين مصر واسرائيل ، بل أيضا بين اسرائيل وكل من جيرانها العرب ممن يكون على اســـتعداد للتفاوض من أجل السلام معها هذا الأساس ٠

ورغبة منهما فى انهاء حالة الحرب بينهما ، واقامة سـلام نستطيع فيه كل دولة فى المنطقة أن تعيش فى أمن ، واقتناعا منهما بأن عقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل يشكل خطوة هامة على طريق السلام الشامل فى المنطقة والتوصل الى تسوية للنزاع العربى الاسرائيلى من جميع جوانبه .

واذ تدعوان الأطراف العربية الاخرى فى النزاع الى الاشتراك فى عملية السلام مع اسرائيل على أساس مبادىء اطار السـلام المشار اليها آنفا واسترشادا بها .

واذ ترغبان أيضا فى تطوير العلاقات الودية والتعاون بينهما وفقا لميثاق الأمم المتحدة ومبادىء القـانون الدولى الذى ينظم العلاقات الدولية فى زمن السلم .

فقد اتفقا عـلى الاحكام التاليـة بمقتضى ممارسـتهما الحرة لسيادتهما من أجل تنفيذ الاطار الخاص بعقد معاهدة السلام بين مصر واسرائيل .

المادة الأولى

١ – تنتهى حالة الحرب بين الطرفين ، ويقام السلام بينهما فور تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

٢ – تسحب اسرائيل كافة قواتها المسـلحة والمدنيين من سيناء الى ما وراء خط الحـدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو وارد بالبروتوكول الملحق بهذه المعاهدة « الملحق الأول » وتستعيد مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء .

٣ – عند اتمام الانسحاب المبدئى المنصوص عليه فى الملحق

الأول ، يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهما طبقـا للمادة الثالثة « فقرة ٣ » ٠

المادة الثـانية

ان الحدود الدائمة بين مصر واسرائيل هى الحدود الدوليـة المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو واضـح بالخريطة فى الملحق الثانى ، وذلك دون المساس بالوضع الخاص بغزة ٠٠ ويقر الطرفان بأن هذه الحدود مصونة لا تمس ، ويتعهد كل منهما باحترام سلامة أراضى الطرف الآخر ، بما فى ذلك مياهه الاقليمية ومجاله الجوى ٠

المادة الثالثـة

١ – يطبق الطرفان فيما بينهما أحكام ميثاق الأمم المتحـدة ومبادىء القانون الدولى التى تحكم العلاقات بين الدول وقت السلم، وبصفة خاصة :

(أ) يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسـلامة أراضيه واستقلاله السياسى ٠

(ب) يقر الطرفان ويحترم كل منهما حق الآخر فى أن يعيش فى سلام داخل حدوده الآمنة المعترف بها ٠

(جـ) يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة ، أو استخدامها أحدهما ضد الآخر على نحو مباشر أو غير مباشر ، وتحل كافة المنازعات التى تنشأ بينهما بالوسائل السلمية ٠

٢ – يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعـال الحرب أو الافعال العدوانية أو أفعال العنف أو التهـديد بها من داخل اقليمه أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته أو مرابطة على

أراضيه ، ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر • كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو المساعدة أو الاشتراك في فعل من أفعال الحرب أو أفعال العدوانية، أو النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر في أى مكان • كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تقديم مرتكبى مثل هذه الاعمال للمحاكمة •

٣ ـ يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى ستقام بينهما ، ستتضمن الاعتراف الكامل ، والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية ، وانهاء المقاطعة والحواجز ، ذات الطابع التمييزى المفروضة ضد حرية انتقال الافراد والسلع •• كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تمتع مواطنى الطرف الآخر الخاضعين لاختصاصه القضائى ، بكافة الضمانات القانونية • ويوضح البروتوكول الملحق بهذه المعاهدة « المرفق الثالث » وذلك بالتوازى مع تنفيذ الأحكام الاخرى لهذه المعاهدة •

المادة الرابعة

١ ـ ضمانا لتوفير الحد الأقصى للامن لكلا الطرفين ، وذلك على أساس التبادل ، تقام ترتيبات أمن متفق عليها ، بما فى ذلك مناطق محدودة التسليح فى الأراضى المصرية والاسرائيلية ، كما تسمح باشتراك قوات أمم متحدة ومراقبين من الأمم المتحدة ، وهذه الترتيبات موضحة تفصيلا من حيث الطبيعة والتوقيت فى الملحق الأول •

٢ ـ يتفق الطرفان على تمركز أفراد الأمم المتحدة فى المناطق الموضحة بالملحق الأول ، ويتفق الطرفان على أن يطلب سحب هؤلاء الأفراد على أساس أن سحب هؤلاء الأفراد لن يتم الا بموافقة مجلس الأمن التابع للامم المتحدة ، بما فى ذلك التصويت الايجابى

للاعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس ، وذلك ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك ٠

٣ ـ تتولى لجنة مشتركة الاشراف على تنفيذ المعاهدة وفقا لما هو منصوص عليه فى الملحق الأول ٠

٤ ـ يجوز بناء على طلب أحد الطرفين اعادة النظر فى ترتيبات الامن المنصوص عليها فى الفقرتين ١ و ٢ من هذه المادة وتعديلها باتفاق الطرفين ٠

المادة الخامسة

١ ـ تتمتع السفن الاسرائيلية والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها بحق المرور الحر فى قناة السويس ومداخلها فى كل من خليج السويس والبحر الأبيض المتوسط ، وفقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ المنطبقة على جميع الدول ٠ كما يعامل رعايا اسرائيل وسفنها وشحناتها ، وكذلك الأشخاص والسفن والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها معاملة لا تتسم بالتمييز فى كافة الشئون المتعلقة باستخدام القناة ٠

٢ ـ يعتبر الطرفان أن مضيق ثيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو ايقاف لحرية الملاحة أو العبور الجوى ، كما يحترم الطرفان حق كل منهما فى الملاحة والعبور الجوى من أجل الوصول الى أراضيه عبر مضيق ثيران وخليج العقبة ٠

المادة السادسة

١ ـ لا تمس هذه المعاهدة ولا يجوز تفسيرها على أى نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين وفقا لميثاق الأمم المتحدة ٠

٢ ـ يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة

عن هذه المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر ، وبشكل مستقل عن أى وثيقة خارج هـــذه المعاهدة ٠

٣ – كما يتعهدان بأن يتخذا كافة التدابير اللازمة لكى تنطبق فى علاقاتهما أحكام الاتفاقيات المتعددة الأطراف التى يكونان من أطرافها بما فى ذلك تقديم الاخطار المناسب للامين العـــام للامم المتحدة وجهات الايداع الاخرى لمثل هذه الاتفاقيات ٠

٤ – يتعهد الطرفان بعدم الدخول فى أى التزام يتعارض مع هذه المعاهدة ٠

٥ – مع مراعاة المادة « ١٠٣ » من ميثاق الامم المتحدة ، يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى من التزاماتهما الأخرى ، فان الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة هى التى تكون ملزمة ونافذة ٠

المادة السابعة

١ – تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق التفاوض ٠

٢ – اذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق التفاوض ، تحل بالتوفيق أو تحال الى التحكيم ٠

المادة التاسعة

١ – تصبح هذه المعاهدة نافذة المفعول عنـــد تبادل وثائق التصديق عليها ٠

٢ – تحل هذه المعـــــاهدة محل الاتفـــاق المعقود بين مصر واسرائيل فى سبتمبر ١٩٧٥ م ٠

٣ — تعد كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقـــة بهذه المعاهدة جزءا لا يتجزأ منها ٠

٤ — يتم اخطار الأمين العام للامم المتحدة بهذه المعـــاهدة لتسجيلها ، وفقا لأحكام المادة ١٠٢ من ميثاق الامم المتحدة (١) ٠

والواقع أن المعاهدة بموادها التسع واضحة ، وليست فيهـا مواد أو بنود سرية ، كمـا حاول البعض أن يوهم بذلك ٠ وهذه المعاهدة بموادها التسع وملاحقها وخرائطها الملحقة بها اسـتطاعت أن تغير التاريخ الدموى الذى اتسم به الصراع فى منطقة الشرق الأوسط بين العرب واسرائيل ٠

والمعاهدة أيضا ، ليست حلا منفردا مع اسرائيل كمـا حاول البعض أن يوهم ذلك ٠ انها فى الحقيقة جرأة وشجاعة من مصر التى انفردت فى سعيها للحل الشامل فى الشرق الاووسط ٠

ومعاهدة السلام بالدرجة الاولى تحقق قرارات مجلس الأمن الخاصة بالانسحاب الاسرائيلى من الاراضى التى احتلت فى حـرب يونيو ١٩٦٧ ، والتى كانت اسرائيل لا تقيم لهـا وزنا ، وتضرب بها عرض الحائط ٠

واستطاعت المعاهدة أيضا — وكما يقول عبد المنعم شميس فى كتابه «دقت أجراس السلام» — أن تجعل اسرائيل تعترف اعترافا كاملا بأن المستوطنات التى أقامتها فى سيناء غير شرعية ، وغير قانونية ٠ فانسحاب اسرائيل — كما فى معاهدة السلام — ليس عسكريا وحسب ، ولكنه انسحاب مدنى أيضا ٠ وهذا المبدأ ينطبق بالطبع على المستعمرات التى أقامتها اسرائيل فى الضفة الغربيـــة وفى غزة ، وفى المرتفعات السورية ٠

---

(١) انظر الجزء الخاص بالملاحق .

ومع اعتراف اسرائيل بأن اقامة المستوطنات الاسرائيلية فى الاراضى المحتلة عمل غير شرعى ٠٠ فان المعاهدة أيضا جعلت أمريكا أيضا تشجب انشاء المستعمرات ، حين وقعت على هذه المعــاهدة كشريك كامل فى المباحثــات التى دارت والتى أدت الى توقيــع معاهدة السلام ٠ وبذلك فان قرار مجلس الامن الخاص بانسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة قد بدأ يتحقق على أرض سيناء، وهى جزء من الأرض العربية ٠ وكان الحوار - قبل معاهدة السلام - قد ظل دائرا فى حلقة مفرغة حول تفسير قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ٠ هل يعنى انسحاب اسرائيل من « جميع » الأراضى العربية المحتلة قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ ، أم أنه يعنى الانسحاب من «أراض» محتلة ؟! ٠ أى أن اسرائيل كانت تريد اقتطــاع بعض الأراضى العربية المحتلة لتضمها اليها ٠ ولذلك فانه فى معاهدة السلام ، اعتراف مبدئى من اسرائيل بالانسحاب الكامل ٠٠ كما نصت على ذلك ، المادة الثانية ، حيث تقول : « تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء الى ما وراء الحدود المعترف بهــا بين مصر وفلسطين تحت الانتداب » ٠

وهذا الاعتراف من اسرائيل يعنى أن « نظرية الأمن الاسرائيلى » التى اتخذت سلاحا للتوسع فى الارض العربية تكون قد أفرغت من مضمونها ٠ وكانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ هى التى وضعت المسمار الاخير فى نعش هذه النظرية ، حينما تأكد للعــالم أن العرب قادرون على قطع ذراع اسرائيل الطويلة بعد أن عبر المصريون قناة السويس ، وبعد تحطيم خط بارليف بنقاطه الحصينة ، وتبــديد الجيش الاسرائيلى فى صحراء سيناء ٠ بمعنى أن معاهدة الســلام جاءت لتؤكد الانتصار العسكرى بانتصار سياسى مكمل له ٠ أيضا فان معاهدة السلام ٠٠ أقرت المرحلــة الاولى للحــكم الذاتى للفلسطينيين ، ثم يكون لهم حق تقرير المصير واقامة دولتهم على أرضهم ٠ لقد وضعت مصر قضية فلسطين والشعب الفلسطينى فى

مكانها الصحيح داخل اطار معاهدة السلام وجعلتهـــا القضـــية الأساسية في كل المفاوضات ، وخاصة في مباحثات كامب ديفيد٠ وهذا في حد ذاته خطوة جبارة على طريق اقامة الدولة الفلسطينية٠ ويبرز هذا في وثائق معاهدة السلام ، وخاصة من خلال الخطـاب المتبادل بين الرئيس أنور السادات وبين مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل ٠ فهذا الخطاب ليس الا وثيقة شرعية للاعتـــراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ٠٠ ودون حاجة الى اللجوء للامم المتحدة ومنظماتها أو مجلس الامن ٠٠ للاعتراف بهـــــذا الحق ٠

والخطاب نصه التالى :

عزيزى ٠٠

يؤكد هذا الخطاب أن كلا من مصر واسرائيل قد اتفقتا عـلى ما يلى :

تستذكر حكومتا مصر واسرائيل انهما قد اتفقتا فى كامب ديفيد ، ووقعتا فى البيت الأبيض يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ الوثائق المرفقة والمعنونة « اطار السلام فى الشرق الاوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد » ٠٠ و « اطار لعقـــد معاهدة ســـلام بين مصر واسرائيل » ٠

ومن أجل تحقيق تسوية سلمية شاملة وفقا للاطارين المشار اليهما آنفا ، ستشرع مصر واسرائيل فى تنفيذ النصوص المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة ٠ وقد اتفقتا على بدء المفاوضات خلال شهر من تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام ٠ ووفقا لاطار السلام فى الشرق الاوسط ، فان المملكة الاردنية مدعوة للاشتراك فى المفاوضات ٠ ولكل من وفدى مصر والاردن أن يضم فلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة ، أو فلسطينيين آخرين باتفـــاق مشترك ٠

وهدف المفاوضات هو الاتفاق قبل اجراء الانتخابات علـــى الترتيبات اللازمة لاقامة سلطة الحكم الذاتى المنتخبة « المجلس الادارى » وتحديد سلطاتها ومسئولياتها ، والاتفاق على ما يرتبط بذلك من مسائل أخرى · وفى حالة اذا ما قرر الاردن عدم الاشتراك فى المفاوضات ، فستجرى المفاوضات بين مصر واسرائيل ·

وتتفق الحكومتان على أن تتفاوضا بصفة مستمرة ودون توقف وبحسن نية من أجل الانتهاء من هذه المفاوضات فى أقرب تاريخ ممكن · كما تتفق الحكومتان على أن الهدف من المفاوضات هـــو اقامة سلطة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة من أجل تحقيق الحكم الذاتى الكامل للسكان ·

ولقد حددت مصر واسرائيل لنفسيهما هـدفا للانتهـــاء من المفاوضات خلال عام واحد ، بحيث يتم اجراء الانتخابات بأسرع ما يمكن ، بعد أن يكون الأطراف قد توصلوا الى اتفاق ، وتنشـأ سلطة الحكم الذاتى المشار اليها فى « اطار الســـــلام فى الشرق الاوسط » ، وتبدأ عملها خلال شهر من انتخابها ، واعتبارا مـن هذا التاريخ تبدأ فترة الخمس سنوات الانتقالية ، ويتم ســـحب الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية لتحل سلطة الحكم الذاتى محلها ·· كما هو منصوص عليه فى « اطار الســـلام فى الشرق الاوسط » ، وحينئـــــذ يتم انسحاب القوات المســـلحة الاسرائيلية ، واعادة توزيع القوات الاسرائيلية المتبقية فى مواقع أمن محددة ·

ويؤكد هذا الخطاب أيضـا ما اتفقنا عليه ، وهو أن حكومة الولايات المتحدة ستشترك اشـــــتراكا كاملا فى كافة مراحـــل المفاوضات (١) ·

توقيع

محمد أنور السادات

مناحم بيجين

---

(١) راجع نص اتفاق كامب ديفيد .

والواقع أن المغزى الحقيقى لمعاهدة السلام ، والذى لم يلتفت اليه الكثيرون ، وحتى أولئك الذين تخصصوا ودرسوا الصراع العربى الاسرائيلى ، فان هذه المعاهدة استطاعت – ولأول مرة – « تحجيم » اسرائيل ، ان صح هذا التعبير . فاسرائيل ، ومنذ قيام دولتها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ لم تضع لنفسها دستورا ، ولم ترسم لنفسها خريطة تبين حدودها الدولية . والسبب فى ذلك هو ما اعتنقه قادتها ، من أن الدولة الاسرائيلية ، أو أرض اسرائيل « ارتز اسرائيل » .. لا بد أن تمتد حدودها من النيل الى الفرات، وهى ما سميت باسرائيل الكبرى . وهذا هو ما جعلها تعتبر كل أرض احتلتها بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ بمثابة « أرض محررة » من العدو العربى !!! . وهذا ما يؤكد من أن معاهدة السلام – ولأول مرة – وضعت اسرائيل فى منطقة لا تتعداها . بل ان معاهدة السلام أيقظت اسرائيل من أحلامها التاريخية .. الممتدة من النيل الى الفرات !!

والذى تابع معركة الانتخابات الاسرائيلية فى عام ١٩٧٧ ، وجد أحزابها ، وبخاصة الدينية منها ، قد طالبت فى برامجها وضع دستور مكتوب لاسرائيل . فخلال ثلاثين عاما من قيام اسرائيل لم تضع الدولة دستورا مكتوبا ، أو بالمعنى الأصح لا يوجد فيها دستور بالمعنى المتعارف عليه لتلك الكلمة .. ان الذى يوجد فى اسرائيل ، لا يعدو أن يكون بضعة أحكام دستورية، أو بضع مواد تشكل ما يسمى « بالدستور المرن » . وهذا الدستور المرن تتحرك من خلاله دولة اسرائيل وجهازها السياسى والاقتصادى والاجتماعى .. وغيرها من مؤسسات الدولة الاسرائيلية . وهو لا يزيد عن خمسة عشرة مادة : مادتان تختص بالتشريع ، وهو ما يسمى « بالتشريع الصغير » .. أما الأعمال الحكومية – أى الجهاز التنفيذى – فيحكمه خمس مواد .. بالاضافة الى خمس مواد أخرى للرئاسة ، وثلاث مواد تختص بالمشاكل الدينية والاجراءات .

بمعنى أن القوانين التى تحل محل الدستور هى القـــانون التنظيمى الصادر فى ١٦ فبراير ١٩٤٩ ، والقانون المؤقت للاجتماع الثانى الصادر فى ١٢ ابريل ١٩٥١ ، وقانون واجبـــات الرئيس الصادر فى ١٧ فبراير ١٩٥٥ . ثم القـانون الأساسى للبرلمان ـ الكنيسيت ـ الصادر فى ١٢ فبراير ١٩٥٨ . وأخيرا القـــانون الأساسى لرئيس الدولة الاسرائيلية الصادر فى ١٦ يونيو ١٩٦٤

والحقيقة أنه برغم تلك المواد ، فان الحـكومة الاسرائيلية أى حكومة اسرائيلية منذ قيام دولة اسرائيل ـ تلغى تلك المواد ، وتصبح هى المسيطرة أساسا على كل السلطات .

وكما تقول جالينا نيكيتنيا ، الباحثة السوفيتية فى كتابهـا « دولة اسرائيل » الذى أصدرته دار الهلال مترجما : ان الحكومة الاسرائيلية ـ الرجعية البورجوازية الصهيونية ، كما تصفهـــا المؤلفة ـ هى المسيطرة على نظـــام الحكم فى اسرائيل من خلال الاحزاب التى تمولها الجهات الصهيونية .. وهى أحزاب تتضارب فى أهدافها جميعا وان اختلفت فى التسميات . فهذه الاحزاب جزء من الحركة الصهيونية العالمية ، وهى جميعا تتحد فى المطـــالب الأساسية . فجميع الاحزاب الصهيونية « تطالب » بحق الشـعب اليهودى فى أرض فلسطين وفى حدوده « التاريخية » بلا تغيير ، وتكوين الأمة اليهودية على أرض الأجداد !.

ومن هذه الأحزاب بالطبع حزب حيروت .. الذى أسسـه مناحم بيجين .. ثم بقية الأحزاب مثل المابام ، ورافى ، والحزب الليبرالى ، والحزب التقدمى ، وحزب المستقلين ،وحزب مزراحى ، والماباى .. وغيرها من الاحزاب الاسرائيلية .

والواقع أن عدم وجود دستور فى اسرائيل معناه غيـــاب الأسس والمفاهيم التى تقوم عليها دولة اسرائيل .. وكذلك غياب ما يحدد دولة اسرائيل بأرضها .. وذلك اعتمادا على أصول الفكر

الصهيونى ، كما عبر عنه بن جوريون ، ومن بعده مناحم بيجين ، وقادة اسرائيل الذين يوصفوا بالصقور • وهـــذا الفكر يرى أن اسرائيل قد قامت فى عام ١٩٤٨ عـــلى جزء من أرض اسرائيل • بمعنى ان دولة اسرائيل لم تكتمل ، وهى لذلك فى حاجة دائمة الى التوسعات ـ أو كما يعبر الصقور عنها ، بحاجـــة الى تحرير الارض التى اغتصبها العرب !! ـ وهذا هو السر فى أن اسرائيل كانت تشن ـ كل عشر سنوات تقريبا ـ حروبا ضـــد العرب ، لتكسب فى كل مرة أرض جديدة ، لتحقيق حلم صهيون : مـــن النيل الى الفرات •

فاذا كان الحلم قد بدأ بالعودة الى جبل صهيون ، فان هذا الحكم قد توسع فى عام ١٩٤٨ • وتوسع مرة فى عـــام ١٩٦٧ • ولذلك فانه فى الســـــنوات من ١٩٦٧ وحتى عـــام ١٩٧٩ كان الاسرائيليون يصرون على البقاء فى الاراضى التى احتلوها ، وكانوا يقيمون بها المستوطنات ـ أى المستعمرات بأنواعها •• العسكرية والزراعية ـ باعتقاد أنهم لن يتزحزحوا بوصةواحدة عما احتلوه ، وعما تحقق لهم من حلم مرحلى يضم أراضى سيناء ، والضفةالغربية وغزة والمرتفعات السورية • بل انهم وحتى معاهدة السلام فى٢٦ مارس ١٩٧٩ كانوا يرفضون حتى المناقشة فى احتلالهم للاراضى العربية •

وقد جاءت معاهدة السلام لتضع حدا لأحلامهم ، بل ولتبدد هذه الاحلام •• ولتضع الاسس والقواعد بأن اسرائيل الـــكبرى أضغاث أحلام فى عقول الصهاينة •• وتغيير المفاهيم الصهيونية لم يكن على أية سهلا ميسورا • ومن هنـــا تأتى كلمة الرئيس السادات عند الزيارة الثالثة لاسرائيل ،فى مدينة حيفا فىسبتمبر عام ١٩٧٩ ، حيث قال :

« اننا •• مصممون على أن نمضى فى تحقيق السلام للشعب

الفلسطيني الذى سنظل مخلصين له ٠٠ وقد يكون التحدى عظيما، ولكن المستقبل أعظم ، واننا على استعداد لقبول التحدى » .

● ● ●

كانت العريش هى البداية التنفيذية لبنود معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ٠٠

والعريش هى عاصمة سيناء كلها عند بداية الاحتلال الاسرائيلى لها عام ١٩٦٧ ٠٠ ثم صارت عاصمة سيناء الشمالية ، بعد أن قسمت سيناء الى قسمين ، شمالى وجنوبى ٠٠ أو الى محافظتين من خلال الحكم المحلى ٠

والواقع أنه منذ حرب ١٩٦٧ تحولت سيناء وعاصمتها العريش الى حصن كبير للاسرائيليين ، الذين وطنوا أنفسهم على البقاء ومنها مستوطنة « ياميت » أكبر مستوطناتهم فى سيناء قرب « رفح » ، والتى اعتبرت مركزا حضريا لحوالى ٢٣ مستوطنة اخرى « زراعية » ، ومنها أيضا مستوطنة « ينعوت سيناء قرب العريش » ٠

وجاء الجلاء عن العريش وما حولها طبقا للمرحلة الأولى من الانسحاب الاسرائيلى عن سيناء بعد جهد ومراوغات ومباحثات طويلة ومضنية ٠ وذهب الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ليرفع علم مصر خفاقا ، فى احتفال تاريخى ، وصلى صلاة شكر لله على مطار العريش ٠٠ وسط الفرحة الكبرى التى عمت مصر بعودة العريش الى الأم مصر ٠

وفى اليوم الذى ارتفع فيه علم مصر على مدينة العريش ، زار الرئيس أنور السادات مدينة بير سبع ، وخطب فى جامعتها . مشددا أن الأرض لا يمكن أن تعطى الأمان للاسرائيليين ٠ وشدد على أن الاسرائيليين ينبغى عليهم أن يسلموا بحقوق الشعب الفلسطينى ، وأن يجلوا عن الضفة الغربية وغزة ٠ ولا بد للفلسطينيين من أن يقرروا مصيرهم بأيديهم ٠

وما قاله الرئيس أنور السادات فى مدينة بير سبع ، يؤكد وإن كان الامر لا يحتاج الى تأكيد ، قناعات مصر ، بأن الجلاء عن سيناء لا بد أن يواكبه مباحثات الحكم الذاتى للفلسطينيين ٠ وهذا ما حدث بالفعل ٠ ففى الثانى عشر من مايو ١٩٧٩ بدأت أولى جلسات مفاوضات الحكم الذاتى للفلسطينيين فى الاسكندرية ٠ وتعدد اللقاءات بين المصريين والاسرائيليين والأمريكيين ، باعتبار أمريكا شريك كامل فى المباحثات ، من أجل الفلسطينيين ٠٠ كما هو مرسوم فى وثيقة كامب ديفيد بالنسبة للحكم الذاتى للفلسطينيين ٠

على أنه بعد تحرير العريش فى ٢٧ مايو ١٩٧٩ ، تواصلت المفاوضات من خلال لجنة عسكرية مصرية - اسرائيلية مشتركة للانسحاب المرحلى حيث تم فى ٢٦ يونيو ١٩٧٩ الانسحاب من المرحلة الفرعية الثانية ، فى المنطقة الواقعة شرقى خليج السويس وتشمل عددا من آبار البترول والمواد الخام ، وهى المنطقة التى تحتوى على رأس سدر حتى قرية أبو خربة ٠٠ والتى تبعد جنوبا عن بلاعيم بحوالى ١٥ كيلو مترا ٠٠

ثم تواصلت المباحثات مرة أخرى ٠٠ لتبدأ القوات الاسرائيلية الانسحاب الثالث من سيناء ، والتى عادت للسيادة المصرية فى الخامس والعشرين من سبتمبر ١٩٧٩ ٠٠ وهى منطقة تشمل ٩٥٪ من منطقة خليج السويس ٠

وهكذا تواصلت المباحثات وعمليات الانسحاب طبقا لمرفق الملحق رقم «١» من تنظيم الانسحاب من سيناء حيث نصت المادة الثانية على المراحل الفرعية للانسحاب كما يلى ٠ (١)

(أ) المرحلة الفرعية الأولى : خلال شهرين ، وتنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من منطقة العريش ، بما فى ذلك مدينة

(١) انظر الملاحق .

العريش ومطارها ، والمشار اليها ، بالمنطقة «١» على الخريطـــة رقم «٣» ٠

(ب) المرحلة الفرعية الثانية : خلال ثلاثة أشهر ، وتنسحب القوات المسلحه الاسرائيلية من المنطقة الواقعة بين الخط «م» المقرر بمقتضى اتفاقية عام ١٩٧٥ والخط «أ» المشـار اليه بالمنطقة «٢» على الخريطة رقم «٣» ٠

(جـ) المرحلة الفرعية الثالثة : خلال خمسة أشهر ، تنسحب القوات المسلحه الاسرائيلية من المنطقه الواقعة شرق وجنوب المنطقة «٢» المشار اليها بالمنطقه «٣» على الخريطة رقم «٣» ٠

(د) المرحلة الفرعية الرابعة : خلال سبعة أشــهر تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من منطقة الطور ، ورأس الكنيســـة والمشار اليها بالمنطقة رقم «٤» على الخريطة رقم «٣» ٠

(هـ) المرحلة الفرعية الخامسة : خلال تسعة أشهر تنسحب القوات المسلحه الاسرائيلية من المناطق المتبقية غرب خط الانسحاب المرحلى بما فى ذلك منطقة سانت كاترين والمنـــاطق شرقى ممر الجدى ومتلا ، المشار اليهما بالمنطقة «٥» على الخريطة رقم «٣»٠٠ ويكتمل بذلك الانسحاب الاسرائيلى الى ما وراء خط الانســحاب المرحلى من العريش الى رأس محمد ٠ ثم بعد ذلك تقوم اسرائيل بسحب كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء فى موعد لا يتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام، وذلك الى الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلســـطين تحت الانتداب ٠

وجدير بالذكر هنا ، أن زيارة الرئيس السادات الى حيفـا فى سبتمبر ١٩٧٩ ، ومباحثاته مع الاسرائيليين ، قد استطاعت أن تثمر انسحابا مبكرا من منطقة سانت كاترين فى ١٦ نوفمبر ٠٠ أى قبل ما هو محدد للانسحاب المرحلى من هذه المنطقـــة فى ٢٥ ديسمبر ١٩٧٩ ٠ لاتاحة الفرصة للرئيس السادات للاحتفال فى

١٩ نوفمبر بمرور عامين على زيارة سيادته للقدس · وقد قـــام الرئيس السادات بالبحث لوضع حجر الاساس للمجمع الدينى فى المنطقه والذى يضم مسجدا وكنيسة ومعبدا ·

على أن زيارة الرئيس السادات لحيفا قد أكدت ما سبق أن قلنا حول القضية الفلسطينية فقد قال الرئيس فى حيفـــا : ان القضية الفلسطينية هى لب المشكلة التى عشناها منذ ثلاثين عاما· اننا قد وضعنا أسس السلام الشامل فى كامب ديفيد ومعاهـــدة السلام المصرية الاسرائيليه ·

وبخصوص القدس ، فانه أمر طبيعى أننا فى كامب ديفيـد إتفقنا على أن القدس جزء من الضفة الغربية ، وأن الحكم الذاتى الكامل للضفه الغربية يعنى أننا نناقش قضية القدس · وقـــد ناقشنا الوضع · وهناك اتفاق حول الحكم الذاتى · وتعتبر مسألة القدس أمرا ذو حساسية خاصة بالنسبة للاديان الثلاثة ،وان ٨٠٠ مليون مسلم يتطلعون الى القدس العربية ولا يمكن تجاهل هـــذا الامر ·

والمهم أن عجلة السلام تسير ، وأن الذى يحركها بحق هو أنور السادات رئيس مصر ··· بداية بحرب العبـــور فى أكتوبر ١٩٧٣ ··

على أن مبادرة السلام التى انتهت بتوقيع معاهدة السلام ، بالمنظور التاريخى ، ستظل انطلاقة دائمة ومتجددة يحســـــبها التاريخ لمصر الحضارة · فهذه المبادرة بلا شك كانت التحـــــدى العظيم · وقد استطاعت أن تفرض السلام فى المنطقة ، حتى وان صادفته وتصادفه الكثير من العقبات · فالحاجز النفسى الهائل بين العرب والاسرائيليين بدأ يتآكل وينقرض ، الى أن يسقط نهائيـا على المستوى المصرى وعلى المستوى الفلسطينى وعلى المســـــتوى العربى ·

ان « الجمود » انتهى ·· وبدأت «الحركة» مسيرتها · وكما

يقول أستاذنا توفيق الحكيم في مقال له في ٢٧ مارس عام ١٩٧٩ بعنوان « الحركة » والجمود » مصورا النفسية العربية بصفة خاصة · يقول عن معاهدة السلام :

« انها خطوة مصر نحو الهدف · خطوتها التى تبدو فى أول أمرها دائما غامضة أو ناقصة يحف بها النقد ، ثم تسفر بعد ذلك عن خير يبشر بالمجد · هكذا عاصرت فى حياتى هذه الخطوات منذ مبدأ العشرينات ·

« ففى عام ١٩٢٢ صدر تصريح ٢٨ فبراير ، فانتقده سعد زغلول ، ثم رضى أن يدخل الانتخابات على أساسه بدستور ١٩٢٣ فى أطار الحكم الذاتى ، وأصبح رئيسا للوزارة فى ظل الاحتلال البريطانى · وفى عام ١٩٣٦ وقع النحاس المعاهدة التى سماها « معاهدة الشرف والاستقلال » ، دون أن تزحزح الاحتلال ، وقوبلت كذلك بالنقد ·· الى أن جاءت معاهدة ١٩٥٤ فظفرت مصر بالجلاء ، ولكن مع بند ينص على عودة الاحتلال اذا لاح خطر حرب أو اعتداء على بلد مجاور لمصر · وتهامس المتهامسون بالنقد أيضا، وقابلنى أحد رجال الاحزاب السابقة ساخرا من هذا الجلاء والاستقلال المشروط بامكان عودة الاحتلال ، ولكنى لم ألتفت الى هذا الناقد ، كما لم ألتفت الى أى ناقد لاى خطوة سبقت ، لان المهم عندى الحركة وليس الجمود · والفعل وليس النقد · والبناء وليس الهدم · ووضع طوبة واحدة خير من صيحة فارغة · والتحرك خطوة أهم من وقوف عظيم ·

« لذلك أنظر الى هذه المعاهدة نفس نظرتى المستبشرة التى لازمتنى منذ أكثر من خمسين سنة ·

« أتطلع الى مصر وهى تنهض لتبنى نفسها ، بعد أن قعدت طويلا لا تنبس بكلمة بناء لانه لا صوت يعلو على صوت المعركة» !!

لقد أصاب أستاذنا الحكيم بخبرته الطويلة الثرية فيما قاله فى هذه الكلمة المعبرة حول معاهدة السلام · واعتقـــد أن الذين رفضوها ، يرتكبون أشنع الذنوب ، وخاصة بالنســـبة للشعب الفلسطينى · انهم يرفضونها من أجل الرفض ، بل ربما لأن مصر بادرت لتسعى بنفسها منفردة للحل الشامل العادل فى المنطقة ·· ولو أن عندهم البديل ـ كما قال الرئيس السادات ـ فاننا سنسير وراءهم ونلغى كل ما فعلناه ·· ؟!

الفصـــل التاسع

سيناء .. الطبيعة الصعبة



في مفتتح عام ١٩٦٩ زار الرئيس محمـــد أنور السادات ، مدينة القنطرة شرق ، وبعض القرى المحررة ·· وذلك قبل توقيع معاهدة السلام · ووقف الرئيس ليقول :

(ان لسيناء دينا فى رقبة كل مسلم ·· وكل مسيحى ·· وكل يهودى ، لانها الارض التى اختارها الله سبحانه وتعالى ، لكى يبدأ منها رسالاته السماوية ، ويكلم الانسان لاول مرة فى تاريخ هذه الدنيا · من أجل هذا فلسيناء حق على الجميع ، وســـوف تشارك مصر كلها فى صبغ رمال سيناء باللون الاخضر ، بدلا من اللون الاصفر . وسوف تنتهى عزلة هذه الارض المصرية المقدسة)

وأعلن الرئيس أيضا :

(اعتبارا من اليوم تفتح ســـيناء على الوادى ، وتفتح له ذراعيها ، وسوف يذهب أبناء الوادى الى أراضيهم المقدســـة فى سيناء ، ويفخروا بما حققه شعبنا ·· وسوف تتدفق مياه النيل الى شمال وجنوب أرض سيناء ، وسوف نسرع وبقوة فى تعمير هذه الارض ، بالناس ، وبالخير ، وبالنماء ·· لكى تصـــبح قرة عين مصر كلها) ·

واضاف الرئيس السادات ، وهو يوقع خريطة الحـــدود الادارية الجديدة لمحافظات القناة وسيناء :

(ان ما اتخذناه اليوم من اجراءات كان لا بد وأن يتم منـذ أجيال طويلة ·· وهو ينهى الى الابد تلك الاحلام التى كانت تراود بعض الطامعين فى وقت من الاوقات ، بان القناة حد فاصـــل بين سيناء وأرض واديها ··)

وأثناء هذه الزيارة ايضا ، اتخذ الرئيس السادات قرارا فوريا بالغاء الاجراءات الاستثنائية التى كانت تتحكم فى عمليات التنقل داخل سيناء ، وكانت تقف حائلا دون زيارة أبناء الوادى لسيناء .

وهذا الذى قاله أنور السادات .. كان تصورا متقدما ، قبل معاهدة السلام ، وقبل أن يبدأ تحرير سيناء ، بداية بالعريش.. وهو فى الواقع ، كان يعتبر عبورا جديدا الى سيناء ، يكسر حاجز العزلة الذى فرض على شبه الجزيرة سنوات طوال ، منذ أواخر القرن التاسع عشر .. خاصة بعد حفر قناة السويس فى بداية النصف الثانى من هذا القرن الماضى .. حيث كان الذهاب الى سيناء ، لابناء الوادى ، لا بد أن يواكبه اجراءات ، كتلك الاجراءات التى تتبع مع المسافرين الى خارج مصر .

وفى نفس الوقت ، فان خريطة الحدود الادارية الجديدة ، تلك التى ألحقت بعض أجزاء سيناء بمحافظات القناة ، هى محاولة للقفز فوق حاجز قناة السويس المائى وتلاشيه ، وكذلك فان الانفاق تحت مياه القناة .. تبلور هذا العبور الجديد الى سيناء بلا موانع . بل ان خريطة الحدود الادارية اعتبرت «تكامل» جديد بين سيناء والدلتا .. بل محاولة للتلاحم ، تدل على ان فكر ما بعد أكتوبر ١٩٧٣ هو غير ما قبله . وتؤكد أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .. كما تدل على الفكر التخطيطى الذى بدأ قبل عودة سيناء فى كل المجالات .

والواقع أن سيناء التى وصفها نعوم بك شقير فى كتابه (تاريخ سيناء القديم والحديث ..) .. بأنها (قنطرة النيل الى الاردن والفرات) .. شبه الجزيرة هذه حاولت معها قوى كثيرة ، وعلى رأسها الاستعمار البريطانى لمصر ، عزلها عن الدلتا .. لكن هذا كله أذابته حرب أكتوبر العظيم . وقد كانت محاولات العزل بدعوى أن سيناء ليست مصرية .. وهى دعوة كاذبة من أصولها

وجذورها • ولذلك فقد كانت محاولات أنور السادات لالغاء العزلة منذ عام ١٩٧٤ ، حين صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٨١١لسنة ١٩٧٤ ، الذى اعتبر سيناء وحدة من وحدات الحكم المحلى فى مصر •

ويعلق سالم اليمانى على هذا القرار فى كتابه « سيناء .. الأرض والحرب والبشر » بقوله : لقد عرف أنور السادات بفكره العميق ونظره البعيد ورأيه السديد ٠٠ أن عزلة سيناء لم تكن لنا بقدر ما كانت علينا ، وأن شعب محافظة سيناء الذى أثبت أصالته خلال المعارك وفهمه الواعى لامن قواته المسلحة ٠٠ جدير بأن يقف على قدم المساواة مع أشقائه فى المحافظات الاخرى ٠٠)

وكما يقول اللواء صلاح الحديدى فى كتابه (شاهد على حرب ١٩٦٧) : (نجحت الادارة المحلية فى السنوات الاخيرة فى ازالة شكوك الاهالى فى علاقتهم بعاصمة الدولة واعتبارهم مواطنين من الدرجة الاولى ، لا يقلون ولاء لوطنهم عن اخوتهم فى وادى النيل ، ذلك الشك القديم الذى وضع بذوره المحافظون الانجليز لسيناء ، أثناء ازدياد النفوذ البريطانى فى مصر ، والذين كانوا يعملون على الفصل بين وادى النيل وسيناء ، والاتجاه بشبه الجزيرة نحو فلسطين) .

ولذلك فان دعوة الرئيس لمشايخ سيناء ، بعد آخر مراحل الانسحاب من خط العريش الى رأس محمد — واستضافتهم فى قصر عابدين .. كانت خطوة ذكية ، لم يفعلها حاكم لمصر من قبل.

● ● ●

سيناء كقطعة عزيزة غالية من مصر تبلغ مساحتها ٦١ الف كيلو متر مربع ، ونسبة مساحتها الى أرض مصر هى ٦٪ • وهى تعادل ثلاثة أمثال مساحة الدلتا أو واحد على ستة عشر من مساحة

مصر وشبه الجزيرة المثلثة الشكل تقع بين ذراعى البحر الاحمر ، وهما خليج السويس وخليج العقبة . وتمثل شبه الجزيرة جزءا مرتفعا من صخور القاعدة الافريقية الضاربة فى القدم .والخليجان عبارة عن أخدودين . وكتلة شبه الجزيرة تنحدر بانخفاض نحو الشمال ، لتنتهى بقسمها الشمالى الذى تتمثل فيه تكوينات الغطاء الرسوبى .

وتبدو شبه الجزيرة كمثلث منتظم بدرجة أو بأخرى ، ولعل الادق كما يقول د. جمال حمدان مثلث مائل قليلا فى الجنوب ، يرتكز على قاعدة عريضة كالمستطيل تقريبا فى الشمال . والمستطيل الشمالى ، أو شمال سيناء أضلاعه قناة السويس غربا، والحدود الدولية مع فلسطين شرقا بطول ٢١٥ كيلو مترا من رفح الى شمال طابه . ثم ساحل البحر المتوسط شمالا من بور فؤاد الى رفح بطول ٢٠٠ كيلو متر ، واخيرا الخط المائل بين رأسى خليج السويس والعقبة جنوبا ، أو — تجاوزا — خط عرض ٣٠ درجة . ومتوسط هذا المستطيل نحو ٢٠٠ الى ٢١٠ كيلو مترات ،وعرضه ثلث ذلك تقريبا .. أى نحو ١٥٠ كيلو مترا . أما المثلث الجنوبى، أو جنوب سيناء ، فراسه عند راس محمد جنوب خط عرض ٢٨ درجة بقليل ، أما ضلعاه ، فخليج السويس وطوله ٢٧٥ كيلو مترا، وخليج العقبة ، وطوله ١٨٠ كيلو مترا . وكما يقول د. عبد الرحمن زكى فى كتابه (سيناء أرض المعارك) فان هذا المثلث ، طوله من الشمال للجنوب ٤٠٠ كيلو متر . ومن الشرق للغرب ٢٠٠ كيلو متر .

والحقيقة — كما يرى د. جمال حمدان — أن سيناء ثلاثية فى مثلث ، فهى تنقسم الى ثلاثة أقاليم طبيعية ، أو فيزيوغرافية ، تتوالى من الشمال الى الجنوب :

١ — سهول واسعة تعرف اصطلاحا بسهول العريش ،وأحيانا بالصحراء .

٢ ـ هضبة وسطى ، وتطلق عليها تعميما اسم هضبة التيه ٠

٣ ـ كتلة جبلية تسمى عموما جبل الطور ، وفيها أكبر الجبال ارتفاعا فى مصر ٠

(أ) **أما السهول** : فتعلو فى الارتفاع من الشمال الى الجنوب، وهى تنقسم الى :

● **سهول ساحلية شمالية** ، وتتراوح ارتفاعاتها ما بين مستوى سطح البحر وارتفاع ٢٠٠ متر ٠ فهى منخفضة وفسيحة بعامة ، تحف سواحلها المستنقعات ، وأهمها سبخة البردويل ، وامتدادها بحيرة الزرانيق ، وسبخة سهل الطينة فى مواجهة بحيرة المنزلة ٠ وأبرز ما يميز هذه السهول الساحلية الشمالية هى الكثبان الرملية ـ الثابتة والمتحركة ـ والتى تغطى الجزء الاكبر منها ، واعطتها اسمها العربى القديم وهو (اقليم الجفار)٠ كما تعطى (اللاندسكيب) أخص ملامحه ، وتلعب دورا خاصا فى الحياة الاقتصادية ، وتعين حدود الحركة والمواصلات ٠

والمطر على الشريط الساحلى أغزر ما فى سيناء ، ولكنه يقل بسرعة نحو الجنوب ٠ وهو على الساحل يزداد كلما اتجهنا شرقا، حيث امكانيات الحياة والزراعة ، وموارد المياه اغنى والعمران أكثف ٠٠ خاصة فى قطاع العريش ـ رفح ٠ واذ تسقط الامطار على الكثبان الرملية ، فهذه الكثبان تتحول الى خزانات طبيعية ثمينة جدا للمياه ، فتصبح المياه الجوفية والآبار عماد الاستقرار والحركة ، أى العمران والزراعة ، وحركة المواصلات ، والجيوش من الناحية الاخرى ٠

وكما يقول كتاب (سيناء ٠٠) لسالم اليمانى : توجد بشمال سيناء مساحات واسعة تزرع على الامطار وبعض المياه الجوفية ٠ ومن أبرز هذه المساحات أرض المقيبرة بجهة قسم بئر

العبد ، والزقبة والقلس أيضا بنفس القسم ، والجورة بجهة قسم الشيخ زويد ، وعدد من هذه المساحات يقع بجوار العريش ، حيث تعتمد المدينة فى استهلاكها من الخضروات والفواكه على هـــذه الاراضى • كما أن منطقة الاراضى فيما بين الشـــيخ زويد ورفح مشهورة بتربتها الخصبة ، ولذلك يزرع فيهـــا الاهالى الموالح كأشجار البرتقال ، كما يزرعون أشجار الزيتون والعنب والقمح والشعير والخروع ، والاخير صار ذا قيمة اقتصـــادية كبيرة .. ويساعد على ذلك أن التربة أغلبها من الطفل والرمل الطينى نتيجة التعرية لصخور شبه الجزيرة •• كما تقول دراســـة بقلم اللواء محمد عبد المنعم القرمانى محـــافظ ســـيناء الســـابق بعنوان (سيناء) .

ومن أشهر الآبار الموجودة بشمال ســـيناء (بير دويدار) شمال القنطرة شرق • (وبئر القلس) بقسم بئر العبد • (وبئر قطيـــة) و (بئر المســـمى) بالعريش و « بئر المســـاعيد » و« بئر كريم » بالشيخ زويد • بالاضافة الى « بئر الشيخ زويد »، و «بئر قبر عمير » ، و « بئر الجورة » و « بئر الخروبة » •

ويصف المقريزى الجفار ، اى شمال سيناء بقوله :

« أن سمى الجفار لشدة المشى فيه على الناس والدواب لكثرة رماله وبعد مراحله • والجفار تجر فيه الابل • وكان الجفار فى الزمن الاول متصل العمارات كثير البركات مشهورا بالخيرات لكثرة زراعة أهلة الزغران والعصفر وقصب السكر ، وكان ماؤها غزيرا عذبا » .

كما يسكن هذه المنطقة عدة قبائل من البدو من السواركه ، والرميلات ، والرياشات ، والعكور ، والملالحة ، وبلى ،والدواغرة، والبياضية ، والاخارسة ، والعيايدة ، والمســـاعيد ، والعقايلة ، والسماعنة •

● أما السهول الجنوبية ، فاكثر ارتفاعا • وتتراوح ما بين

٢٠٠ و٥٠٠ متر في المتوسط · فهي سهول متموجة عالية نسبيا ، يميزها الجبال القبابية الواسعة الانتشـــار ، التي تعلو ســـطح السهل ، فلا تقل عن ٥٠٠ متر ، وقد تصل الى ١٠٠٠ متر · وهي صخور جيرية · وبين هذه القمم فتحات تفصل بينها ، ذات قيمـة كبرى كطرق للحركة والمواصلات الطبيعية ·

ورغم أن هذه الجبال تنتشر على صفحة السهول الجنوبيـــة عموما بلا تحديد أو نظام صارم ، وأحيانا تتجـاوزها الى أطـراف السهول الشمالية ، فانها تؤلف في مجموعها خطا واضحا الى حد بعيد ، أشبه بالقاطع الذي يختط المستطيل القاعدي الشـــمالي بعامة ، من الجنوب الغربي ، الى الشمال الشرقى . اى من قرب منطقة السويس الى قرب منطقـــة أبو عجيلـة (أبو عويقلة) والعوجة · والاودية ، والفتحات والممرات التي تفصل بين حلقات هذا الخط تقدم مفاتيح الحركة الحرجة · فاذا بدأنا من الجنوب الغربى ، وجدنا اولا كتلة جبلية طولية تنقسم بعـدد من الاودية والممرات العرضية الى عدة جبال منفصلة ··

فهناك (جبل الراحة) ، الذى يحده جنوبا وادى ســدر ، فاصلا اياه عن كتلة الهضبة الوسطى ، بينما يحده شمالا ممر متلا، الذى يقع الى الشمال منه (جبل حيطان) · ويمتد ممر متلا بضع عشرات من الكيلو مترات ، ولكنه يضيق حتى يصل أحيانا الى عدة عشرات من الامتار فقط ·

ثم يلى الى الشمال (جبل ام خشيب) ، ويفصله من (جبل حيطان) وادى ممر الجدى . وأخيرا فى ، أقصى الشمال (جبل الختمية) الذى يفصلة عن (جبل أم خشيب) ممر آخر هو ممر الحتمية .

واذا ما عدنا مع القاطع الاساسى ، وجدنا الى الشمال الشرقى في قلب الوسط (جبل يلق) أويلج · ثم فى الاتجاه نفسه (جبل

حلال) ، الذى تتمه تلال أقل ارتفاعا ، تصل الى منطقتى أبوعجيلة والعوجة . والى الشـــمال كثيرا من جبل يلق ، وبعيدا عنه جبل صغير هو (جبل المغارة) ، يناظره الى الشمال من جبل حلال ، جبل صغير آخر هو جبل لبنى . وكلا الجبلين الصغيرين يمثلان بعض مقدمات ، أو طلائع ، القاطع الجبلى .

أما وادى العريش الذى يمنح السهول الشمالية من سينـاء اسمه ، فهو أكبر أودية مصر الصحراوية ، طولا وتشعبا ومساحة. ولا غرابة فى أنه كان يسمى فى العصور القديمة (نهر مصر).. كما (تصفه التوراة) . وطوله ٢٤٠ كيلومترا ، بينما حوض صرفه يضم نصف مساحة سيناء ، ويجمع ثلثى مياهها تقريبا . وهو على الخريطة (المورفولوجية) — كما يقول د.جمال حمدان — (شجرى). أى كفرع الشجر ، يتألف من عدد كبير جدا من الروافد كالمروحة .. أهمها وادى العقبة من الجنوب الشرقى ، ووادى البروك مـن الجنوب الغربى . وأغلب مواقع وسط سـيناء وشمالها المعروفة تقع على هذه الروافد ، مثل : نخل ، وبئر جبل الحصن ، وبئـر التمادة ، والتمد ، ثم الكونتيلا ، والقصيمة ، والعوجة على الحدود. ثم أبو عجيلة قرب مصب وادى العريش ، وبعدها بئر لحفن قرب مدينة العريش .

(ب) ثم نأتى الى الهضبة الوسطى .. والتى تحتل نحو ثلثى شبه الجزيرة المحصور بين ذراعى خليج السويس وخليج العقبة .

ومعظم مناجم سيناء المعدنية ، خاصة المنجنيز والفوسفات ، تقع على الضلوع والمنحدرات الغربية لهذه الكتلة الهضبية ، أى التى تطل منها على خليج السويس .

واذا كانت الهضبة الوسطى تسمى هضـبة التيه — أو برية التيه — فهى فى الواقع هضبتين ، هما :

هضبة التيه في الشمال ، وهضبة العجمة في الجنوب . وتتكونان من الصخور الجيرية ، وتنحدر في الشمال بحافة حادة .

وهضبة التيه يغلب عليها الصخور الطباشيرية ، ويتراوح ارتفاعها ما بين ٥٠٠ الى ١٠٠٠ متر . وتقع في حوض وادى العريش . أما هضبة العجمة فاقل عرضا ، ومساحتها نصف مساحة هضبة التيه ، لكنها أشد ارتفاعا ، وتتراوح ما بين ١٠٠٠ و١٥٠٠ متر .

وكما يذكر سالم اليمانى ، فان من أشهر جبال الهضبة الوسطى ، ثلاث مجموعات كبيرة هى :

جبل الراحة ، في الطرف الغربى ، وهو يطل على راس خليج السويس ، وبينهما سهل ومل عرضه حوالى عشرة أميال .

جبل خشم الطرف ، في الطرف الشرقى ويطل على خليج العقبة ، ويسمى أيضا طرف الركن ، ومنه فرع يسمى (جبل الطاقة) .

جبل العجمة ، ومنه فرع يمتد الى داخل التيه ويسمى (شويشة العجمة) فيه خرائب كثيرة .

وهذه الجبال مشهورة بوعورتها ، ولا يستطيع المرء سلوكها الا من خلال خمسة أنقاب صعبة وهى من الشرق : نقب المراد ، ونقب المريخى ، ونقب ورصاء ، ونقب الراكنة ، ونقب رطاه . واشهر الانقاب واكثرها استعمالا (نقب الراكنة) في الطريق من مدينة الطور الى بلدة نخل .

كما أنه من أشهر جبال التيه في الجنوب : جبل بضيع ، وجبل المنيدرة ، وجبل قلعة الباشا ، وجبال الحمراء ، وجبال الصفراء لتلون صخورهما بهذين اللونين . وجبل عريف الناقة .

واشهر جبال التيه في الشمال هى : جبل الحلال ، وسمى

بهذا الاسم لوجود المراعى فيه للأبل والاغنام ، وهذه يطلق عليها البدو اسم (الحلال) . بالاضافة الى جبل النبى . وجبل الابرقين .

(ج) وأخيرا .. نأتى الى الكتلة الجبلية، أو المنطقة الجنوبية ، وهى كتلة الطور ، التى تحتل المثلث الجنوبى الاقصى ، ويفصلها عن نهاية الهضبة الوسطى — اى التى تنتهى الى خليجى العقبة الاودية الجبلية المعقدة العميقة ، التى تنتهى الى خليجى العقبة والسويس ، شرقا وغربا ، والتى تحدد طريق المواصلات الاساسى عبر شبه الجزيرة فى هذا الجزء الوعر منها . ويمكن تحديد هذا الفاصل بوادى نصف شرقا ، ووادى فيران غربا .

وهذه الكتلة تتكون من الصخور النارية ، والمتحولة القديمة. يسودها الجرانيت بالوانه المختلفة . والارتفاع لا يقل عن ٢٠٠٠ متر فى المتوسط ، ويتجاوز ٢٥٠٠ متر فى قمم الجبال العالية . وأعلى الجبال هنا هو (جبل كاترينا) ، أو جبل الطور — كما يسمى — والذى استمدت منه المنطقة كلها اسمها الجغرافى . والامطار هنا بفضل الارتفاع أغزر مما هى عليه فى الهضبة الوسطى، وموارد المياه فى الاودية أعذب ، والجبال جرداء ووعرة وقاسية .

وعلى امتداد مثلث شبه الجزيرة فى مجموعه ، هناك فارق هام بين السهول الساحلية ، كما بين الخليجين شرقا وغربا . فعلى الغرب تترك الهضبة والجبال سهلا ساحليا متسعا نسبيا ، يصل الى أقصى مداه فى نصفه الجنوبى ، حيث يعرف باسم (سهل القاع) الذى تتوسطه مدينة الطور . كذلك تكثر الاودية الجبلية الطويلة مثل سدر ، وسدرى ، وفيران .. والاخير أطولها وأغناها بالنباتات والواحات . أما على خليج العقبة ، فلا تكاد المرتفعات تترك سهلا ساحليا بمعنى الكلمة . والاودية الجبلية قصيرة ومنحدرة ، أهمها وادى نصب ، حيث يقع عليه (ميناء دهب) .

والخليجان يختلفان : فخليج السويس أعرض وأطول من

العقبة · لكن خليج العقبة أعمق من خليج السويس · وعمر خليج السويس قديم جدا ، أما خليج العقبة فهو حديث النشأة ·ومدخل خليج السويس أكثر انفتاحا واتساعا ·· الا من جزر الشعاب المرجانية التى من أهمها (شدوان) · أما خليج العقبة ، فبحر شبه مغلق ، يختنق مدخله بعنق ضيق هو (مضيق تيران) ، الذى تتوسطه جزيرتا (تيران) و (صنافير) ·

على أن المنطقة الجبلية وان كانت وعرة وصعبة ، فهى تعتبر من أغنى مناطق مصر التعدينيه والبتروليه ، ففيها توجد مناجم الفيروز ، والنحاس والمنجنيز ، كما توجد بها اكبر حقول مصر البترولية ·

ويرى سالم اليمانى أن أشهر الجبال فى هذه المنطقة هى :

● **جبل طور سيناء :** والذى يقع قريبا من مدينة الطور ، وهو الجبل المعروف فى التوراة بجبل حوريب ، أو جبل سيناء ، أو جبل الله ، الذى تجلى الرب عليه لسيدنا موسى عليه السلام فى عليقة مشتعلة وأمره بالعودة الى مصر وانقاذ بنى اسرائيل من الاسر ·

● **جبل موسى :** ويبلغ ارتفاعه ٧٣٦٣ قدما عن مستوى سطح البحر ، وقد بنى على قمته كنيسة صغيرة لرهبان دير سيناء ، وجامع صغير · ويتميز هذا الجبل وغيره من الجبال المجاورة باللون الاصفر ·

● **جبل المناجاة :** ويقع شمالى جبل موسى · ويقول البدو من أهل سيناء انه الجبل الذى عليه ناجى موسى ربه · وهو يعلو ٦٠٠٠ قدم على مستوى سطح البحر ·

● **جبل الصفصافة :** ويقع الى الشمال الغربى من جبل موسى · وقد سمى كذلك لان فى جهته الشرقية صفصافة · وهو

يعلو ٦٧٦٠ قدما عن مستوى سطح البحر ، ويطل على سهل فسيح يدعى (سهل الراحة) . ويقال انه الجبل الذى وقف عليه سيدنا موسى عند تلقيه الوصايا العشر . ويزور بدو سيناء هذا الجبل مرة كل عام ، حيث يضربون خيامهم فى سهل الراحة عند مقام النبى هارون ، ويصعدون الجبل ليذبحوا نذورهم ، ومن هذه القبائل قبائل الجبالية ، والصوالحة ، والعليقات وأم زينة أو مزينة ، والقرارشة .

● **جبل القديسة كاترينا :** ويقع الى جانب جبل موسى الى الجنوب الغربى منه وله ثلاث قمم أعلاها ٨٥٣٦ قدما ، ويعتبر من أعلى قمم الجبال فى سيناء .

● **الجبل الاحمر :** وسمى بذلك من أجل لون تربته الحمراء ، وهو يقع الى القرب من جبل سيناء أو حوريب ، وللجبل عدة فروع منها (جبل الفريع) .

● **جبل سربال :** وهو أشهر جبال سيناء بعد جبل موسى ، ويقع الى الشمال من مدينة الطور ، وله خمس قمم تمثل تاجا عظيما على شكل نصف دائرة ، ارتفاع أعلاها نحو ٦٧٣٠ قدما ، ونحو ٤٠٠٠ قدم عن وادى فيران الشهير فى سفحه الشمالى .

● **جبل البنات :** وهو جبل يقع مقابل جبل سربال حيث يفصل بينهما وادى فيران ، وترجع أصل تسميته كما يقولون ،ان بعض بنات البادية كن يلوذن به من أهلهن ، خلاصا من زواج غير مرغوب فيه ، ولما كن يطاردن من الاهل ، كن يرمين بأنفسهن الى الوادى منتحرات . كما يرجع البعض أصل التسمية الى بعض الراهبات اللاتى انتحرن من فوقه .

● **جبل أم شومر :** ويقع الى الشرق من مدينة الطور ،ويبلغ رتفاعه حوالى ٨٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر .

● **جبل حمام موسى :** وهو جبل صغير على خليج السويس ،

وعلى بعد ٤ أميال من مدينة الطور · وبه سبعة ينابيع كبريتيـــة حارة ، وقد بنى سعيد باشا فوق أحـــدها حماما لا تزال آثاره باقية ·

● **جبل الناقوس** : وهو جبل صغير شديد الانحدار ، مكسو بالرمال على شاطىء الخليج ، ويقع على بعد ٨ أميال شمال جبـل حمام موسى · وقد سمى بهذا الاسم لظاهرة غريبـــة فيه هى أنه كلما انهالت الرمال على سفحه ، أحدثت صوتا كصوت الناقوس·

● **جبل حمام فرعون** : ويقع على شاطىء خليج السـويس · ويخرج من سطحه نبع كبريتى تبلغ حرارته ١٥٧ درجـــة · وفم النبع يقع على شاطىء البحر ليصب فيه · ويستحم فيه أهالى سيناء من قبيل الاستشفاء من الروماتيزم والامراض الجلدية ، شريطة أن يكونوا بعيدين عن مياهه الشديدة الحرارة ·

● يضاف الى ذلك جبال أخرى مثل : جبل المغارة ، وجبـل سرابيت الخادم ، وجبل أبو سعود · وجبل الحديد ، وقد سمى الاخير بذلك لوجود خام الحديد فيه ·

● ● ●

ومع هذه الطبيعة الصعبة ، أو الصعوبة الطبيعية ·· فان سيناء كما يرى د· جمال حمدان لها جغرافيا عسكرية · فهى العقدة التى تلحم أفريقيا بآسيا ، كما تلحم مصر بالمشرق العربى مباشرة ·· بمثل ما أن مصر هى العقدة التى تلحم المشرق بالمغرب العربى·

على أن سيناء قبل كل شىء وبعد كل شىء هى مدخل مصر الشرقى وبوابتها الحارسة · وهى برغم فراغها ، وما يبدو عليهـا كعامل فصل جغرافى ، فهى أيضا عامل وصل مؤكد ، يشهد له وبه طرق المسيرات الحربية ، ذهابا وجيئة ، فضـــلا عن موجات الهجرة والتجارة طوال التاريخ ·

وبمزيد من التحديد ، كما يقول د٠ جمال حمـــدان ، فان المستطيل القاعدى الشمالى ، والواقع الى الشمال من خط عرض٣٠ درجة تقريبا ، هو قاعدة الحركة والمرور والوصل بالامتياز ، فى حين أن المثلث الجنوبى أسفل هذا الخط منطقة العزلة والفصل ٠

فالاول يحمل شرايين الحركة المحورية و (الحبل السرى) بين قارتى افريقيا وآسيا ٠ والثانى هو منطقة الطرد والالتجـاء ، التى آوت اليها بعض العناصر المستضعفة ، كبعض قبائل الرعاة ، وبعض المسيحيين أيام الاضطهاد الرومانى ٠

ولما كان طريق الخط الخارجى البرى الى مصر هو الشـــام أساسا ، وكانت سيناء تمثل النقطة الحرجة بين ضلعى الشـــام ومصر ، اللذين يكونان وحدة استراتيجية واحدة ، فقد أصـبحت طريق الحرب بالدرجة الاولى٠انها معبر ارضى ، وجسر استراتيجى، عبرت عليه الجيوش منذ فجر التاريخ ، حتى أن تحتمس الثـالث عبره وحده ١٧ مرة ٠

والواقع أنه ان تكن مصر ذات أطول تاريخ حضارى فى العالم، فان لسيناء أطول سجل عسكرى معروف فى التاريخ تقريبا ٠ومن هنا فان سيناء أهم وأخطر مدخل لمصر على الاطلاق ٠ انها كخيبر بالنسبة للهند ، أو كممر ذرو تجاريا بالنســبة لوسـط آسيا ٠ ويمكن أن نقول أن سيناء هى كذلك، بمضايقها الثلاثة ، وهى : ممر متلا ، ازاء السويس ٠ وطريق الوسط ، ازاء الاسماعيلية ٠ وطريق ساحل الكثبان الشمالى ابتداء من القنطـــرة ٠ بمعنى أن سيناء مدخل قارة برمتها ، مثلما هى مدخل مصر ٠

وغنى عن الذكر ، أن سيناء برمتها وحده (جيوستراتيجية) واحدة ، لكل جزء منها قيمته الاستراتيجية الحيوية ٠

فأما المثلث الجنوبى ، فهو بموقعه الجانبى الخلفى وتضاريسه الوعرة الصعبة ، قد لا يأتى الا فى المرتبة الثانية ، كطريق حرب

وميدان قتال · لكنه بتعمقه وبروزه نحو الجنوب ، يعطى — خاصة فى عصر الطيران — نقط ارتكازا للوثوب على ساحل البحر الاحمر بالاسطول البحرى أو بالطيران ، لتهديد عمق الصعيد المصرى ·

وتتركز القيمة الاستراتيجية للمثلث الجنوبى بصورة بارزة ، وبصفة مباشرة ، فى سواحله عامة ، ورأس شبه الجزيرة عند شرم الشيخ بخاصة ·· حيث شرم الشيخ التى تعد المفتاح الاستراتيجى لكل المثلث الجنوبى ·

واذا كانت هذه هى القيمة الاستراتيجية الحيوية للمثلث الجنوبى من سيناء ، فان قيمة المستطيل الشمالى بالذات فائقة ، والذى يمكن فيه للسكك الحديدية أن تمتد ، وكذلك الطرق الاسفلتية · وهذا المحور ينحصر بين مستنقعات الساحل الرخوة الهشة من الشمال ، وبحر الكثبان الرملية من الجنوب · والطريق غنى بالآبار وموارد المياه نسبيا ، كما أسلفنا ·

ويبدأ المحور الشمالى على القناة عند القنطرة ، التى تحدد نهاية بحيرة المنزلة الجنوبية ، وبداية أول أرض صلبة بعدها ، والتى تستمد اسمها من أنها كانت قنطرة العبور على فرع النيل البيلوزى فى العصور العربية الوسطى · ومن القنطرة يتجه المحور شمالا بشرق ، موازيا لسهل الطينة الرخو وبعيدا عنه ، ثم ينثنى شرقا قرب بالوظة ، ثم يمر برمانة ، فقاطية ، ثم بئر العبد على طرف بحيرة البردويل · ومن البحيرة يمضى المحور الى العريش ، فالشيخ زويد ، ثم رفح ، حيث يتصل بطريق الساحل فى فلسطين ، مارا بخان يونس ، ودير البلح ، وغزة ، فالمجدل ، فيافا ·

ونظرا لاهمية هذا المحور التاريخية، نجد كثيرا من معارك مصر، أو بالاحرى معارك مصر فى سيناء ، تدور غالبا — ان لم نقل دائما — فى نهايته فى أقصى الشرق أو الغرب ·· أى رفح وبيلوزيوم على الترتيب · وقد حدث هذا فى العصر البطلمى، وتكرر أيام الرومان، كما تكرر مرارا فى العصر العربى ·

هذا عن الشمال ، أو المحور الشمالى ، الذى فقــــد عصر الصدارة فى العصر الحديث ، واستولى على الصدارة منه المحـور الاوسط .

والمحور الاوســــط ، هو المحور القاطع الذى يمتــد بين الاسماعيلية وأبو عجيلة ، وهو العمود الفقرى فى محاور سينـــاء الاستراتيجية الثلاثة . وهو اليوم طريق الخطر . وقد كان محور تحرك القوات البريطانية بين مصر وفلسطين . كما ركزت عليـه اسرائيل دائما فى كل عدواناتها . ويرجع ذلك الى أنه صالح تماما لتحرك الحملات الميكانيكية الثقيلة . هذا الى أنه يؤدى مباشرة الى قلب هضبة فلسطين الداخلية ، ومن هنــــا كان يعرف بطريق الشام .

ويبدأ المحور الاوسط على القناة ازاء الاسماعيلية ، التى تصبح الهدف الطبيعى الاول لكل من يهاجم مصر والقنــاة من الشرق . وبعدها يمر المحور بالطاسة ، ثم بأم مرجم ، التى ركز فيها العدو الاسرائيلى قيادة طيرانه وجهــــاز راداره . وفى هـــذه الشـــــقة يتبع ممر الختميـــة الهام الذى يقـــع بين جبــل الختمية شمالا ، وجبل أم خشيب جنوبا . ثم يســـتمر المحور الى الشرق حتى يصل الى مضيق الجفجافة ، الذى يعد الفتحة الحاسمة بين جبل المغارة فى الشـــــمال وكتلة جبل (يلق) الصعبة فى الجنوب . وبعد المضيق يتجه شمالا بشرق ، حيث تحدده فتحـــة أخرى ثانوية ، تنحصر بين جبل (لبنى) فى الشـــمال ، وجبل (الحلال) فى الجنوب . ومن هنا تأتى أهمية الجبل الاول - لبنى - فى حرب يونيو ١٩٦٧ حيث دارت معركة دبابات كبيرة .

بعدها يستمر المحور حتى يصل الى أبو عجيلة ، التى تقع على (جذع) وادى العريش ، كما تلتقى عنـــدها مجموعة روافد الوادى المحلية من الشرق والغـــرب . وهذا ما يمنحها قيمتها الاستراتيجية ، كأهم نقطة قبل الحدود مبــــاشرة . فعن طريق

الوادى الرئيسى يتصل المحور الاوسط بالمحور الشمالى ، لاول مرة فى الرحلة • ومن ناحية أخرى ، فان أحد روافد الوادى المحليـــة يؤدى الى العوجة عبر الحدود • والعمليات العسكرية فى العوجة ترتبط بمثيلتها فى أبو عجيلة • ومن العوجة يتصل المحور بخط وسط فلسطين عن طريق (عسلوج) – بير سبع – الخليل ، ثم القدس •

اما المحور الجنوبى ، فهو يمتد ما بين السويس والقصيمة• وهو تعترضه العوائق الجبلية • ويبدأ هذا المحور ازاء السويس، التى تستقطب كل الاهمية الاســـتراتيجية لرأس الخليج ، وذلك باعتبارها مدخل القناة • ومركز عمرانى وصناعى ، فضلا عن أنها هى التى تؤدى بطريق السيارات والسكة الحديدية المبـاشرة الى القاهرة رأسا • ومن السويس يتجه المحور الى الشط ، وبعـــدها يصل الى ممر متلا ، الفتحة الحاكمة للمحور بأسره • ومن هنـــا تأتى أهمية الممر الدفاعية القصوى عن السويس ، فالقنــــاة ، فالقاهرة • وهذا الممر ينحصر بين جبل الراحة فى الجنوب ،وجبل حيطان فى الشمال • وبعد الممر يتجه المحور شمالا بشرق الى بير تمادة فى وادى البروك • ثم الى بير الحسنة ، ومنهـــا يمضى الى الجنوب من جبل الحلال ، الى أن يصل الى القصيمة ، قرب الحدود مباشرة ، والتى تحف بها بعض النقط ، مثــــل المويلح ، وعين الجديرات •ومن القصيمة أيضا يتصل المحور الجنـــوبى بالمحور الاوسط شمالا عند أبو عجيلة ، عن طريق وادى العريش ،وبالعوجة شرقا • وبذلك يصب المحور هو الآخر فى قلب وسط فلسطين •

تلك هى المحاور الاستراتيجية الاساسية فى سيناء •

وهناك محور فرعى رابع ، يخرج من المحور الجنوبى ، متجها الى رأس النقب على نهاية خليج العقبة • فبعد ممر متلا ، تتجه هذه الشعبة جنوبا بشرق ، مارة ببير جبل الحصن على وادى البروك • ثم نخل على وادى العريش الرئيسى • وبعدها يصل الى التمد على

وادى العقبة ، ثم الى راس النقب على الحدود قرب طابا المصرية والعقبة الاردنية . وعند الثمد تخرج من المحور شعبة نحو الشمال الشرقى الى الكونتيلا .

وهذا المحور الرابع ، هو طريق – أو درب – الحج القديم ، الذى فقد أهميته بعد تحول الحج الى طريق السويس البحرى ، فضلا عن الطريق الجوى . وطريق الحج يسير على أرض صلبة ، لكنها صعبة فى الواقع .

● ● ●

ومع هذه الطبيعة الصعبة أيضا ، فان سيناء تحتوى على مجموعة من الطرق .

ويجمل اللواء رفعت الجوهرى فى كتابه (سيناء أرض القمر) الحديث عن هذه الطرق المعبدة والجميلة – كما يرى – وهى طرق كانت قبل عدوان يونيو ١٩٦٧ ، ونذكرها للذكرى والاعتبار . وأهم هذه الطرق هى :

١ – طريق القنطرة – العريش ، وطوله ٢٠٠ كيلو متر .

٢ – طريق الاسماعيلية – أبو عجيلة – العريش – رفح – غزة ، وطوله نحو ٣٢٧ كيلو مترا .

٣ – طريق أوسط من السويس الى المعدية ، ثم (نقب متلا) . ويتفرع من هناك شمالا الى الحسنة والقسيمة والعريش ، وطول هذا الطريق ٤٤٧ كيلو مترا . كما يتفرع هذا الطريق شرقا الى نخل والكونتيلا والعقبة ، وطوله ٣٠٣ كيلو مترات .

٤ – طريق من السويس الى المعدية ، ثم يتجه جنوبا الى عيون موسى ، ورأس سدر ، وأبو زنيمة ، وطوله ١٣٢ كيلومترا . وجنوبا الى الطور وطوله ٢٤٣ كيلو مترا . والطريق من السويس الى شرم الشيخ وطوله ٣٣٨ كيلو مترا . وهذا الطريق له فرع يتجه

من أبو زنيمة شرقا الى دير سانت كاترين وطوله ١٢٦ كيلو مترا٠
ومن السويس الى سانت كاترين وطوله ٢٥٨ كيلو مترا ٠

ويفصل اللواء رفعت الجوهرى الحديث عن هذه الطرق التى سار فيها وكتب عنها من واقع المعايشة فيقول :

اولا – على طريق السويس – سانت كاترين :

(أ) عيون موسى ، وبينها وبين السويس ٣٠ كيلو مترا ٠ وهى واحة صغيرة جميلة ، ومجموعة من النخيل وسط عيون متفجرة ٠ ويقال انها المكان الذى وقف عنده النبى موسى ، وضرب عصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، شرب منها بنو اسرائيل ٠ كما جاء فى سورة الاعراف ذكر هذه العيون ، فى قوله تعالى : وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا أمما وأوحينا الى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا ٠ قد علم كل اناس مشربهم ، وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) ٠

وفى رواية أخرى أنها المكان الذى عبر عنده البحر ، النبى موسى ٠ ومما يذكر أنه فى سنة ١٥٣٨ ميلادية حدثت عند عيون موسى موقعة بحرية هامة بين الاسطول العثمانى والاسطول البرتغاليين ٠

(ب) راس سدر (٥٨ كيلو مترا من السويس) ٠٠
وهى مدينة أنشأتها شركة آبار الزيوت الانجليزية المصرية سابقا، وبها خزانات ومعامل البترول المتجمع من وادى سدر – هذه المعلومات منذ أوائل الستينات – كما أن هناك فى نهاية الوادى قلعة تاريخية أثرية تسمى بقلعة الباشا ، انشئت فى عصر الملك الناصر عام ٥٣٨ هجرية ٠

(جـ) أبو زنيمة ، وتبعد عن السويس ١٣٢ كيلو مترا ،وهى

ميناء لشركة سيناء ، حيث صناعة المنجنيز ٠ كما أنها مكان جيد للصيد ٠

(د) وادى المغارة ، بعد أبو زنيمة مباشرة ٠

(هـ) دير القديسة كاترين ، ويبعد عن السـويس ٢٥٨ كيلو مترا ٠

ثانيا : على طريق ابو زنيمة ـ الطور (١١١ كيلو مترا) او من السويس الى الطور (٢٤٣ كيلو مترا) ٠٠ يرى السائر :

(أ) جبل الناقوس عند الكيلو ٢١٩ من السويس ٠

(ب) جبل حمام فرعون ، حيث توجد العيون الكبريتية عند الكيلو ٢٢٩ ٠

(جـ) جبل أم شومر الذى يطل على مدينة الطور ٠

(د) جبل سربال الشهير ٠

(هـ) الطور ٠٠ وهى منطقة غنية بصيد الاسماك ٠

ثالثا : على طريق سيناء الاوسط ، من السويس الى العقبة، يرى السائر الآتى :

(أ) عند الكيلو ١٤٠ بلدة نخل ، وبها القلعة الاثرية القديمة التى بنيت فى عهد السلطان الغورى عام ١٥١٦ ميلادية ٠

(ب) نقب العقبة ، وطوله ٣٠٣ كيلو مترات من السويس ، وهو الطريق الوحيد الموصل بين مصر والبلاد العربيـة والاردن والحجاز ٠ وقد أعيد اصلاحه وترميمه فى عهد السلطان قلاوون سنة ١٢٣١ ميلادية ٠

● ● ●

أخيرا ٠٠ ورغم الطبيعة الصعبة أيضا ، فان سـيناء تشكل

ثلاثة خطوط دفاع استراتيجية منخلال جغرافيتها وتضاريسها . وهى خطوط دفاعية تتعاقب من شرق سيناء الى غربها ، أىمن خط الحدود الفاصل بين مصر وفلسطين حتى قناة السويس . وهى كما فى كتاب سالم اليمانى كالآتى :

الخط الاول : ويقع على وجه التقريب بمحاذاة حدود مصر الدولية مع فلسطين تحت الانتداب . ويبدأ بطابهورأس النقبعند رأس خليج العقبة ، ثم يمتد الى الكونتيلا ، ثم يستمر نحو الشمال الغربى حتى يصل الى القسيمة ، ليمر غير بعيد من عين الجديرات والعوجة . ثم يتتبع جذر وادى العريش مارا بأبو عجيلة ، وبعدها يتجه الى جبل لبنى فى الغرب ثم يمر ببير لحفن ، ليصل بعدها مباشرة الى مدينة العريش .

الخط الثانى : وهو خط المضايق أو الممرات ، ويمتد من السويس حتى بحيرة البردويل . ويستمد هذا الخط أهميته من وقوع مفاتيح الحركة الحرجة لداخل سيناء عليه ، كممر متلا فى الجنوب ، ومضيق الجفجافة فى الشمال . وهو يبدأ من رأس خليج السويس ، شاملا السويس نفسها ، والكوبرى ، والشط ثم عيون موسى . ثم يرتبط بمجموعة الاودية الصحراوية حتى يصل الى الحاجز الجبلى الاشم : جبل الراحة فى الجنوب ، وجبل حيطان فى الوسط ، ثم جبل أم خشيب فالختمية شمالا . وهى جميعها من المناعة بحيث لا يوجد منافذ بها الا عدة ممرات ، اثنان منها رئيسيان وأساسيان وهما : ممر متلا على المحور الجنوبى ،ثم مضيق الجفجافة على المحور الاوسط . واثنان منهما ثانويان وهما: ممر الختمية ، وممر الجدى .

ومن أجل ذلك يعتبر هذا الخط الثانى – بلا نزاع – طبقا لاجماع العسكريين والمعنيين باستراتيجية سيناء ، من أهم خطوط الدفاع الثلاثة ، اذ أن السيطرة عليه تحدد وتحسم المعارك ، سواء على يمينه أو على يساره . ولذلك نجد أن اسرائيل حينما سيطرت

على هذا الخط فى عام ١٩٦٧ تمكنت بسهولة من الوصول الى قناة السويس ٠

الخط الثالث : وهو قناة السويس نفسها ، من بور سعيد شمالا الى السويس جنوبا ، مارا بالقنطرة ، فالاسماعيلية ٠ولهذا الخط أهمية خاصة ٠ ذلك أن من يسيطر عليه يهدد أرض الوادى تماما ، كما حدث فى أعقاب عدوان يونيو ١٩٦٧ حيث استقرت القوات الاسرائيلية على الشاطىء الشرقى للقناة ، فهددت بذلك مدن القناة الثلاث التى لم تجد مصر بدا من تهجيرها ٠٠ وليس هذا فقط ، بل ان من يسيطر على هذا الخط ، يسيطر فى الوقت نفسه على جنوبى سيناء ، بما فيها خليج السويس ٠

الفصل العاشر

سيناء .. البشر

كما يقول كتاب (سيناء وخطط التنمية حتى سنة ٢٠٠٠)، والذى أصدرته المجالس القومية المتخصصة عام ١٩٧٩ ، فانه قد حدثت ابتداء من ١٨٨٢ وحتى عام ١٩٦٦ تسع تعدادات للسكان فى سيناء . غير أن بيانات التعداد لم تكن دقيقة ، وذلك بحكم طبيعة شبه الجزيرة الصحراوية . وتعداد عام ١٩٦٦ نفسه أجرى بطريقة (العينة) ، وليس بطريقة الحصر الشامل . يضاف الى ذلك أن البدو يتعذر عدهم عدا صحيحا لانهم شديدو النفور من التعداد ، بل هم يتشاءمون من العد .

ويذكر كتاب (سيناء وخطط التنمية) أرقام التعداد كالتالى:

- عام ١٨٨٢ ، عدد السكان ٤١٧٩ نسمة
- عام ١٨٩٧ ، عدد السكان ٤٨٤٤ نسمة
- عام ١٩٠٧ ، عدد السكان ٧٤٠٧ نسمة
- عام ١٩١٧ ، عدد السكان ٥٤٣٠ نسمة
- عام ١٩٢٧ ، عدد السكان ١٥٠٥٩ نسمة
- عام ١٩٣٧ ، عدد السكان ١٨٠١١ نسمة
- عام ١٩٤٧ ، عدد السكان ٣٧٦٧٠ نسمة
- عام ١٩٦٠ ، عدد السكان ٤٩٧٦١ نسمة ، وان كان كتاب (مدخل الى سيناء) يرتفع بهذا الرقم الى ١٢٧٠٨٠ نسمة .
- عام ١٩٦٦ ، عدد سكان الحضر ٧٦٢٥٢ وعدد التجمعات ٥٦٥٣٠ ، أى المجموع يصل الى ١٣٢٧٨٢ نسمة .
- وعام ١٩٧٦ ، عدد سكان الحضر ١٠١٠٤ نسمة ، والمناطق غير المحررة ١٤٧٠٠٠ نسمة . أى المجموع ١٥٧١٠٤ ..

وان كان كتاب (مدخل الى سيناء) يجعل التعداد حوالى ٢٢٠ألف نسمة ، منهم حوالى ٤٥ ألف نسمة فى العريش وحدها · هـذا بينما الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء يذكر فى أرقامه انه فى عام ١٩٧٨ وصل تعداد سكان سيناء الى ١٦٩ الف نسمة ·

على أنه بالنظر الى أرقام التعداد منذ عام ١٨٨٢ ، فانه يبدو أن سكان شبه الجزيرة يزيدون باطراد ، باستثناء الفترة الواقعة بين عامى ١٩٠٧ و١٩١٧ · ولا شك أن ظروف الحرب العالميـة الاولى ربما كانت هى السبب فى نقص عدد سكان شبه الجزيرة ، حيث كانت سيناء مسرحا للعمليات الحربية ، بين الجيش التركى والقوات البريطانية ·

وقد سار النمو السكانى بعد الحرب سيرا طبيعيـا ، حتى وصل ــ كما أوضحنا ــ فى عام ١٩٢٧ الى ثلاثة أمثالهم خلال فترة الحرب · لكن معدل النمو ارتفع ارتفاعا ملحوظا فى الفترة من عام ١٩٣٧ الى عام ١٩٤٧ · ولا شك أن الحروب المتعددة التى أعقبت ذلك ، حتى حرب رمضان ــ أكتوبر ١٩٧٣ قد تركت بصماتها على السكان ·· سواء من حيث النمو أو التوزيع أو الخصائص · بمعنى أن السكان تزايدوا بنسبة ١٠٢ر٤٪ فى الفترة ما بين عامى ١٩٤٧ و١٩٦٦ ، بمعدل سنوى ٥ر٤٪ · والسبب فى ذلك يعود الى :

أولا : انتقال عدد غير قليل من الفلسـطينيين ــ كلاجئين ــ بعد حرب ١٩٤٨ الى سيناء ، ولا سيما مدينة العريش ، والمنطقة الممتدة بينها وبين قطاع غزة · ويؤكد ذلك أن ســكان العريش وحدها زاد عددهم من ١٠ آلاف نسمة عام ١٩٤٧ الى حوالى ٤٠ ألف نسمة فى تعداد ١٩٦٦ ·· أو أكثر من هذا العدد كما فى مصادر أخرى · ومعنى هذا أن الزيادة السنوية لسكان العـريش أربت على ٢٠٪ وهو معدل كبير · كذلك زاد عدد سكان المنطقة الممتدة بين العريش وقطاع غزة زيادة ملحوظة ، اضطرت ازاءها السلطات الى تعديل الحدود الادارية بانشاء قسم فى الشيخ زويد ·

ثانيا : ازدياد الاهمية الحربية لسيناء بعد حرب فلسطين ١٩٤٨ ، والعدوان الثلاثي في ١٩٥٦ ، مما ترتب عليه ازدياد عدد أفراد القوات المسلحة في شبه الجزيرة ، وأدى هذا بدوره الى اجتذاب عدد غير قليل من السكان للاشتغال بالخدمات المختلفة .

ثالثا : اكتشاف عدد من حقول البترول في سيناء ، وهي حقل سدر ١٩٤٦ ، وعسل ١٩٤٧ ، ومطارمة ١٩٥٧ ، وسدري ١٩٥٨ ، وبلاعيم بحرى ١٩٦١ وقد أدى استغلال هذه الحقول الى اجتذاب أعداد غير قليلة من الايدى العاملة لاستخراج البترول .

على أنه مع تلك الزيادة المسببة ، فان سكان سيناء بالطبع قليلون .. والسبب في ذلك كما يرى سالم اليماني ، أن قلة الكثافة السكانية نجمت عن الاوضاع الاستثنائية ، التى عزلتها ، وأفردت لها نوعا خاص من الحكم .

وللدكتور جمال حمدان في كتابه (٦ اكتوبر فيالاستراتيجية العالمية) رأى ، يقول فيه : ان مجموع سكان سيناء محدود جدا بالنسبة لمساحتها الشاسعة . فتتفاوت فيها تقديرات السكان بشدة ما بين ١٠٠ ألف و٢٠٠ ألف قبل الاحتلال الاسرائيلي ، الذى حاول افراغ شبه الجزيرة من نحو نصف سكانها فيها يقدر ، بالتهجير الاجباري ، والطرد والارهاب .ونحن نتفق مع د. جمال حمدان في رأية .. ففى فترة الاحتلال الاسرائيلي لسيناء ، جرى نقل وتهجير كثير من السكان ، بدعوى العمل في مناطق أخرى . وقد ظهر هذا الامر بعد تحرير العريش ، اذ أن الادارة المدنية المصرية للعريش اتضح لها أن عددا من السكان نقلتهم السلطات الاسرائيلية من العريش وما يجاورها ليعملوا داخل فلسطين ، وفى الضفة الغربية .. مما دعا الامر الى استدعائهم للعمل في أماكن سكناهم ، وعدم السماح بعد ذلك بالذهاب والاياب الى فلسطين .

● ● ●

والواقع ٠٠ أن تعداد سكان سيناء كلها ، يعادل بالكاد سكان مدينة متوسطة الحجم فى وادى النيل ٠ ولذلك فمتوسط الكثافة السكانية العام منخفض جدا بحيث يصل من ١ الى ٣نسمة فى الكيلو متر المربع ٠٠ مع أن مساحة شبه الجزيرة تبلغ حوالى ٦٧٠١٤ كيلو متر مربع ٠

ثم ان التوزيع الفعلى للسكان مركز أساسا فى مواطن الانتاج والمياه ، التى ترتبط بأطراف شبه الجزيرة وهوامشها ، بينما تخلو رقع كثيرة وشاسعة فى الداخل الهضبى والجبلى، من السكان تقريبا ، وهى مناطق تعد من (اللامعمور) ٠ ولهذا يأخذ العمران بصورة تقريبية نمطا حلقيا حول (القلب الميت) ٠ وهذه صورة مألوفة فى الجغرافيا البشرية ، ولكنها فى سيناء تبدو أشد غرابة، لانها كلها ضعيفة السكان للغاية ٠

وتأخذ حلقة العمران شكل الشريط المتصل نوعا على الساحل الشمالى الشرقى من رفح الى البردويل ، وتتوجه مدينة العريش كبرى مدن سيناء ، وثانى أكبر مدينة صحراوية فى مصر بعد مدينة مرسى مطروح ٠ فالآن يبلغ تعداد سكان مدينة العريش حوالى ٥٠ ألفا ، وهى أيضا تمثل وحدها نحو ربع الى ثلث السكان ٠

وهذا الشريط المتصل أيضا يتحول الى عقد من النقط المأهولة بالسكان على الضفة الشرقية للقناة ، حيث مدن القناة الصغيرة ، وكبراها القنطرة شرق التى تعد ثانى أكبر مدينة فى سيناء — قبل حرب أكتوبر — وعلى ساحل خليج السويس ينتشر عقد مدن التعدين ، مثل أبو زنيمة ومدن البترول الحديثة ،والتى أبرزها أبو رديس ٠ وعلى ساحل خليج العقبة تزداد نقط العمران تباعدا وتضاؤلا ، وأغلبها موانى صيد أو موانى حربية ٠ كما تكمل الحلقة على امتداد الحدود الشرقية مجموعة من نقط المخافر والمراكز العسكرية ابتداء من رأس النقب وطابة والكونتيلا الى القصيمة والعوجة ، وأبو عجيلة ٠ وفيما عدا ذلك فهناك شتيت

منثور من الواحات ومراكز الاستقرار الصغيرة فى قلب الداخل ، أشبه بالجزر المنعزلة ، وأغلبها مرتبط بالاودية الرئيسية ،وخاصة على نقاط تقاطعها ٠

وأهم مدن سيناء بالطبع هى مدينة العريش ، التى كانتأول ما تحرر من سيناء تنفيذا لمعاهدة السلام ٠ وكان تحريرها ورفع علم مصر عليها فى السابع والعشرين من مايو عام ١٩٧٩ ٠ والعريش تقع فى منطقة غنية بمواردها المائية ، اذ تكثر فيها آبار المياه التى تصلح لرى الزراعة ، فضلا عن وقوعها على مصب وادى العريش ٠ وهذا ما يساعد على الاستقرار البشرى ٠ كما انهـا كانت المركز الادارى لمحافظة سيناء ، وصارت عاصـمة سيناء الشمالية بعد تقسيم شبه الجزيرة الى محافظتين ٠

وتتميز العريش بأكبر تعداد للسكان ، وهذا يعود كما يقول كتاب (سيناء المستقبل) الى أن العريش كانت منطقـة جذب السكان ، وخاصة حينما كان يصيب شبه الجزيرة الجدب ٠ وهذا يغرى السكان على الاستقرار فيها ٠ وهى يمـكن أن يتضـاعف سكانها عدة مرات ، فمن خلال تقارير خبراء التعمير ، تأكد أن كميات المطر التى تسقط على وادى العريش تصل الى ١٠٠ سم مكعب ٠ وأن مساحة وادى العريش قد تصل الى ١٧ ألف كيلو متر ٠وقدر المهندسون فى الستينات ــ كما يقول اللواء رفعت الجوهرى فى كتابه (سيناء أرض القمر) ــ أن مساحة الارض التى يمكن زراعتها على المياه المخزونة تقدر بحوالى ٦ آلاف فدان ٠

ويمكن تقسيم سكان العريش الى أربع مجموعات :

١ ــ سكان العريش الاصليون ، ويعرفون بالعرايشية ٠

٢ ــ البدو الذين كانوا يعيشون عيشة تنقل وترحال فى منطقة وادى العريش ، ثم استقروا بالمدينـة وما حولها بسـبب جدب مراعيهم ٠

٣ ـ اللاجئون الفلسطينيون الذين سكنوا العريش منذ عام ١٩٤٨ ٠

٤ ـ موظفو الحكومة الذين كانوا يعيشون في العريش عيشة مؤقتة ٠

ويقال ان العريش كان من أسمائها القديمة (ريتكروم) كما ذكرها اللواء رفعت الجوهرى ٠ أو (رويو كلورا) كما ذكرها سالم اليمانى ، ومعناها جدع الانف ٠ لانها كانت منفى للمجرمين، الذين كانت تجدع أنوفهم لسهولة التعـرف عليهم ٠ وقد مرت بالعريش جميع الجيوش المصرية وجيوش الغزاة قديما وحديثا ، من حيثيين وآشوريين ، وفرس ، وروممان ، وعرب ، وفرنسيين ، وأتراك ، وصليبيين ٠

ويسكن العريش وما حولها ـ كما فى كتاب اللواء الجوهرى ـ قبائل السواركة ، والرميلات،والمساعيد، والعيايدة،والاخارسة ، والعقايلة ، وبلى البررة ، وأولاد على ، والقطاوية ، والبيـاضين ، والسماعنة ، والسعديين ، والدواغرة ٠

وكما يقول سالم اليمانى ، أنه كان يقطن العريش قبل ١٩٦٧ أكثر من ٤٠ الف نسمة ، وسكان المدينة كانوا يشـكلون ٢٤ قيراطا ، لكل قيراط أو أكثر شيخه الخاص به ٠ والقيراط يمثل أصلا عائلة واحدة أو مجموعة من العائلات التى ترتبط فيما بينها برباط الدم ٠ وأن أكثـر أهالى مدينـة العريش عـددا عائلات الفواخرية ، أو قبيلة الفواخرية ، ولهم ستة قراريط ، فالاغوات ولهم ٤ قراريط ، فأولاد سليمان ولهم ٣ قراريط ، فالكشاف ولهم ٣ قراريط ، ثم الشرابجة ولهم قيراطان ، والسلايمة ولهم قيراطان، والعرارجة ولهم قيراطان ، والصقلية ولهم قيراطان ٠ ثم اسـتجد قيراط آخر ليجعل من سكان العـريش ٢٥ قيراطا هو قيراط النخالوة ، نسبة الى نخل عاصمة محافظة سيناء قبل العريش ٠

وتنحصر عمدية المدينة دائما فى أولاد سليمان ٠ ومن أولاد سليمان المهندس عثمان أحمد عثمان ، والفريق السابق فؤاد ذكرى القائد السابق للقوات البحرية ، وطلعت خالد شراب وكيل وزارة الثقافة والجيولوجي درويش الفار مكتشف منجم الفحم بوادى المغارة ٠٠ والكثير من الاسماء اللامعة ٠

وثانى المدن ، هى مدينة رفح ، التى تقع على الحـــدود بين سيناء وفلسطين ٠ وقد شيدت على آثار مدينة (رافيا) التىانتصر فيها بطليموس على ملك سورية فى موقعة كبيرة عرفت باســـم موقعة رفح عام ٢١٧ ق٠م٠ وان كانت رفح كما يقال تاريخيا أقدم من هذا بكثير وكان اسمها فى التاريخ المصرى القديم « وئت » ٠ وكان عندها نقطة الحدود ، منذ أيام بيتى الاول ٢٢٥٢ ق٠م٠ وقد بلغ عدد سكانها قبل عدوان ١٩٦٧ حوالى أربعة آلاف نسمة ٠

وتظفر منطقة رفح بأكبر قدر من المطر فى سيناء ، ولذلك فهى أهم جهات شبه الجزيرة انتاجا للحبوب على مطر الشتاء٠وهى تنتج أيضا التين والبطيخ فى الصيف ٠ وفضلا عن مياه المطر ففى منطقة رفح آبار كثيرة ، منها ٨ آبار مهمة تروى أراضى زراعية ، تقدر مساحتها بحوالى ٣٥٠ فدانا ٠

ورفح ذكرها ياقوت الحموى المتوفىعام٦٢٦ هـ ٠(١٢٢٩م)٠ كما ذكرها قبله الحسن بن محمد المهلبى سنة ٥٧٥هـ ٠(١١٧٩م)٠ والرمال تغمر الكثير من الآثار التاريخية بها٠ وجدير بالذكر أن المنطقة بين العريش ورفح ظفرت بالنصيب الاكبر من بناء المستوطنـــات الاسرائيلية التى أقاموها بعد احتلال ١٩٦٧ ٠ كما أن سكان رفح هم فى الغالب فروع من عائلات العريش ، أو من البـــدو الذين استقروا لمزاولة مهنة الزراعة أو التجارة منذ مئات السنين ٠

وثالث المدن ، الشيخ زويد ٠ وهى تقع بين رفح والعريش ، ويمر بها الطريق الاسفلتى وخط السكة الحديد الى فلسطين ،قبل تدميره فى عام ١٩٦٧ ٠ ويعتقد الناس هناك أن الشيخ زويد من

الصحابة . وحول الشيخ زويد توجد زراعات النخيل والاشجار المتنوعة التى تروى من بعض مياه الآبار الساحلية .

ورابع المدن الطور ، وهى قد استمدت مقومات حياتها كمدينة من عوامل ثلاثة :

أولا : أنها المركز الادارى لجنوب سيناء منذ القدم ، وهى الآن عاصمة محافظة سيناء الجنوبية ، بعد انسحاب الاسرائيليين منها .

ثانيها : وظيفتها كمحجر صحى للحجاج الذاهبين والعائدين الى مصر بحرا . وقد كانت الطور تقوم بهذه الوظيفة منذ انشاء المحجر عام ١٨٥٨ .

ثالثها : اعتماد الكثير من سكان الطور على صيد السمك وتجارة الفسيخ ، التى كان يحتكرها بعض اليونانيين هناك،والذين توارثوا هذا العمل منذ بضعة أجيال .

والطور تعتمد فى مياهها على الآبار التى تكفى سكانا يبلغون حوالى العشرة آلاف نسمة . وسكانها خليط من بدو الجنوب وأهل مدينة السويس .

وخامس المدن ، مدينة القنطرة شرق . وكانت اكبر مدن سيناء بعد العريش . وتاريخها حديث مرتبط بحفر قناة السويس فى عام١٨٦٩ . وتتميز بموقعها الحيوى على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وفى مقابلها القنطرة غرب على الضفة الغربية للقناة . وقد ضمت القنطرتان لمحافظة الاسماعيلية فى خريطة الحدود الادارية الجديدة عام ١٩٧٩ . وكانت القنطرة قبل تحرير العريش عاصمة محافظة سيناء الشمالية المؤقتة .

والقنطرة شرق كانت آخر محطة لسكة حديد فلسطين حتى سنة ١٩٤٨ ، حيث كان قطار فلسطين ينتهى اليها ، قبل انشاء كوبرى

الفردان فيما بين الاسماعيلية والقنطرة على قناة السويس • كما كان يقطن المدينة وحولها بعض قبائل البدو • وأهل القنطرة غرب من الذين كانوا يزاولون التجارة •

وبالطبع •• فانه بالاضافة الى المدن التى ذكرناها ، هنـــاك الكثير فى سيناء من مراكز العمران فى شـــبه الجزيرة ، وكذلك التجمع الصغرى ، والتى تعتمد أساسا على الزراعة ، وبعضـــها يعتمد على الصيد • والاخيرة تحيط ببحيرة البردويل ، التى يبلغ طولها نحو ٧٦ كيلو مترا وعرضها يختلف من كيلو متر واحد الى ١٥ كيلو مترا • ولها فم ضيق تدخل منه مياه البحر المتوسط • وفى الصيف تنحسر المياه عن جزء منها فى الجهة الشرقية ،وتدعى بحيرة الزرانيق ، وطولها نحو ٦ كيلو مترات وعرضها ثلاثة كيلو مترات • وفى الشتاء تعود البحيرة وتتصل ثانية ببحيرة البردويل، لتصبحا بحيرة واحدة ، ومصدرا لكثير من الاسماك ومنها بالطبع سمك البورى الذى يستخرج منه البطارخ • وكانت حكومة مصر تؤجرها سنويا بالمزاد ، ويقفل فم البحيرة فى الاول من مايو كل عام ، ويبدأ صيد السمك ،•ثم يفتح قليلا فى أوائل أغســطس لتجديد المياه الى أوائل شهر نوفمبر ويستمر الصيد ، وهكذا •

وأثناء الاحتلال الاسرائيلى لسيناء ، استغلت اسرائيل سمك بحيرة البردويل وكانت تصدره طازجا الى أوربا بالطائراتمباشرة• ويقولون ان البردويل نسبة الى الصليبى بلدوين • كمـا يقولون أيضا أن بلدويل بن المشد كان ملكا على منطقة بحيرة البردويل ، ولما مر بنو هلال فى طريقهم الى المغرب ، انبرى له أبو زيد الهلالى وصارعه وقتله •

أما مراكز العمران التعدينية ، فأهمها ثلاثة هى : أبو زنيمة التى كان لتعدين المنجنيز فيها وتصديره الفضل فى انشـــائها ، والتى تعد من أكبر مراكز العمران فى جنوب سيناء ، وكان عدد سكانها ٨٦١٥ نسمة • ثم أبو رديس وســـدر ، وهما مركزان

عمرانيان لم يكن لهما وجود قبل اكتشاف البترول فيهما ٠

وقد أنشئت مدينة أبو رديس عام ١٩٥٧ ، وأنشأتها الشركة الشرقية للبترول حينما بدأت تستغل حقول أبو رديس ،وفيران ، وبلاعيم ، ووادى سدرى ٠ وأنشأت سدر شركة آبار الزيوت حينما بدأت تستغل حقولها عام ١٩٤٨ ، وهى حقول سدر ، وعسل ، ورأس مطارمة ٠

● ● ●

لكن ماذا عن بدو سيناء ؟

يرى كتاب (سيناء المصرية عبر التـــاريخ) لابراهيم أمين غالى ، أن أقدم القبائل الاصلية التى بقى لها أثر بعد الفتح الاسلامى هى : الحماضة ، والتبنية ، والمواطرة ٠

ويضيف أن الحماضة هم أســــياد البلاد الاصليين ، وهم يتجمعون فى وادى فيران ، ولا يزيد عددهم الآن عن بضع عائلات تزرع أرض الواحة وتلقح نخيلها ٠ أما التبنية فهى قبيلة تقطن بلاد الطور ٠ وهى والحماضة تنحدران من أصل واحـــد ٠ أما البدارة ، ومثلها المواطرة ، فربما كانت من بقية نصـــارى وادى فيران ٠ والبدارة فى وادى التيه لا تتعدى الستين بيتا ، وتقطن بلاد العجمة ٠

ويقول كتاب (ســـيناء) للواء القرمانى ، انه قبل ظهور الاسلام وبعده ، حدثت هجرات عدة الى سيناء ، بعضها من الشام، لكن معظمها من الجزيرة العربية ٠ وقد تأثر السكان الاصليون خلال هذه الهجرات جذرا ومدا ، فانقرضت بعض القبـــائل التى بقيت للآن من سكان سيناء الاصـــليين ، وبقى القليل منهم للآن الذين لم يتأثروا بالهجرات ، وعاشوا فى الجنوب ٠

وتتفق عدة مصادر على أنه من القبائل الاصلية الباقية : الحماضة ، والتبنية وتعيش فى وادى فيران · والطورة ، وتعيش قرب مدينة الطور · والبدارة ، وتعيش بجبال العجمة ، أما القبائل التى هاجرت من الجزيرة العربية فهى : الصوالحة ، النفعيات ، بنو واصل .. وهذه كلها تعيش فى وسط وجنوب سيناء . أما العيايدة ، فقد استوطنوا أولا بلاد الطور ، ثم رحلوا منها بسبب الجفاف ، حيث يقيمون الآن بالقرب من مدينة القنطرة شرق · أما مزينة فتعيش بالقرب من الطور . وهناك قبائل غير التى ذكرت تعيش فى شمال ووسط وجنوب سيناء ، حيث يشكلون غالبية ، وفى كتاب عباس عمار · وفى بحث مستخرج من موسوعة سيناء كتبه محمود صبحى عبد الحكيم ·· كلام كثير عن السكان وحول انتشارهم بين سيناء وبين مناطق محافظة الشرقية ، وامتداداتهم الى صعيد مصر وأصولهم وجذورهم .

ويقول بدو سيناء ، انه قد هاجر من العرب المسلمين ٧٥ قبيلة من نجد والحجاز فى سنة واحدة ، فسكنوا مصر وجنوب فلسطين ، ومن هذه القبائل الوحيدات والرشيدات والرتيمات والجيارات والمعازة والطميلات ، وبنو واصل ، وبنو سليمان ، والعيايدة ، والنفعيات ·

أما أهل البلاد الاصليون ، فكانوا عند مجىء القبائل يسكنون فى المغاور والكهوف ، وفى بيوت محكمة البناء من الحجر الغشيم والطين ، على هيئة خلية النحل تعرف عند العرب بالنواويس ، ولا يزال الكثير منها قائما على رءوس الجبال ، ويرجع تاريخها الى خمسة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح . وسكان البلاد الاصليون ينسبون الى العنصر السامى ، وقد عرفوا فى الآثار الفرعونية باسم « هيروشاتيو » وعرف

سكان الطور باسم « مونيتو » . كما عرفهم بنو اسرائيـــل فى التوراة باسم « العمالقة » · وفى أوائل القرن السـادس الميلادى عرفوا باسم « الاعراب بنو اسماعيل » ·

والحقيقة أن البدو يشـــكلون السواد الاعظم من ســـكان سيناء ، حيث يقـول البعض ان نســـبتهم ٧٥٪ من مجمـــوع السكان · وهم ينتشرون فى اطـار قبـائل داخل كل سيناء ، ومن هذه القبائل فروع تعيش داخـــل مصر · وتوزيعهم كما يلى ، حسبما جاء فى كتاب ســالم اليمانى ، وكتاب اللواء الجوهرى . وهما أكثر المصادر قرباً من الدقة ·

أولا — قبائل شمال سيناء :

● **قبائل « بلى »** ، وهى اقدم القبائل العربية الموجودة فى شبـه الجزيرة ، وان كانت من أقلها عددا فى الوقت الحاضر . وربما يرجع مقامهـا فى ارض الجفار بشمال سيناء الى القرون الاولى من المسيحية ، حينما كانت للانباط مملكة واســـعة يمتد نفوذها الى شمال سيناء بالاضافة الى ان الدولة البيزنطية كانت تعهد الى بعض القبائل العربية بحراسة حـــدودها الشرقية ، ومنهم الغساسنة · وقد امتـد نفوذ قبـائل بلى من عمـــان الى حدود محافظة الشرقية ، واهم امتداد بمحافظة القليوبيـــة ، حيث مازالوا يقطنون جزيرة بلى ، ومن عشائر بلى : المطارقة ، والمقابلة ، وأولاد الفاطر .

● السواركة : وهى احدى القبائل الكبيرة ، التى تنقسم الى عدة عشائر هى : الجريرات ، العراوت ، الدهيمـــت ، الخلفات ، المحافيظ الزيود ، الجهينـــات ، الفلافلة ، السـعود ، وتتميز عشيرة الجريرات بالورع والتقوى ، ومن أشهر رجالهـــا المرحوم العارف بالله الشيخ عيد أبو جرير الذى مات بجـــزيرة سعود وله قبر فيها · ويسكن السواركة القسم الشرقى من بلاد

العريش . وهم يسمون أحيانا بأولاد « الطريق » . والسواركة مع الرميلات يمتدون بسكناهم الى منطقة رفح ، وهما من أغنى قبائل سيناء ، ويمتلكونه الخيل والبقر .

● **الرميلات :** وهى قبيلة كبيرة تتمركز بجهة رفح ، حيث تملك مساحة لا بأس بها من الاراضى الزراعية الواسعة ، وتتفرع عنها العشائر التالية : السننة ، العجالين ، العيايدة ، البسوم ، الشريطين ، العوايدة والرميلات ليسوا بدوا رحلا تماما فهم يسكنون فى عشش ، ولا يسكنون خياما من الشعر أو الوبر . ويتجمعون فى هذه العشش بكثافة مرتفعة نوعا . وكان الرميلات يسكنون قديما فى جنوب غربى فلسطين ، فى خان يونس ، ثم ارتحلوا الى العريش ، بسبب حروب بينهم وبين الترابين ، وانضموا الى السواركة بالاخوة ، وصاروا معهم قبيلة واحدة . والرميلات تشتهر بحب الخصام ، فيقال اذا كان لهم حق أخذوه عنوة واقتدارا ، واذا كان عليهم لم يمكنوا الخصم منه الا بكل مشقة .

● **البياضية :** وتعيش هذه القبيلة فى منطقة بير العبد بين القنطرة شرق والعريش ومن عشائر هذه القبيلة : المرازقة ، والابايضة ، والربايعة ، والهروش ، والموالكة ، والحفيشات ، والعواصية ، والزوايدة ، والكريمات ، والتواتبة ، ولها امتداد بمحافظة الشرقية فى مراكز ابو حماد ، وأبو كبير ، وبلبيس ، كما أن لها امتدادا بأرض الحجاز ويسمون « بنو حرب » هناك .

● **الاخارسة :** وهى قبيلة كبيرة لها امتدادات بمحافظتى الشرقية والاسماعيلية ، ومن عشائرها الزغاونة ، والعبسوية ، والعطالات ، والزوايدة ، والرضاونة ، والمناسوة ، والعطيات ، الخوالدة ، بنى عبد ، والفطاوية ، والشوايكة . وتمتد هذه القبيلة على شاطىء البحر المتوسط من روافد الحسنة شمال

بركة الجمل الى قلعة مفرج المعروفة بقلعة البلاح على نحو ساعتين من قلعة الطينة غربا ، واهم مراكزهم « القلس » .

● **العقايلة والسماعنة** : وهما من قبائل شمال سيناء ولهما امتداد فى محافظة الشرقية ، وخاصة بمركز فاقوس .

● **العيايدة** : وهى قبيلة كبيرة لها امتدادات بمحافظة الجيزة ، كما أن لها امتداد ببادية الحجاز ، وتمتد بلاد هذه القبيلة من ضواحى القنطرة الى تل حيوة ، فأم الضيان ، فالشيخ حميد ، فجبل الريشة . ويحدهم من الشمال المساعيد ، ومن الجنوب الصفايحة اللحيوات ، ومن الشرق بلى ، ومن الغرب ترعة السويس . والعيايدة كانت لهم دركات الحج عبر سيناء .

● **المساعيد** : وهى قبيلة لها امتداد بالحجاز ، وتنتشر شمال القنطرة شرق بجهة الدويدار . وهم فرع من اللحيوات ، ويعتبرون من أقوى قبائل العريش .

● ويضاف الى هذه القبائل ، قبيلة الرياشات ، ومن عشائرها الزراعوة ، والهشوش ، والجراوين ، والطوايلة . ثم قبيلة العكور ، ومن عشائرها أولاد سلامة ، وأولاد حسن ، والعودات ، والحجوم ، والبرادة . ثم قبيلة الدواغرة ، ومن عشائرها المحافيظ ، والمراعبة . ثم قبائل العلوية ، والملاعبة ، والجبور .

ثانيا : قبائل وسط سيناء او التيه :

ويسكن المنطقة الوسطى من سيناء عدة قبائل ، أهمها : التياها ، الترابين ، الحيزات ، الحويطات ، العيايدة ، اللحيوات . وطبيعى أن يكون سكان هذه المنطقة رغم اتساعها

اقل عددا واقل درجة فى الكثافة . ومن الصعب ان يقـــال ان البدو رحل يتنقلون فى وسط سيناء ، فمناطقهم موزعة بينهم ، وتختص بطون وافخاذ بعض هذه لقبائل بمناطق خاصة تستغلها وتزرعها ولا تسمح للبطون الاخرى بأن تشـــترك معها فى ذلك الاستغلال :

● **التياها** : اقدم القبائل التى سكنت بلاد التيه ، ويقال ان أصلهم من بنى هلال ، ومن نجد . وقد أشتهرت التيـــاها بالبساطة والمشاكسة . وفى تاريخها عدة صدامات وحروب مع قبائل الترابين عند عين سدر . واشهر مراكزهم نخل ، وجبل الحلال ، وعين القصيمة ، وعين الويلج ، وأهم فروع القبيـلة : الصقيرات ، والبينات ، والشهيبات ، والبريكات ، والقديرات ، والشتيات .

وسميت هذه القبيلة باســـمها لانها أول من سـكنت بلاد التيه · وهى تسمية غريبة ، لانه يندر أن تغير القبيلة اســـمها بسهولة لتنتسب الى المنطقة التى تسكنهـــا . ولهذه القبيلة فروع فى جنوب سورية ، وبير سبع ، والاردن .

● **الترابين** : يرجعهم العرف الســـائد بين بدو سينـاء الى بنى عطية من عرب الحجاز ، والمشهور عنهم أنهم من نسل الحسن ابن على بن أبى طالب · واشتهرت الترابين بالالفة والشـــجاعة والاقدام · وفى كتاب « الدرر فوائد » أن الترابين والوحيـــدات والحويطات واللحيوات من أصـــل واحد ، من بنى عطيـة نجم · الذى حضر بوادى وتير فى سيناء ، وتزوج من بنى واصـــل ، فأنجب ثلاثة أولاد هم : مساعد ، ونجم ، ونبعه · فمساعد أنجب عشيرة القصار . ونجم خلف عشيرة النجمـــات فى فلسطين . ونبعه انجب ٣ اولاد ، الاول منهم انجب عشيرة الحسابنة وهم يقطنون جنوب سيناء ، وأماكنهم جبل الراحة ، ووادى مبعوق ،

والطوال ، ووادى سدر ، ووادى غرندل ، وجبل المغـــارة ، ووادى وتير ، والضلل . والثانى انجب عشـــيرة الحـــررة ، وسكناها بجبل الحلال ، وجبل بنى . والثالث انجب عشـــيرة الشهيبات ، وسكناها بالخريق ، والمقضبة ، والريسان .

ومعظم الترابين الآن يسـكنون غزة ، وبعضـــهم يســـكن الجيزة على أنهم ليسوا كالتياها منحصرين فى منطقة واحـــدة . وتنحصر مساكنهم الرئيسية فى مناطق التياها فى الجنـــوب ، وأراضى السواركة فى الشمال .

● **اللحيوات** : وهم يقولون أيضا انهم من بنى عطيـــة ، وينتسبون الى المساعيد ، الذين بدورهم ينتمون الى مســـعود بن هانىء . وقد دار بينهم وبين بنى عقبة واقعة سميت بوقعة (المغيرية) كتب النصر فيها للمساعيد . واهم بلادهم شرقى بلاد التيـــه وغربها . واشهر مراكزهم : المغارة ، الجفجافة ، وبئر الحقيب ، وعين سدر ، وجبل نضيح ، وبئر التمد ، ونخل . وتتكون اللحيوات من عدة عشائر هى : النجمات ، والحنـــاطلة ، والكساســـبة ، والسلاميين ، والمطور ، والكرادسة ، والحمدات ، والصفايحة ، والخواطرة ، والخلايفة ، والكرادمة .

وكان لهذه القبيلة درك درب الحج المصرى من مطلة نخـــل الشرقية الى العقبة ، ثم صار لقبيلة الحويطات فيما بعد .

● **الحويطات** : وهى قبيـــلة كبيرة لها امتـــداد بالحجاز والاردن ، وكذلك فى محافظة القليوبية . ومن اشهر عشـائرها بسيناء : الجبور ، العبيات الدبور . وتمتد بلادهم من طاســـة العلو الى وادى غرندل شمالا وجنوبا ، ومن جبـــل حسن الى البحر الاحمر شرقا وغربا . وأشهر أماكنهم بسيناء بئر مبعوق ، وبئر المرة فى وادى الراحة ، وعين سدر فى وادى سدر . وهناك عشيرة منهم كبيرة فى القليوبية اســـمها الشدايدة ، ومنهـــم اللواء

محمد حسن شديد الذى كان مساعدا اسبق لمحافظ القاهرة .

ثالثا — قبائل جنوب سيناء :

ومن أشهر قبائل جنوب سيناء ، العليقات ، والمزينة ، والقرارشة ، والصوالحه ، والجبالية ، وأولاد سعيد ، والبدارة ، والحماضة ٠٠ ويطلق عليهم جميعا (الطورة) ٠

● **العليقات :** وقبيلة العليقات تنسب نفسها الى قبيلة قديمة من بنى عقبة ، وان كان البعض من افرادها يسمى نفسه « عقيلات » ٠٠ لا « عليقات » فينسبون أنفسهم الى عقيل بن أبى طالب ٠ وتنزل العليقات فى مناطق غنية بالماء والنبات ، فى دبة الرملة ، ووادى غرندل ، وعيون موسى . وتقع أراضيهم فى مناطق التعدين الهامة ، تعدين المنجنيز فى أم بجمة ، وميناء تصديره فى أبو زنيمة ٠ ولهذه القبيلة امتداد بمحافظتى القليوبية واسوان. وأهم عشائرها : أولاد سلمى ، والتليلات ، والحمايدة ، والخريسات ، والسواعيدة ٠

● **مزينة :** وتمتد مناطقها من جنوب الطور على الشطوط البحرية حول راس محمد الى التربيع ثم الرملة ٠ ويرجعون فى أصلهم الى بنى حرب . ويشتهرون بحب السلام ولين العريكة والامانة . وتنزل مزينة فى وسط سيناء الغربى تجاه الاسماعيلية الى وادى غرندل ، ويكثرون فى وادى الجدى ، وأم خشيب ، ووادى الراحة ، ثم قرب السويس ، وأهم فروعهم : العلاونة ، والشداونة ، الحويطات ، واولاد على ، ويشتغل بعضهم بصيد السمك .

وتعتبر مزنية ، التى ينزل بعضها المنطقة الواقعة الى الشرق من دير سانت كاترين ، والتى تمتد على طول خليج العقبة ، من احدث القبائل التى جاءت الى سيناء الجنوبية ، حيث انتهزت فرصة حرب وقعت بين الصوالحة والعليقات على

مورد المياه ونقل الحجاج ، فجاءت الى المنطقة ٠

● **القرارشة :** وقيل انها من قريش . ولرفعة نسبهـــا صار زعيمها زعيم عرب الطور جميعا . ويقال انهم دخلوا سيناء مع العوارمة واولاد سعيد . وهم يسكنون قلب الطـور ، ومن فروعهم النصيرات واولاد تيهى ، ويسكنون وادى فـيران ، أو ما يسمونه مهبط الوحى لقربه من جبل المناجاة ٠

● **الجباليه :** وهم يسكنون جبل الطور الذى ينتسبـون اليه ، وهم خليط من أروام ومصريين ، وكانوا نصـــارى ثم اعتنقوا الاسلام ، وعاشوا عيشة البادية ٠٠ الا أن العرب الخلص لا يتزاوجون معهم . واهم فروعهم : الحمايدة ، والسلايمـة ، والوهيبات ، وتنزل الجباليه منطقة جبل موسى ودير ســانت كاترين ٠ وللجباليه تاريخ مع الدير سنذكره فى حينه ٠

● وتوجد قبائل أخرى ، مثل العوارمة ، واولاد سعيـد ، والصوالحة والحماضـــة تسكن فى قلب الطور ٠ ولهـذه القبائل فروع ايضا . فمنه فروع العوارمة الفوانسة ، واولاد جاهين ، والمحاسنة والنواصرة ٠ ومن فروع أولاد ســعيد : الزهـــيرات والعـــوامرة ، واولاد مسلم ، واولاد سيف ، ومن فـــروع الصوالحة : العويصات والعمارين وغيرهما ٠٠ وهـــذه القبـــائل متشابكة .. بحيث من العسير فصل كل قبيلة على حدة .

كما أن هناك ملحقات لقبائل سيناء يذكرها كتـاب اللواء الجوهرى ، مثل العبيد السود الذين كان يستخـدمهم العرب قبل تحريم الرق . كما ان هناك قبائل تعيش فى كنف قبـــائل كبيرة وتدفع جعلا معلوما . وتعرف هذه القبائل باسم « هيتهم »، وهى كالعبيد تماما ٠ وأشـــهر قبائل هيتم الشرارات ، الذين يقتنون الابل ، وهم خبراء بالبادية وطرقها وقفارها ومفـارزها ، ويسيرون على النجم ، ولهم مهـــارة عجيبة على الاستدلال على

الطرق . ثم قبائل مصر ، ومنهم الدواغرة سكان الرقبة من بلاد العريش . والعرينات الذين يسكنون جبل الحلال ، ومنهم جماعة يصيدون السمك على شاطىء البحر المتوسط . والملالحة ، وهم اقل قبائل هيتم شانا ويسكنون العجرة مع الترابين والسواركة . والصليب ويقتنون الحمير ويحملون عليها زادهم ومتاعهم ، ويقال انهم بعض بقايا الصليبيين ، ويمتازون بزرقة عيونهم وبياض لونهم ، ثم مهارتهم فى بعض الصناعات الزراعية .

● ● ●

الحياة الاجتماعية لبدو شبه الجزيرة ، لا يمكن لأى بحث أن يوفيها حقها .. خاصة وأن سيناء أثناء عدوان ١٩٦٧ وخلاله ، قد تغيرت فيها بنية المجتمع الى حد كبير ، وتلاشت فيه الكثير من المسلمات .. وان كان من العسير على البدوى أن يترك عاداته وتقاليده امام مواجهات الاحتكاك والغزوات .

والواقع ان نكسة يونيو عام ١٩٦٧ كما أضرت ، فهى قد افادت كثيرا أهل سيناء بالذات .. الذين هجر منهم الكثير الى الوادى . والتهجير معناه ان يذهب البدوى الى مناطق جديدة ، مناطق حضر . وقد عاش فيها البدوى السيناوى حوالى اثنتى عشرة سنة او يزيد ، انجب فيها واحتك فيها .. واستطاعت أن تدخل الى سلوكه وعاداته وتقاليده ، الكثير من الجديد ، من خلال تعامله مع الاخرين ، ومن خلال اختراق حجاب العزلة الذى لا يمكن للبدوى أن ينغلق فيه فى المهجر .

فالبدوى فى المهجر ، اتيح له أن يعيش تحت نور الكهرباء ، مما أتاح له فرصة التعليم ، وأن يدخل أبناءه وبناته الجامعات فى مختلف التخصصات . واتيح للبدوى الذى كان يعيش حياته حاملا بندقيته على كتفه أو يتمنطق بخنجره سائرا فى الصحراء لصيد القنبر أو الزرزور .. أن يمضى وقته فيما يفيد ، فى تعلم حرفه تنفعه وتدر عليه ربحا .. وحتى البنت البدوية

نفسها استطاعت ان تدرس وتقتحم الجامعة لتـدرس الآثار ، والسياسة ، والاقتصـاد ، والحقوق ، والتكنولوجيا . بمعنى أن البنت السيناوية لم تعد تمضى حياتهـا تغزل ثوب زفافها .. وانما هى بدأت تدخل فى حياة أرحب .

وعموما فان البدوى صار بعد التهجير غيره قبل التهجير .. حتى أن أحد المطالب الرئيسية لبدو سيناء بعـد العودة ، هى أن يعمل الابناء والاباء فى مناطق التعدين ، ومناطق البترول فى سيناء ، ومناطق الاصلاح الزراعى ، بعـد أن عاشوا فى المهجر وتدربوا على تلك الصناعات والزراعات .

وأهم من ذلك فى طريق التطوير ، أن البدوى فى المهجـر تعود أن يعيش فى بيوت مبنية بالخرسـانة المسلحة ، وهذا فى الواقع نقلة كبيرة ، وانتقالا من عصر الخيمـة الى عصر المبنى المجهز . وهو فيما أعتقد سيؤثر فى حياة استقرار البـدوى . ولذلك فالذى ذهب الى سيناء قبل توقيع معاهدة السـلام من القنطرة شرق وحتى قرية رابعة .. يجد المبـانى بالاسمنت المسلح بدأت ترتفع من دور واحد ، من خلال ما اقامته الدولة ، ومن خلال جمعيـات البناء والاسكان الخاصة التى كونها ابناء سيناء الذين تعودوا على حياة الاستقرار .

كذلك فانه من خلال مراكز التنمية الاجتماعيـة التى بدأت تنتشر فى قرى سيناء ووسط البدو فى الصحراء الذى لم يهجروا .. فقد صار البدوى مرتبطا بمكان معين من الارض يحبـه ويحبه ولا يغادره هائما على وجهه اينما وجد العشب . ويضاف الى ذلك أن التعليم بدأ ينتشر بين الصغار والكبـار من خلال مراكز محو الامية ، ومن خلال البيوت الثقافية التى بدأت تنتشر على رمال سيناء .. وهى مراكز اقيمت فعلا فى رابعة ، ورمانة ، وبالوظة ، وأبو حمرا ، ونجيلة ، وجلبانة وخربة ، وغيرهـا من المناطق المحررة .

ثم ان سيارات « البيجو » .. بدأت تنافس الجمـال ، وبدأت تنتشر بصورة لها دلالاتها . « والبيجو » لها قصة يرويها بعض اهالى سيناء التى زرتها كثيرا من المرات قبـل وبعـد معاهدة السلام .. ففى الجزء الشمالى من سيناء ينتشر صيد الصقور ، وتشتهر بصيدها خاصة قبيلة المساعيد . تضع لهـا الشراك الخداعية وتصيدها .. ثم يذهبون لبيعها فى محافظـة الشرقية فى جزيرة سعود وقرية الصالحية . والصقور لها أنواع والانواع الجيدة يبلغ ثمن الواحد منها ثمن سيارة « بيجو » .. والتى يستخدمها البدوى الان فى تنقلاته وتنقلات عائلته .. وفى نفس الوقت يعمل عليها البدوى كسيارة أجرة .. لتتغير العادات والتقاليد القديمة .

على ان ذلك لا يمنع أن الكثير من العادات والتقاليد الخاصة بالبدو ، لا تزال كما هى على الرغم من التهجير ، فالعنصر البدوى الذى بقى يحاول أن يعيش حياته كما كان فى الماضى ... الا من بعض عمليات الغزو الحضارى والاحتكاك .

لكن .. ما هى خصائص بدو سيناء التى يشترك فى اغلبها بلا شك مع بدو الصحراوات فى بلادنا ، وصحراوات بلاد العرب فى كل انحاء الوطن العربى ؟

هذه اطالة سريعة على عادات وتقاليد البدو ، استقينـاها من المعايشة لفترات قليلة لبدو سيناء — خاصة سيناء الشمالية — وكما هو وارد فى كتب كثيرة عربية واجنبية ، جرى تاليفهـا على مدى قرن مضى .. وتتناول حياة البدو فى الصحارى العربية .

والحقيقة ان الخصائص التى يتميز بها البدوى ومجتمعه ، يمكن تلخيصها فى النقاط التالية :

أولا : يتميز أبناء سيناء عموما بصدق العقيـدة ، وعمق

الايمان ، والتمسك بالدين ، والمواظبــة عــلى أداء الفرائض ، وأهم خصائص البدو الصبر ، الذى فرضته طبيعة الصحراء . ثم الشجاعة ، ثم الكرم ، الذى يطلقون عليه فى امثالهم « الكرم شىء هين وجه بشوش وسؤال لين » .. هذا فضلا عن الوفاء .

والبدو لايلجأون للسلطات الحكومية عادة الا بعد استنفاد دور القضاء العرفى ، خصوصا فى قضايا القتل والشرف وملكيـة الأرض وغيرها من القضايا المماثلة ، اذ ان لهم محاكمهم العرفية باجراءاتها ونظمها . ولذلك يمكن القول بأن العرف يقوم مقــام القانون فى بادية ســيناء ، وحيث يستمد أصــوله من الشريعة الاسلامية والتقاليد الموروثة .

والافراد يرتبطون بقبائلهم برباط وثيق ، ويدينون لهــا بالولاء . فالقبيلة هى حصــن الامان ، ومــوطن الفخر ، ومبعث الحمية لدى الافراد . ويبدو ذلك فى احترام الشيوخ والخضوع لأوامرهم ، وتنشئة الصغار على القيم والمبادىء الاخلاقية التى تؤمن بها القبيلة . ولذلك فان شيوخ القبائل لهم اليد الطولى فى تيسير أمور القبائل .

ثانيا : للذكور مكانة فى المجتمع البدوى اكبر من الاناث . المرأة قد تكون لها ملكيتها الخاصــة ، وقد ترأس بعض الأسر فى حالة وفاة الزوج ، الا أن القاعدة العامة هى سيطرة الذكور على الحياة فى المجتمع القبلى . ويتضـــح ذلك حتى بالنسبة لمرحلة الطفولة . ونظرا لان الذكور يمثلون مصــــدر قوة القبيلة ، فان بعض القبائل قد تورث الذكور فقط دون الاناث .

ثالثا : لا يزال العرف البدوى هو القاعدة بالنسبة للزواج والطلاق ، حيث يكفى الاعلان عن الزواج بالاحتفال الذى يقام لتلك المناسبة . ويحدث الزواج عادة فى سن مبكرة لدى الذكور والاناث على السواء بمجرد البلوغ . وبصفة عامة فان البدو لا يمارسون

تعدد الزوجات الا فى نطاق ضيق . كما ان الزواج فى معظمه يكون بين افراد القبيلة الواحدة ، والافضـــلية للزواج من بنات العم عادة . وعندما يتزوج البدوى بأكثر من واحـــــدة ، فانه يكون مطالبا بان يخصص مكانا ـ خيمة مثلا ـ مســتقلا لكل زوجــة . وعلى الرغم من أن تعدد الزوجات ليس ظاهرة ، وانها محدودة .. الا انه يحدث من الشبان ولا يقتصر على الشيوخ فقط . وعادة ما يرتبط تعدد الزوجات .. اما بالرغبة فى الانجاب ، وانجاب الذكور بوجه خاص ، أو فى حالات الثراء والغنى .

وقلما يطلب الرجل فى البادية الطلاق ، فاكثر الطلاق يكون من جانب المرأة ، فاذا أراد الرجل الطلاق ذهب بأمرأته الى أحـد من الناس وقال لها فى حضرته ، « أنت طالق » ، وهـــذا كفيل طلاقك ، فيأخذها الكفيل الى أبيهـــــا . واذا أرادت المرأة طلاقا من زوجها ، ذهبت الى أحد أقاربها ، لا الى أبيها ، واســــتنجدت به للخلاص من زوجها . فيأتى بها الى العقبى ـ قاضى النســـاء ـ فيطلقها بعد ان يسمع مبررات طلب الطلاق . وعدة الطلاق ٩٠ يوما . والطلاق واذا كان من الرجل لزم كسوة المرأة وطعامها .

رابعا : ثمة نوع من التخصص الوظيفى لكل من الرجـــل والمرأة . فالمرأة هى التى تقوم بصناعة الخيام ، وتغزل الأغطية والاخراج والاكلمة والمفـــارش . كما تقـــوم المرأة الى جانب ذلك بجلب المياه من الآبار والعيون ، وجمـــع الحطب والأعشـــاب لاستخدامها كوقود . كذلك تتولى المرأة طحن الحبوب ، وصناعة الخبز ، وحلب النياق والأغنام الى جانب رعى الأغنام .

ويلاحظ أن المرأة فى سيناء تقوم باعداد الثياب، وهى ماهرة فى التطريز اليدوى والزخارف الجميلة عـلى ثيابها . والتطريز فى سيناء يتكون من وحدات ، منها ما يسمى « ذقن الشـــايب » ، وحب الترمس ، والنخلة ، والمقص . وتقوم المرأة بعملية النسيج

بنول بدائي بسيط تقيمه عادة فى خيمتها أو سـكنها ، وهو من النـوع الذى لا يجاوز عرض النسيج فيه متراً واحـداً فى العادة .

اما الرجل فهو يقيم الخيام التى تصنعها النساء ، ويرعى الابل ويجلب الغلال واحجار الرحى والطحن والغربال ..

خامسا : على الرغم من ان الزراعة حرفة مسـتحدثة بين البدو الذين كانوا يستنكفون منها فان هنـاك اتجاها متزيدا لاحترافها بين البدو حين تتوفر الميـاه . ويلاحظ أن لكل قبيلة مراعيها ومياهها وأراضيها الزراعية ، وان كان مورد المياه يـكون عادة ملكية مشاعة للقبائل المختلفة . ولا تتمتع بهـا قبيلـة دون اخرى الا فى أوقات الجفوة والصدام بين القبـائل اما الاراضى الزراعية فقد صارت ملكيتها للافراد . وعادة ما يمهد البدوى بعض الارض المستوية التى تصلح للزراعة قبل موسم المطر ، حتى اذا سقط وارتوت الأرض امكن بذر الشعير وغيره فيها ، وفى بعض مناطق سيناء اصبحت المساحات الصالحة للزراعة لدى البدو مسورة أو محاطة بعلامات لتدل على ملكية فلان . والزراعة عادة ما تـكون حرفة الرجال لما تتطلبه من جهد .

سادسا : لما كان المرعى فى معظم الأحيـان يمثـل ملكية القبيلة ، وتمتد أراضى الرعى لمساحات شـاسعة ، فتترك فيها القطعان ، وبخاصة الابل ، لترعى وحدها . وقد تبقى بعيدة عن أصحابها بها لفترات طويلة .. فان البـدو ابتكروا وسـيلة « الوشم » أو « الوسم » لتمييز الحيوانات بعلامات واشـكال مختلفة ، ولكل قبيلة وشم خاص . ومن شـأن ذلك أن يحفظ ملكية القبائل لحيواناتها ، والتى تسمى « الحلال » .

ونظرا لمكانة الابل فى تحديد حجم ثروة الشخص أو القبيلة ، ومكانتهم فى المجتمع ، فان العرف السائد احترام ملكيـة الابل .

ومن هنا تجيء عقوبات سرقة الابل قاسية . وأحيانا تفرض غرامات باهظة على سارقها ، تصل الى حد قياس المسافة التى نقلت اليها الابل المسروقة ، ويدفع السارق أو قبيلته عن كل خطوة غرامة معينة .

سابعا : معظم الاحكام ترجع الى العرف البدوى . وتنظم حياة البدو مجموعة من الاحكام .. تكون ملزمة لاطراف الخصومة ، وهو الالتزام القبلى الذى جبل عليه أبناء البادية من حيث الانصياع الى حكم القاضى والالتزام به .

وقد جرت العادة أن يقوم المتقاضون بدفع مبلغ متساو من كل منهم للقاضى يسمى « الرزقة » ، الا أن بعض القضاة لا ياخذونه . كما جرت العادة على أن طرفى الخصومة يتفقان على ثلاثة قضاة مسميين ، ثم يحذف كل طرف من الخصومة قاضيا ، ويبقى الثالث ليصبح هو قاضى النزاع . فان ارتضى الطرفان حكمه كان نهائيا وملزما لكل من الطرفين . وان لم يرتض الطرفان حكمه أو لم يرضى حكمه أحد أطراف الخصومة ذهبا الى أحد القاضيين الآخرين ، فان ارضاهما حكمه التزاما به ، وان لم يرضهما ذهبا الى الثالث ليكون حكمه نهائيا . وهذا التدرج فى القضاء العرفى يشبه التدرج المعمول به فى المحاكم الحالية : الابتدائى ، والاستئناف ، والنقض .

والقضاء العرفى يقسم القضايا الى الآتى :

١ ــ قضايا الدم ، ومنها القتل والجروح .

٢ ــ قضايا العرض ، كالزنا والملاطفة أو أى شىء يخدش العرض .

٣ ــ قضايا المال ، والتى اشتهرت فيها قبيلة الترابين .

٤ ــ قضايا الاعتداء فى المجلس .

٥ – قضايا الاعتداء على المنازل ، واشتهرت فى هذا النوع من القضاء قبيلة المساعيد .

٦ – قضايا النخيل ، واشتهرت فيه قبيلة المساعيد أيضا .

هذه أنواع القضايا ، ولكن ما هى أنواع القضاة !؟

(أ) هناك ((**كبار عرب**)) الذين يلعبون دور الوساطة فى الصلح وتعرض عليهم المشاكل التى لا يمكن فضها الا بالتراضى لعدم توافر الادلة ، ولجسامة ما قد ينجم عن الخلاف من ضرر ، ومن ذلك قضايا السلب والقتل والتعدى على العرض او المال .

(ب) **المنشد** : وهو يحكم فى المسائل الشخصية الخطيرة ، وفى كل ما يمس الشرف مثل الشتائم والسب . ويعرف ايضا بالمسعودى ، لان اغلب القضاة فى هذه الناحية من قبيلة المساعيد .

(جـ) **القصاص** : وهو قاضى الجروح ، وهو يوقع الجزاء الذى يستحقه كل جرح حسب طوله أو عرضه او موضعه .

(د) **العقبى** : وهو بمثابة قاضى للاحوال الشخصية الذى يحكم فى مسائل الطلاق والمهر والتعدى على العرض ، وينتمى قضاة هذا النوع عادة الى بنى عقبة بن نافع .

(هـ) **الزيادى** : وهو قاضى الابل ، يقضى فى أمور سرقتها ووثاقها وكل ما يتعلق بها .

(و) **الضريبى** : وهو قاضى الاحالة .

(ل) **المبشع** : قاضى الجرائم المنكرة التى لا شهود لها .. ويحكم باختبار المتهم بالنار أو بالماء ، أو بالرؤيا .

وهناك مما يعتبرون قضاة نوعيين او مساعدين للقضاة ، وهم آل الخبرة ، ومنهم :

● **المسوق** : وهو الخبير بالابل واسنانهـــا ، فتسلم على يده غرامات الابل .

● **اهل القطاعات** : وهم خبراء الزراعة والاراضى الزراعيــة ويحكمون فى القضايا التى تتعلق بهذه المسائل .

● **اهل العرائش** : خبراء النخيل ، ويحكمون فى القضايا التى تخص النخيل .

● **قصاصو الاثر** : وهم خبراء فى قص الاثر . وغالبـــا ما يكونون فى بلاد الطورة من قبائل مزنية والقرارشــة ، وفى بلاد نخل من الحويطات . وفى بلاد العريش من عرب « بلى » .

● **لحاسو الختوم** : وهم مشايخ معينون من قبل الحكومة ويتقاضون رواتب ويفصلون فى القضايا التى تتعلق بالحكومة . ويقال ان سبب تسميتهم هذه لانهم من عادتهم لحس الإختام عند توقيع ايصالات رواتبهم .

● **الحسباء او نقالة العلوم** : وهم اهل الخبرة فى المسائل التى تتعلق بتقاليد العرب والعهود المقـــررة بينهم ، فاذا نقض احدهم عهد القبيلة عد أنه قطع وجــه الحســـيب ، ووجب على الحسيب المطالبة بالحق الضائع ورده الى صاحبه .

● ● ●

البدوى فى سيناء يالف الحيوان ويعتز به ويعيش دائمـــا بالقرب منه . ومن هذا الحيوان الذى يألفه : الابل ، والخيل ، والحمير ، والبقر ، والغنم ، والكلاب .

والابل نوعان :

الزريقان : وهى أصيلة جيدة رشيقة ، خفيفة الحركة سريعة الجرى .

الوضيحان : ويتميز بان القـــوائم الاربع وأســـفل البطن

لونها أبيض ، بينما باقى الجسـم أصفر ، مائل الى الحمرة كلون الغزل .

وتتميز ابل سيناء بتحملها العطش ، حتى انها تظل بدون ماء اكثر من شهرين فى موسم الربيع . أما فى الصيف فهى تطلب الماء كل يومين أوثلاثة ، فى حالة اذا ما كانت تعمل .

وللجمال أسماء حسب سنها : فالفصيل هو الاقل عمره من عام . واللبنى ولد الناقة فى سنه الثانية . والمربوط ولدها فى الثالثة . والوان .. ولد الثالثة فى الرابعة . والجـذع ولد الناقة فى الخامسة . والرباع ولدها فى السادسة ، والسـداس هو الجمل الذى بلغ اشده فى السنة السابعة .

والحمل أو القعود هو ذكر الجمـل فيما بين الثالثـة والخامسة . والحمل من الرابعة . والبكرة هى انثى الجمـل . والهجين هو جمل الركوب . وأفضل الهجن ـ كما يقول البـدو ـ الاصايل المدربة على سرعة الجرى .

والخيل فى سيناء قليلة ، ولا يقتنيها من بدو سـيناء الا الرميلات ، وبعض السواركة شرقى العـريش ، ثم الترابين . وهم يحافظون على أصولها . وأحسن أنواع الخيـول هى : المخلدية ، والكبيشة ، والعبيبة . وهم فى سيناء يبيعون الذكور من الخيل ، ويندر أن يبيعوا الاناث . ومدة رضاعة المهر عندهم مائة ليـلة . فاذا اشترى احدهم مهرة وماتت فى الايام العشرة الاولى كانت على البائع ، واذا ماتت بعدها كانت على المشترى .

ويقولون أن المخلدية هى من اصل فرس خالد بن الوليد .

والكبيشة ، لهم فيها أسـطورة تقول انه خـرج من البحر جان ، فعلا فرسا للرميلات فانتجت الكبيشة .

أما العبيبة ، فيقولون أن فارسا بدويا فر من وجه اعدائه

فطاردوه اميالا فنجا منهم بسرعة وكان للفرس مهرة تتبعهـــا ، فظن الفارس انها تخلفت من أمها وصارت مع الاعداء . فلمـا صار فى مأمن التفت وراءه ، فاذا بالمهرة بجانب امهـــا تسترها عباءته فسماها « العبيبة » .. فجاء نسلها يحمل هذا الاسم .

والبدو مغرمون بالسبــــاق على الخيل والابل ، فى أيـــام الاعياد والافراح والمناسبات . وفى زيارة للمؤلف الى قرية رابعة فى شتاء عام ١٩٧٩ ، اقام اهل سيناء مبـــاراة لسباق الهجين .. وكان مضمار السباق طوله ثمانية كيلو مترات ، وقد رصد محافظ سيناء الشمالية جوائز مالية ومصاحف للفائزين ، وقيل وقتها أن هذه أول مرة يقام فيها سباق للهجين بعد عدوان ١٩٦٧، وان المحافظـــة عقدت السباق ضمن خطة لتشـــجيعه ، واقامة المسابقات المتـــكررة التى يمكن ان تكون من النشاط السياحى لسيناء .

والواقع أن البـــدو يتسابقون دائما على الخيل والابل فى ايام الاعياد والافراح ، وعند زيارة أولياء الله الصـــــالحين ، واستقبال الضيوف ، وأهم مباريات السباق تأتى فى عيد الاضحى .. وفى أوقات ختان الاولاد .

وفى سباق عيد الاضحى يجتمع البدو رجالا ونســـاء فى متسع فسيح يصلح للسباق . وتقف النساء فى جانب منـــه وفى يد احداهن ــ كما يقول اللواء رفعت الجوهرى ــ منديل أحمر مرفوع على عصا فى شكل راية ، ويقف الفرسان فى الجانب الاخر من الميدان . ويقف الرجال المتفرجون فى صف النساء على بعد نحو كيلو مترين منهن ، وحينما يرى الفرســـان أن الرايـة قد ارتفعت فى صف النساء يطلقون الاعنة لخيولهم أو جمـــالهم ، فمن فاز بالراية أولا كان الفائز ، فاذا طارده أحد أقرانه وأخـذ منه الراية كان هوالفائز الاول . أما سباق الختـــان فهو يجرى

على شاكلة سباق عيد الاضحى ، الا أنهم يرفعون قفطــانا مــن الحرير أو الاطلس كراية بدلا من المنديل الاحمر ، وترفع الراية المذكورة امراة تركب جملا .

ويصف نعوم بك شقير سباق خيل فى كتابه قائلا :
« فى سباق عيد الاضحى ، يجتمع البدو ٠٠ نساء ورجالا فى ميدان متسع صالح للسباق ،فتقف النساء فى جانب منــه ، وفى يد احداهن منديل أحمر مرفوع راية عــلى عصــــا ، ويقف الفرسان فى الجانب الاخر من الميدان ، والرجــال المتفرجون فى صف النساء على نحو كيلو مترين منهن ٠ فحالما يـرى الفرسـان الراية قد ارتفعت فىصف النساء ، يطلقون الاعنــة لخيولهم فمن فاز بها أولا كان السابق ، فاذا طارده أحد اقرانه واخذها منــه كان هو الفائز ، والا بقى الفوز للاول » .

ومن الحيوانات الاليفة ايضا لدى بدو سيناء الحمـــير . وتركبها النساء ، ويستخدمنها فى نقل الماء من الآبــار ٠ أما البقر فهو نادر ويستخدم للحليب . واكثر الحيوانات انتشـــارا هى الغنم من الضأن والماعز ، وهى تزود البـــدو بالصوف اللازم لملابسهم وخيامهم ، وباللحوم للاكل ٠

أما الكلاب — فهى ثلاثة انواع :

العكل : لحماية الاغنام من الذئاب والضباع والثعالب .

والسلق أو السـلوقى : لصـــيد الارانب والغـــزال .. وكذلك يساعد فى صيد الصقور والقطا وغيرها ٠

والضرى : لصيد التيتل . وهذا النوع من الكلاب ناتجة من النوعين السابقين .

ويصطاد البدو الغزال فى السهول ، ليأكلوا لحمه وينتفعوا بجلده . كما يصطادون الارانب البرية فى السهول المرتفعة .

والطيور في سيناء كثيرة الانواع ، منها : الحجل ، والقطا البرى ، والشنار ، والصقر ، والوردو ، والقبرة ، والهـــدهد ، وولبومة ، والعقاب ، والغراب .. كما أن الزحافات منتشرة مثل الحيات بأنواعها . واذا ما قتل اعرابى حية قال : « قتلنا السم وزال الهم » . كما توجد العقارب بكثرة : وتعالج لدغة الثعبان بالكى بالنار أو بمص السم. كما تكثر فى سيناء الجرذان والفئران واليرابيع .

● ● ●

والبدوى مضياف .. بل ان البدو يتسابقون للضيافة . والسهل عندهم ذبح خروف او جدى ، الذى يقدم لحمـــه فى قصعة عليها ارز مطبوخ بالمرق وخبز ، مثل « الفت » تمـاما . والضيافة مناسبة للتجمع عند المضيف الذى لا يأكل مع الضيوف وانما يقوم على خدمتهم الى أن يفرغ الجميع من طعامهم ، فيأكل ويوزع ما بقى على النساء فيأكلن فى خيامهن . والمعتاد أن كبير الضيوف يرسل من قصعته بعض اللحم الى راعية البيت . ومما يذكر هنا أن يدى الذبح ورجليه ولحم الرقبة لا تقدم على موائد الرجال ، فتقديمها اهانة .

واذا لم يكن عند البدوى غنم حين قدوم الضيف عليـه ، فانه يحق له الاخذ من غنم جاره وذبحـه ، ويسمى عنـــدهم « العداية » . ويشترط رد الذبيحة بعـد ١٤ يوما . فاذا لم يرد المضيف العداية حق لصاحب الغنم أن يغير على غنم جاره وهو ما يعرف باسم « الوثاقة » .

والبدو يعيشون فى الشـــتاء فى خيام ، وفى الصيف فيما يعرف باســم « عرائش » ، جمـــع المفرد عريشة . وأهم أثاث الخيام والعرائش : « المنسف » وهو طبق مستدير واســـع من الخشب يقدم فيه الطعام للضيف . « والباطيـــة » ، منسف صغير يستخدمه رب العائلة فى حياته اليومية ، ثم « الكرمية »

.. أو « الزلفة » ، وهى اصغر من الباطية وتستخـــدم لعجن الدقيق وتقديم الطعام . « والقدح » آنية من الخشب مستطيلة الشكل ولها يد وفم ، تستخدم لحلب الابل وشرب المـــاء . ثم حجارة الرحى ، والغرابيل ..

أما عدة القهوة العربية ، فهى مؤلفة من « المحمصة » ، وهى طاسة من الحـــديد يحمصـــون فيها البن . ثم « الهون » الذى يصحن فيه البن . « البكرج » وهو ابريق من نحـاس تغلى فيـه القهوة .

ومن أطعمة البدو : « الجريشة » وهى قمح مجروش ليصير برغلا خشنا يسلقونه جيدا ، ثم يسكبونه فى قصـــاع ، ويصبون عليـه الادام من اللبن او السمن او الزيت . ومن اكلهم ايضـــا « العصيدة » وطريقة عملها هى غلى الماء ، ويصـــبون عليه الدقيق شيئا فشيئا وهم يحركونه حتى يكون له قوام ، ثم يصبونه فى القصاع . وقد يصبون عليه اللبن ايضا . « والدفينة » هى فتة من الخبز أو مسلوق الارز بمرقة اللحم تنشر فوقها قطع اللحم . « والمفروكة » نوع من الشعرية تؤكل بالسمن والسكر .

وللبدوى صبر على الجوع والعطش . واذا جاع احدهم ولم يجد ما ياكله يشد حجرا مســـتطيلا على معـدته ، واكتفى باكل العشب . ومن بات منهم بلا عشاء ســمى « المقوى » . ومن لم ياكل طعام الصبح سمى « المرموق » .. كما يقول الشاعر :

يا كم ليلـــة بتنـــا مقـــــاوى
وصـــــبح عزيز الحـــزام يدين

وكما يقول شاعر آخر :

والله لا علمك مانى عليك جاهـــد
اليوم مريوق والبارح رغيف واحد

ويتاجر البدوى فى الخيل والابل والغنم ، كما ان بدو سيناء يتجرون فى الفيروز ، وهو بكثرة فى بلاد الطور • كما يتاجرون فى حجازة الرحى • ويبيعون المن الذى يجمعونه من شجر الطرفا لزوار الدير ، دير كاترين • كما يتاجرون فى العجوة ، والنباب والاخير ينبت فى بعض الادوية • وكذلك (السمار) الذى ينبت فى العيون والمستنقعات ويبعونه لعمل الحصر • ثم الحنظل يجمعونه من الارض ويبيعونه للعطارين •

● ● ●

ونتكلم عن الشعر ، والغناء ، والرقص عند البدوى .

ان بادية سيناء هى بادية عربية بالدرجة الاولى ، مازالت فيها كل قبيلة تحتفظ بمأثوراتها المتوارثه . ومن أبرز هذه المأثورات ، ذلك الادب الذى لا يزال الشعراء الفطريون يرددونه – خاصة الشعر – تلقائيا •

ان بادية سيناء هى بادية عربية بالدرجة الاولى ،مازالت فيها قدرة خارقة على ترجمة احاسيسهم ومشاعرهم تماما وبنفس القدر الذى ترجمته من قبل فحول الشعراء فى العصر الجاهلى • وربما ساعدهم على ذلك ، رحابة الافق الذى يحبونه فى الصحراء • فهذا شعر فى الغزل ، وذاك فى المديح ، وآخر فى الزهد ، وهكذا كل الالوان .. مع فارق هو ان شعراء بادية سيناء ينظمون قصائدهم بلهجاتهم العربية الدارجة .. التى تتخللها الفاظ من صميم اللغة العربية الفصحى ومن هذا الشعر قصيدة لشاعر قبيلة الحويطات واسمه سلمى الدخايلة ، يقول فيها :

يا ديرتى ومربای وقت الطفولة
ما نسى غلاكى وجيتك اليوم زوار
جيت اتفرج عالخيل والسهولة
واشرف على المرقاب وانظر بمنظار

فيكى عدو الله رابط خيوله
والله ما يرضى بكى عند كفار

وشاعر آخر مشهور هو عنيز سالم ، شاعر قبيلة الترابين . يقول فى قصيدته عن الفه وحبه لاسرته ، وللحرية وحزنه لفـراق الاحباب :

يا طير مشين طبعك عقب تغيبك مانت منطاق

مشين طبعك طول ليلك تقافى

يا طير انا مشتاق للعلم مشتاق

وقلب الخطا طير زى مانت هاق

والشاعر سالمان ابو راشد من قبيلة البياضين ، يحـــدث الريح أن ترسل بخطابه الى ابنائه الموجودين فى ليبيا ، فيحـــدث الريح قائلا :

ياريح يارايح ليبيا ياريح

ياللى بتمشى ع عين الحكومة بلا تسريح

ياريح يارايح ليبيا سلم

ياريت ياريح لو انك بتتكلم

وان كان ياريح متوصل جواباتيه

خط الثلاثة ع ابو عمران لاقينيه

ومن شعر الغزل ، يقول شاعر البادية الذى احب فتـــــاة بدوية اسمها « عبيدة » وهى من أربعة أبيات ، يبدأ كل بيت فيها

بحرف من حروف اسم المحبوبة الاربعة :

العين عبده غزالى مش غزال غريبه

والياء يارب تجعلها عمار بيته

والدال داويت لما طابت جروحيه

والهاء هان العسير ونلت مطلوبيه

وفى قصيدة ٦ أكتوبر ، يقول سليمان الزيت شاعر قبيلة القرارشة :

انور السادات بطل السلام

تلقاه فى اللازمة سيد وسادات

قطبه الولايا حزمة بالحزام

والرحمن مانحه فضل وكرامات

توافد جنوده بصواريخ سام

رجال تريد الموت قبل الاوانات

والبحر عدوه فى ثوان اقتحام

تخطيط من ذات العقول السليمات

حصن بناها العدو فى سبع أعوام

هذه رزير القوم فى ست ساعات

وفى قصيدة اخرى للشاعر سليمان الزيت يقول فيهـا عن سيناء :

يا واحد مالك شرايك ربوبه

الارض باسطها ورافع سماها

سيناء تملى معرضة للحروبة

وفيها خلايق صامدة ع غناها

والواقع ان الملاحظ فى هذا الشعر البدوى .. انه يشابه شعر البادية العربية .. وهو فى رأيى يقترب من الشعر النبطى الذى يسمعه الانسان فى البادية العربية ، وقد سمعت وقرات الكثير من هذا الشعر فى بادية السعودية .. وفى بادية دول الخليج ، وخاصة فى صحراء ليوا .. التى زرتها وعشت فيها عدة أيام فى عام ١٩٦٨ .

وللبادية افراح .. تظهر عند الزواج وختان الأولاد ، ومولدهم ، وعند مقدم حاج من الاراضى المقدسة ، أو اطلاق سراح احد المسجونين . ومن عادتهم أن ينحر صاحب الفرح الذبائح من رءوس الغنم والماعز ، وأن يتوافد المدعون أول الفرح ، وكل منهم يسحب رأسا من الضأن أو الماعز ، وجوالا من الدقيق لصاحب الفرح يسمى « القود » .. أو (النقطة) كما تسمى فى ريف مصر .

ومن مظاهر ابتهاج البادية بالافراح ، أن تلبس النساء أحلى زينتهن ويغنين ويزغردن ، كما يقف الرجال فى طابور طويل منتظم يسمى « السامر » ، حيث ينشدون أناشيد جميلة تتجاوب أصداؤها فى عرض الصحراء فى جوف الليل ، ويقولون «الدحية» ، ويبدءون السامر عادة بقولهم :

أول كلامى نصلى ع النبى الهادى

ومحمد اللى مقامه نور الوادى

والذى يقود الغناء فى السامر يسمى « البديع » ، وهو عادة

شخص متمرس له من القدرة على اختراع الكلمات المنثورة والشعر البدوى ، ما يؤهله للقيادة ٠

وامام السامر ، ترقص احدى نساء البادية المحجبات ، وفى يدها « سيف » . ومن اشهر الآلات الموسيقية المستعملة فى الافراح هى (الربابة) ، وهى قريبة الشكل بالكمان ، وأوتارها من شعر زيل الخيل ٠ (والشبابة) ، وهى المعروفة فى مصر بالناى ٠ والمقرون أى المزمار ٠

وكل شعر يغنى عند البدو . ومن انواع الشعر المغنى عندهم الآتى :

(القصيد) ٠٠ وينشد على الربابة ، ويشمل باب المديح ٠
و « المواليا » ٠٠ وهو الغناء على ظهور الابل ، وهو يشبه الحداء . ومن ذلك كما جاء فى كتاب اللواء الجوهرى ، الذى يقول ان لكل قبيلة مقاطع فى الحداء تختلف عن الاخرى :

يا كم بنية نوبة

قبلت أنا وياها

والجذالة عشب تربى

قبل العرب ترعاها

وهناك قصيدة أخرى من قصيد البدو نذكرها كمثال على ذلك :

رن حجل البدوية

رن وأعجبنى دويه

ياجميل الصالحية

وين بنت البارحية
يت فى حنه ورنه
والعطور الفايحيه

ويقال ان غنـــاء الرقص ثلاثة أنـواع هى : الدحيـــة ، والسامر ، والمشرقية .

أولا الدحيـــة ، وهي تســـلية البـــدو فى باديتهم ، فاذا اجتمع البـدو للدحيـــة وقف المغنـون صـــفا واحـــدا ، وبينهم شاعر أو أكثر ، يعرف ، باســـم « البداع » ، ويرتجل الشعر وأمامهم امرأة ترقص بالسيف ، وهى المسماة « الحاشية » فيبدأ المغنون بقولهم « الدحية ، الدحيـــة » يكررونها مرارا وهم يصفقون بأيديهم ويهزون رءوســـهم ، ثم يبدأ البداع بالقول . فكلمـــا أبدع شطرا من الشعر ، كرر الكل « الردة » ، وهى « رايحين نقول الريدة » .. وهم يصفقون بأيديهم ويهـــزون رءوسهم واعطافهم يمنة ويسرة . ويتقدمون نحو الحاشيـــة ، وهى تتقهقر امامهم ، وهى ترقص رقصهم ، حتى يصلوا الى منتهى ساحة اللعب . **فيقعدوا القرفصاء** ، **فتقعد الحاشيـــة** مثلهم . ويغنوا برهة ، ثم يتقهقر الرجـــال الى الوراء رويدا ، والحاشية تتبعهم مواجهة لهم ، حتى يعودوا الى حيث وقفـوا أولا ، فيعودوا الى **الرقص كما بدءوا** . **والبداع يبدع القول** . وهم يكررون الردة . وقد يكون بينهم أكثر من بداع ، فيتناوبون القول الى انتهاء اللعب . وقد ترقص راقصـــتان أو ثلاث .. ويد الواحدة فى يد زميلتها . ومن أنواع أغانى الدحية .. ما يقال :

أنـــا مجـــيرك يا الغالى مــــد ايدك وســــــلم على

فتمد الحاشية يدها وتسلم عليه ، فيقول :

أنا مجـــيرك يا الفـــــالى تلعب باركان الدحيـــــة

فتتحمس وترقص ، فيقول :

وان كان مطيـــع من زمان ردد الركبـــة مثنيـــة

فتركع الحاشية على ركبة ونصف ، فيقول :

هيـــدى بروك المخاليف ودى بـــروك المطيـــة

وهنا تركع الحاشية على ركبتها ، فيقول :

انا قصدتك يا الحاشيـــة ودى اشـــوف المعطيـــة

فتناوله السيف ، الذى كانت ترقص به ، فيقول :

الحاشية اعطـــانى السيف والسيف يقطـــع يديه

انا ودى شـــناف الفضـــة سرع قبـــال الكليـــه

وتنزع هى الشناف ، وتناوله اياه ، فيقول :

انا ودى خاتم الفضـــة وحطـــه بايدى اليمينية

فتنزع خاتمها وتناوله اياه ، فيرجعه اليها ومعه قطعة من الفضة ، ويقول :

هذه عطيتك يا الحاشيـــة وهى حـــرام على

واختم كلامى بمحمـــد يا مصـــلين ع النبى

محمـــد يا نور المشرق والسيد نور الغربيـــة

ثانيا — السامر : والسامر نوعان همـــا « الزرعة » .. و « الخوجار » .

« والزرعة » يقف الرجال فريقين على شـــكل هلال مقطوع الوســـط ، ويقف مع كل فـــريق بـــداع ، وأمامه امرأة ترقص بالسيف . فيبدأ بداع الفرقة الاولى ، ويقول بيتـــا من الشعر

الغنائى وكلما قال شطرة كررها اصحابه من بعده ، او رددهـا . وكلا الفريقين يصفقون ويهزون رءوسهم ، ويتقـدمون نحـو الحاشية .. كما يحدث فى الدحية . ثم يبدأ بداع الفـريق الثانى ويفعل ما فعـل بداع الفريق الاول ، وهـكذا .. الى منتهى اللعب .

أما « الخوجار » .. فهو مثل الزرعة ، لكن النسـاء تقفن بين صفى الرجال ، وبينهن شاعرتان تغنى كل منهما لاحـد فريق الرجال ، ولا تتحركن من مكانهن الا عند انتهاء اللعب ومن شـعر السامر ، هذه الابيات :

يا طالعين البرارى فى سموم ورياح

لا القلب ساكن هنا ولا شوقكم مرتاح
يا قلب وايش متعبك يا قلب وايش شاقيك

يا قلب اللى سقى عود القنا يسقيك
يا ساكنين الصحارى وبلادكم مظماه

قاعد على دربكم والحلو ما بلقاه

ثالثا – المشرقية : وهى على نحـو لعب الزرعة ، بـكل تفاصيلهـا .. الا أن الشعراء ينشـدون فيها أبيات الزرعة ، ولحنها يختلف عن لحن السامر ، ومن مقاطع المشرقية :

اطلع تنزه ليالى العز مادامت
يا اكحل العين ما أحلى دقة وشامك

● ● ●

من عادات البـدو ، وخاصـة بدو شمال سيناء .. انهم يذهبون الى البحر فى ربيع كل عام فيذبحـون الذبائح ، ويرمون

رءوسها وارجلها وجلودها ، ويقولون عند رميها : « هذا عشاك يا بحر » .

والبدوى عندما يكون فى ضيق وينفرج حاله ، يقبل الارض ويقول : « يوم ما تطول سماه نقبل وطاه » .

ويتبارك العرب عند رؤية هلال الشهر . ويدعون عند رؤيته سائلين : « يا لى سلمتنا فى الى زل ، سلمنا فى الى هل » .

وعندما ياخذ العربى بثأره يقولون : « جاب النار بعيار ونار » .. أو يقولون : « جاب النار ونفى العار » .

ومن الامثلة الدارجة بين أبناء البادية :

« اللى ما بيعرف الصقر يشويه » ..

« بارك الله فى المرأة المطيعة والفرس السريعة والدار الوسيعة » ..

« بين الغطاس والميلاد لا تسافر يا هذا ، وان سافرت خذ تحتك سجادة » ..

« بشر القاتل بالقتل ، والزانى بالفقر » ..

« خذ بنت السبع ولو بارت . ودر مع الدرب ولو دارت . وفوت بنت الانذال ولو زينها غاطى جبينها » .

« الراس ما بيسع طربوشين » ..

« الشمس لا يغطيها الرغيف » ..

« الليل رزقه ضيق »

« الدم ما بيسوس »

« دار خير من دار ، وجار خير من جار »

« المركب اللى مافيها شيء لله تغرق »

« مشيك فى المعزة اربعين يوما ، ولا فى المذلة الف عام » .

« من رمى سلاحه ، حرم قتله » ..

« الحى يشوف الحى »

« راعى النية الطيبة يرزق »

والحقيقة أننا نحن هنا فى مصر فى حاجة سريعة وماسة الى تسجيل هذه الفنون الشـــعبية .. والعادات والتقــاليد ، بكل الوسائل والسبل .. قبل أن يأتى يوم تكون فيه أغلب هذه قد تلاشت وانقرضت .. وصارت تاريخا .

الفصل الحادى عشر

كنوز سينـاء

صورت سيناء من خلال مشروع الاستشعار من البعد ،والذى أثمر خريطة لشبهالجزيرة ، وتغطى مساحة ٦٤ حوالىألف كيلومتر مربع ، وباستخدام الصور الفضائية المجموعة من القمر الصناعى (أرتس ـ ١) ٠٠ بالاضافة الى الدراسات التى أجريت ، وهى دراسات متنوعة فى فترة طويلة ، هذا كله يشير الى الآتى :

اولا : تعتبر الاراضى المتاخمة لخليج السويس ، والمعروفة بمنطقة أخدود خليج السويس ، من المناطق ذات الاولوية لوجود البترول ، فى وسط الشريط الساحلى ٠٠ حيث تقع حقول بلاعيم البرية ، وأبو رديس ٠٠ بينما تقل الحقول نحو الشمال ، حيث توجد حقول سدر ، وعسل ، ومطارمة ٠

وتقع المنطقة ذات الاهمية الثانية ، والتى ينتظر اكتشاف البترول والغاز فيها فى أقصى شمال سيناء ، على امتداد ساحل البحر المتوسط ، والتى يحدها جنوبا (الفوالق) التى ظهرت على الخريطة لاول مرة ٠ تليها جنوبا المنطقة ذات الاهمية الثالثة فى مجال البترول والغاز الطبيعى ٠

ثانيا : توجد رواسب المنجنيز والحديد المعروفة فى وسط وغرب سيناء ، فى منطقة (أم بجمة) ، وتظهر بعض الطبقات المحتوية على خام الحديد فى شمال سيناء ٠ كما يختلط الحديد والمنجنيز فى الصخور الواقعة فى جنوب سيناء ٠ وقد عثر على المنجنيز فى مناطق عدة من سيناء ، أهمها الجنوب الغربى لشبه الجزيرة ، وهى المنطقة التى تقع الى الشرق من (أبو زنيمة) ٠ وكذلك منطقة شرم الشيخ ، ومنطقة حويط ، ومنطقة جبلموسى ، وحول (دير سانت كاترين) ٠

ومن خلال أبحاث الخبراء تبين أن المنجنيز ثلاثة أنواع ، اهمها المنجنيز الذى يتكون أساسا من معادن المنجنيز الحديدى ٠

وقد تم اكتشاف هذا الخام فى أم بجمة ، وفى أبو ثور ، ورأس الحمار ، والركايز ، وأم العالات ، وأم غنيـــم ، وأم الرجيلة ، وأم سكران ، وأبو قفص ٠٠ ومناطق أخرى كثيرة ٠ وقد أكـدت الدراسات أن احتياطى المنجنيز يزيد على ١٥ مليون طن ٠

ثالثا : توجد رواسب النحاس فى غرب وسط شبه الجزيرة، فى مناطق : وادى نصب ، وسرابيت الخادم ، مترسبة فى طبقـة الحجر الرملى الطفلى ٠ كما توجد هذه الرواسب فى غرب ووسط، وجنوب شبه الجزيرة ، بشقوق الجرانيت القرمزى ، والجرانيت، والشيست ، وعروق المرو القاطعة ٠٠ كما هو الحال فى منــاطق أبو صويرة ، باثات أم ربى ، فيران ، رقبيطة ، رصبة ، سمرة ٠ وق أعطت العينات المأخوذة من منطقتى (أبو شور) و (أبو حماط) ٠٠ أعلى نسبة من النحاس ٠

رابعا : اتضح أن أصلح منـــاطق للبحث عن اليورانيوم ، محتمل أن تكون تكوينات وسط الحجر الرملى ، وحيث الجرانيت ٠٠ خاصة الانواع الحديثة منه ٠ وتوجد هـذه الانواع فى الجزء الشمالى الغربى من سيناء ، وكذلك الفوالق ، والكسور ، خاصـة جنوب سيناء ٠

أما الثوريوم ، وهو وقود ذرى ثانوى الاهمية ٠٠ ومعـدن الاركونيوم ، وغيرهما من المعادن النادرة ، فيحتمل وجودها عـلى الساحل الشمالى ، وفى المساحات الضحلة من البحر المتوسط ، مثل سبخة البردويل ٠

خامسا : تعتبر شبه الجزيرة من أهم مصـــادر الكاولين ، اللازم لصناعة الخزف ، بما له من خواص كيميائية وطبيعية ٠ كما أن هناك معادن أخرى لها أهمية فى صناعة الخزف مثل الفلسبار، والكوارتز ٠٠ يمكن الكشف عنها مع الجرانيت الوردى فى الاجزاء الشمالية والغربية من صخور القاعدة ، وفى منطقة الكســـور بجنوبى سيناء ٠

سادسا : من المعادن الاخرى ذات الاهمية الاقتصادية : الفوسفات .. وهو فى صخور العصر الطباشيرى . وكذلك رواسب الرصاص والكبريت والاسترانشيوم .. وتوجد جميعها بأخدود خليج السويس .

سابعا : رمل الزجاج ، أو الرمال الكوارتيزية .. وهى تستخدم فى أغراض متعددة ، من بينها صناعة الزجاج والخزف والصينى والمسبوكات . وقد أجريت بعض الدراسات الحقلية عام ١٩٦٥ لطبقات بعض الوديان المنتشرة فى وسط غرب سيناء ، وهى وادى الخايويا ، وأبو نعش ، وأبو قفص . وقد ثبت من نتيجة التحليل أن عينات وادى الخايويا تنتشر رمالها فى ثلاثة حجوم متتالية ، وتوجد بها نسبة تصل فى المتوسط الى ١٤٪ من الحجم الكبير فى الرمال . على عكس عينات الواديين الآخرين ، والتى يقل فيها متوسط نسبة هذا الخام الى أقل من ١٪ بينما تشكل النسبة فى الحجمين التاليين أكثر من ٩٨٪ .

وجدير بالذكر ، أن رمال سيناء البيضاء ، لا تقل فى الجودة عن أنقى أنواع الرمال المثيلة فى العالم ، وهى بذلك ثروة قومية لا يستهان بها فى تطوير وتحسين بعض الصناعات القائمة ، وفى انشاء صناعات جديدة .

ثامنا : الفحم ، وتم اكتشافه فى جبل المغارة ، جنوب غربى العريش بحوالى ٩٠ كيلو مترا . وقد اكتشفه فى وادى الصفا عام ١٩٦٤ الجيولوجى ابن سيناء درويش مصطفى الفار . وقد وصلت طاقته الانتاجية الى ٣٠٠ ألف طن سنويا عام ١٩٧٠ .

ويمكن اكتشاف الفحم فى مناطق أخرى لاستخدامه فى أغراض التنمية المحلية .

وقد ثبت وجود الفحم فى منطقتى بدعه وثوره بالجزء الغربى الاوسط من سيناء . وقدرت الاحتياطيات بنحو ٧٥ مليون طن من

الفحم والمواد الكربونية ، منها حوالى ١٥ مليون طن مؤكد ، وحوالى ٦٠ مليون طن محتمل . ويمكن استخدامه فى انتـــاج حامض الكبريتيك من الجبس .. وانتاج بعض المواد الكيميائيه ، مثــل البريدين ، والفينول وغيرهما . ويصلح كوقود لاشـــعال أفران توليد القوى الكهربائية .

أما فحم منطقة عيون موسى جنوب شرق السويس بنحو ٩٠ كيلو مترا ، فقد قدرت احتياطياته القابلة للاستخراج بنحو ٣٥٫٦ مليون طن . وتبلغ الطاقة الانتاجية ٣٠٠ ألف طن سنويا .ويمكن استخدام ٢٠٠ ألف طن سنويا فى صناعة الكوك اللازم للحــديد والصلب ، كما يمكن استخدام فحم المغارة فى مجالات كثيرة .

تاسعا : بالنسبة للملح الصخرى ، فقد أظهرت الخريطة أن أنسب الاماكن لترسيباته ، هى الشريط الساحلى ، شمالى سيناء .

عاشرا : الصخور التى يمكن استخدامها فى المواد الانشائية تنتشر بوفرة فى سيناء ، مثل الجبس والانهدريت . وهى يمــكن تصديرها الى الخارج . وهذا النوع من الجبس يوجد على امتداد الساحل الغربى ، محازيا لخليج السويس وقناة السويس .

أما الصخور الصالحة لصناعة الاسمنت ، فتوجد فى شمال وسط سيناء . كما يوجد بعضها على الساحل الغربى الممتد عــلى مقربة من خليج السويس . ويوجد البازلت فى شــمال وجنوب شبه الجزيرة . وهذه مع صخور التراكيت ، والرابوليت ..والتى تستخدم فى رصف الطرق ، توجد بالقرب من خليج العقبة .

حادى عشر : فى منطقتى سرابيت الخادم ، ووادى المغارة .. يوجد النحاس والفيروز .. كما يوجد الرمال السوداء والرصاص والالونايت ، وكبريتات الصوديوم .. ويلزم لها مسح جيولوجى شامل لشبه الجزيرة .

● ● ●

وماذا تقول صور القمر الصناعى (آريس ــ ١) حول مياه سيناء ؟

أولا : فى شمال سيناء ، تتوفر الظروف المناسبة لحفظ المياه فى التربة ، وذلك فى منطقة تجمعات الكثبان الرملية ، التى تمتد على طول الشريط الساحلى • وهى خزان طبيعى للامطار الساقطة • ومياه هذا الخزان تكون عموما أقل ملوحة •• ويمكن استخدامها للاغراض المنزلية والرى • وهذا مؤكد ومعروف من خلال خرائط القمر الصناعى •

كما توجد المياه أيضا فى الرواسب الفيضية على السهل الساحلى • وتقدر كمية المياه فى خزان هذه الرواسب بحوالى ٢٠٪ • وقد ثبت وجود المياه فى طبقات الرمل من خلال معظم الآبار الضحلة الموجودة فى الجزء الشمالى من حوض وادى العريش ، ووادى الحسنة ، ووادى القسيمة ، وغيرها • وتجدر الاشارة الى أنه يوجد بشمال سيناء عدد من العيون الطبيعية ، أهمها : عين الجديرات ، وعين قاوس بالقرب من القسيمة ، ومياه هذه العيون تستخدم فى الرى •

ثانيا : فى جنوب سيناء ، والموارد المياهية هنا محدودة ، وينحصر مصدرها فى منطقة الاخدود الغربى لسيناء • وتوجد المياه الارضية فى السهول الفيضية ، ورواسب الوديان •• كما توجد فى شريط ضيق بمحاذاة خليج السويس • ففى منطقة الطور توجد المياه على عمق حوالى خمسة أمتار ، وتستخدم مياهها فى أغراض المعيشة ورى بساتين الفاكهة •

وهناك مياه شبه محصورة فى الرمال والحصى ، وتنتشر خزاناتها فى الاخدود الغربى ، وقد ثبت أنها طبقات حاملة للمياه من خلال الآبار التى حفرت على عمق ٤٨ مترا ، وخاصة فى موقع الحبشى وعيون موسى ، ورأس مسلة ، وسدر • كما توجد مياه على عمق ٣٠٠ متر ، وتبلغ درجة الملوحة فيها ١٥٠٠ جزء فى المليون •

وقد أجريت عدة دراسات ، ووضعت تقارير ، فى بداية

الستينات أثبتت أن كميات الامطار التى تسقط على وادى العريش تصل الى ١٠٠سم مكسب٠ وأنه من الممكن الافادة بالمياه الجوفية التى تختزنها كثبان الرمال ٠ وأن مساحة وادى العريش تصل الى ١٧ الف كيلو متر مربع ، ويمكن زراعة ستة آلاف فدان اعتمادا علـى المياه ، وخاصة زراعة الخروع ٠

على أن منطقة وادى العريش تصـــلح لانواع مختلفـة من المحاصيل ٠٠ وبخاصة الزيتـــون الذى زرعته محافظة ســـيناء الشمالية ، وبدأ محصوله يثمر عام ١٩٧٩ ٠ يضاف الى ذلك أن أرض العريش يمكن أن تزرع فيها الطماطم التى تكفى مصر كلها ، اذا ما أحسن التخطيط لذلك ٠ هذا فضلا عن المحاصيل مثل القمح والشعير ، وكذلك الخضروات ٠

الحقيقة أن المنطقة ما بين العريش ورفـح تعتبر من الارض الخصبة ، والتى اذا استغلت مياه آبارها بمهارة وتكنولوجية ،فانها تكفى للزراعة التى يمكن أن تساهم فى استراتيجية الامن الغذائى٠ وقد قدر أن البئر الواحد فى المنطقة يمكن أن يصـلح لزراعة ٦٠ فدانا ٠

وهناك طرح فكرة ايصـــال مياه النيل الى العـريش وما يجاورها ٠ وهذه الفكرة كما نرى مكلفة جدا اذا ما عرفنا أن الارض ترتفع كلما سرنا من وادى النيل الى العريش ، بحيث يتطلب ذلك بالطبع عدة وسائل تكنولوجية تساعد على دفع المياه حتى تصل الى منطقة العريش ٠ على أن فكرة مد فرع من النيـل تحت قنـــاة السويس ، يجرى بحثها وعمل الدراسات لها ٠٠ وربما يمكن أن يروى النيل المناطق المتاخمة لقناة السويس ٠

والواقع أن الدراسات الحديثة قد أكدت ، أنه يمكن زراعة المنطقة الشمالية من سيناء كلها بمياه وادى العريش ٠ وهـــذا لا يكلف مثلما يكلف ضخ مياه النيل الى العريش ٠ وقد أكد لى ذلك اللواء محمد حسين شوكت محافظ سيناء الشمالية ٠ وهـذا

القول بلا شك قد جاء نتيجة لدراسات على الطبيعة بالنسبة لخزان المياه الكبير الموجود تحت وادى العريش والذى تتجدد مياهه كل عام ·

وفى دراسة قام بها معهد الصحراء ، اتضح أنه يمكن تقسيم سيناء الى عدة أقسام ، لكل قسم منها امكاناته المائية والزراعية ·

والقسم الاول : هو اقليم حوض وادى العريش ، وجزء من حوض وادى عزة · وهو يشغل مساحة تقدر بحوالى ٢٠ ألف كيلو متر مربع ، يخترقها من الجنوب الى الشمال حوض وادى العريش بروافده العديدة ، والذى يتحول فى بعض مواسم فصل الشتاء الى نهر يفيض بالمياه التى تنساب الى البحر المتوسط ، وفى هـذا الحوض تنتشر رواسب التربة · وتتواجد المياه السطحية ، التى يمكن التحكم فيها · كما تتواجد كذلك المياه الجوفية ، سواء فى الصخور الرملية (الحجر الرملى النوبى) ·· أو فى الصـخور الجيرية ، والتى لم تستغل حتى الآن على نطاق كبير · ونحن اذا تصورنا أن هذه الصخور تمتد شرقا الى المناطق المطرة فى لبنان وسورية ، نستطيع أن ندرك كمية المياه الجوفية التى تتغذى بها كل عام ، بما يعطيها أهمية كأحد الموارد المائية الهامة ·

ويمكن فى مرحلة الابتداء ·· اقامة مجموعة من الحطيـات الزراعية ، أى المساحات الواسعة ، فى الاماكن التالية : قلعة نخل ـ التمد ـ سدر الحيطان ـ الحسنة ـ القصيمة ـ الكونتيلا ـ بير لحفن ·

القسم الثانى : هو السهول السـاحلية فى منطقـة خليج السويس ، مثل وادى سدر ، ووادى غرندل ، ووادى الطيبـة ، وسهل الترازات ، وسهل أبو زنيمة ·

وهذا القسم يتميز بوجود عـدد من الوديان الكبيرة التى تنساب من مرتفعات شبه الجزيرة الجنوبية ، وتنحدر مباشرة الى

منطقة خليج السويس ، ولو أنه فى الوقت الحالى لا يجرى الاستفادة من مجارى تلك الوديان ، ولا يجرى كذلك الاستفادة من رواسب التربة الجيدة .. والتى توجد فى دلتاوات تلك الوديان . وقد تأكد صلاحية ٧٥ ألف فدان للزراعة فى تلك المنطقة .

القسم الثالث : هو أقليم السهول الساحلية لمنطقة البحيرات المرة ، وكذلك منطقة الغرود التى تمتد شرقا حتى هضبة أم خشيب، شمال ممر متلا . وهذه المنطقة بها امكانيات زراعية محدودة ، نظرا لان مياه الوديان تضيع وسط الكثبان الرملية ، ونظرا لان الارض تتعرض لما يشنبه عمليات (التجليخ) . ويمكن مع توافر مياه النيل ، وتيسير وصولها الى تلك السهول أن تزرع أراضى كثيرة .

القسم الرابع : امتداد دلتا نهر النيل فى منطقة غرب سيناء، وهو ما يطلق عليها (سهل الطينة) بين بحيرة البردويل وقناة السويس . وفى هذا القسم تتوافر رواسب التربة ، ولكن المياه الجوفية محدودة . ومع ذلك فان ما يتساقط فوق هذا القسم من أمطار ، وما يمكن التوصل اليه من ماء النيل يسمح بالتوسع الزراعى الى أقصى مدى .. ويجعل هذا القسم يساهم مساهمة فعالة فى استراتيجية الامن الغذائى .

القسم الخامس : اقليم الكثبان الرملية المعقدة جنوبى بحيرة البردويل ، والذى يمتد الى مرتفعات سيناء فى منطقة المغارة . وفى هذا الاقليم تنتشر الكثبان الرملية ، مما يجعل الحركة فيه على درجة عالية من الصعوبة . ولكن ما تختزنه تلك الكثبان الرملية من موارد مائية ، يسمح باقامة عدة (حطيات) متناثرة . واذا أمكن توصيل مياه النيل الى بعض أجزاء هذا الاقليم ، فانه سوف يكون بالامكان التوسع فى بعض الزراعات على حواف الكثبان الرملية المتاخمة لبحيرة البردويل ، مثل نباتات المراعى ، ونبات عباد الشمس ، والخروع .

القسم السادس : وهو الاقليم المنخفض المتـــاخم لخليج العقبة ، وهذا الاقليم تقطعه مجموعة من الوديان ، شديدة الانحدار، والتى تنساب مباشرة الى خليج العقبة• ومياه تلك الوديان تتسرب ، لكى تخزنها الصخور المنتشرة ، مما يسمح باقامة عدد من(الحطيات) التى تصبح لها أهمية زراعية وسياحية فى نفس الوقت •

● ● ●

وفي بحث للمجالس التعدينية المتخصصة ، حول تنمية سيناء •• وهو بحث مبنى على عدة مصادر متجمعة منها :

١ ـ تقارير معهد الصحراء حول دراسة الموارد الطبيعيـــة الزراعية •

٢ ـ بحث للمهندس محمد السـيد أيوب ، نقيب الزراعيين الاسبق ، حول زراعة سيناء •

٣ ـ مقترحات الثروة الحيوانية فى شبه جزيرة ســـيناء للدكتور محمد هلال قاسم •

٤ ـ الثروة السمكية فى شبه الجزيرة •• للدكتور احمـد الرفاعى بيومى •

٥ ـ الموارد الطبيعية والزراعيـة فى سيناء ، للدكتور محمد سعيد الرافعى •

٦ ـ ابحاث مؤتمر تعمير سيناء (مايو ١٩٧٥) •

٧ ـ تقرير وزارة الرى لمشروعات استصلاح وتعمير الاراضى فى سيناء ، وفى غرب وشرق قناة السويس •

٨ ـ بالاضافة الى آراء بعض المهتمين بالـــرى والزراعة فى سيناء ، وبعض التقاير الفنية القديمة ، التى أمكن الحصول عليها من وزارة الاشغال ، والخاصة بسيناء •

يقول البحث ، أنه يمكن بصفة عامة ، تقسيم سيناء زراعيا الى منطقتين رئيسيتين ٠

الاولى ، منطقة الساحل الشمالى ، وحوض وادى العريش :

وهذه المنطقة تعتمد فى ريها على الامطار والسيول ، وفيهـا مخزون لا بأس به من المياه الجوفية، ذات النوعيات المختلفة التى يمكن تنميتها واستغلالها بأساليب الزراعة والرى الحديثة ، والمحافظة على مياه الامطار باقامة السدود السطحية والغاطسة ، وغيرها من الوسائل لمنع إنجراف التربة ومياه السـيول سطحيا ، أو تسربها باطنيا الى مياه البحر ٠ ومن المنتظر أن تلعب التنمية الرأسية فى هذه المنطقة دورا أكبر ٠ كما يساعد الرى التكميلى للمحاصيل ، على توسع أفقى لمحاصيل معينة يجرى اختبارها بما يتناسب وكميـــة ونوع المياه الجوفية السطحية والعميقة ٠ هذا بالاضافة الى مساحات كبيرة على الشريط الساحلى ، يمكن بها تنمية بعض أنواع الزراعات الموسمية فيها ، اعتمادا على مياه الامطار فقط ٠

ثانيا – منطقة شرق القناة وخليج العقبة :

وهذه المنطقة تبدأ من سهل الطينة فى الشمال الى جنوب عيون موسى ٠ وتشمل مساحات شاسعة من الاراضى الصالحة للزراعة٠ وتبشر التقارير الميدانية بصلاحيتها بعد اجراء المعاملات الزراعيـة المناسبة ٠ ويعتمد التوسع الزراعى الافقى فيها على مورد مائى ، ينقل اليها من الدلتا ، وذلك قياسا على ما سبق البدء به فى مشروع شرق البحيرات المرة ٠ أما المناطق الاخرى فى سيناء ، فان امكانيات التنمية الزراعية فيها منخفضة نسبيا ، من حيث الكم والنوع ، وان كانت تستحق الدراسة ، لتبيان مدى احتمالات اقامة زراعات محدودة ، لتوفير بعض المواد الغذائية والحيوانية ، وصيد الاسماك من الشواطىء المجاورة لتغذية مراكز التجمع الصناعى والتعدينى والسياحى ٠

ولكن يبقى السؤال : ماذا عن امكانات ونوعيات التنميـــة الزراعية فى هاتين المنطقتين الرئيسيتين ؟!

يقول البحث :

اولا ـ الانتاج النباتي :

تتناثر منذ القدم مناطق زراعية محدودة يزرعهـــا الاهالى بامكاناتهم القليلة ، وتجاور هذه المناطق عيون المياه والابار ، التى يمكن حفرها ، ومناطق هطول الامطار • وقد أضيف اليها ما قامت به وزارة الرى من سدود ، ونشاط هيئة تعمير الصحارى من آبار ، واستصلاحات فى مناطق وادى العريش وغيرها • هذا بخلاف ماتم من تغيرات ، ومنها ما سبق عام ١٩٦٧ ••وقد شمل نشاطا زراعيا توسعيا •

وقد نجح بعض الاهالى ، واكتسبوا كثيرا من الخبرات ،رغم وسائلهم البدائية فى زراعة الكثير من المحاصيل الزراعيـــة ذات الاهمية الاقتصادية ، وعلى الاخص الخروع ، حيث كانت منطقـــة الشيخ زويد مركزا هاما لتجارته واعداده للتصدير ، كما اشتهرت هذه المنطقة بزراعة النخيل ، والرمان ، واللوز ، والتين ،والزيتون، والكروم ، والعنب • وقد توطنت هذه الاصناف بعد أن استوردت من وادى النيل ، وشبه الجزيرة العربية ، وبلاد الشام •• هـذا بالاضافة الى بعض المحاصيل الاخرى كالشـــعير ، وبعض أنواع الذرة الرفيعة ، والنباتات الصــــحراوية والطبية ذات القيمـة الاقتصادية • كما انتشرت زراعة بعض الخضروات •

وفى منطقة رفح ، انتشرت محاصيل حقلية كثيرة ، وفواكه اهمها (الحمضيات) ، وأصناف متعددة من اللوزيات ،والتفاحيات، والعنب وغيرها وبعض الاشجار الخشبية ومصدات الرياح •وجميع محاصيل هذه المنطقة ذات انتاج اقتصادى ، رغم ارتفاع الملوحةفى مياه الآبار ، وذلك نتيجة لارتفاع هطول الامطار •• مما يؤدى الى

غسيل التربة موسميا . ولو أن كل هـذه المزروعات فى منـاطق محدودة وبمساحات قليلة نسبيا ، وتتمشى مع الامكانات المادية المتاحة للاهالى .

ومن هذا يتضح أن هناك امكانات لتنوع الانتاج النباتى فى مناطق سيناء المختلفة ، تتمشى كل منها مع ظروف البيئـــة من النباتات شبه الصحراوية ، مثل الخروع الى أشـــجار الفاكهة والنخيل ، وغير ذلك من المحاصيل الموسمية والاعشاب الرعوية .

ثانيا – الثروة الحيوانية :

ان تعمير سيناء ، يحتاج بالتبعية الى تزويد المقيمين بهـــا والنازحين اليها والعاملين بمصانعها ومناجمها الحالية والمستقبلة ، بما يحتاجون اليه من مواد غذائية حيوانية من اللحـــوم الحمراء والالبان والدواجن والبيض ، بالاضافة الى الخضر والفاكهة .وتأخذ الاولوية فى هذا المجال الالبان والبيض ، لانهما من المواد الغذائية القابلة للتلف ، والتى يستحسن انتاجها محليـــا . ولذلك فمن المقترح أن تنشأ فى سيناء فى المناطق الملائمة بعض مزارع أبقار الالبان ، عالية الادرار من اللبن ، وخاصة سلالة الفريزيان التى ثبت نجاح تربيتها فى المزارع الصحراوية لاسرائيل .. كما جاء بتقارير منظمة الاغذية والزراعة الدولية .

(أ) أما بالنسبة للدواجن ، فمن الممكن انشاء وحدات منتجة اقتصاديا لتزويد السكان ، والتوسع التعميرى المزمع فى المنـاطق المختلفة من سيناء نظرا لتميزها بمناخ صحى ، وانعزال تام عن العدوى ، مما قد يعطى ميزة نسبية لانتاج الدواجن فى مناطقها المختلفة ، حتى ولو نقلت اليها الاعلاف اللازمة .

(ب) تجهيز وتسويق اللحوم الافريقية ، ويمكن دراســـة مشروع مع الهيئات الدولية المختصة لاعتبار شبه الجزيرة منطقة معزولة وخالية من الامراض الوبائية ، التى تنتشر فى بعض البلاد

الافريقية القريبة منها ، وذلك لتنفيذ مشروع لاستقبال الابقار المستوردة من هذه البلاد ، بهدف تجهيزها هناك لتصدير الاجزاء الممتازة منها لاوربا ، أو غيرها ٠٠ والتى ترتفع فيها أسعار اللحوم البقرية بدرجة فاحشة ، فى الوقت الذى لا يسمح فيه باستيراد هذه اللحوم من افريقيا ، خوفا من انتشار الامراض الوبائية بين حيواناتها ٠

ومن مزايا هذا المشروع أنه يمكن تجهيز الاجزاء العادية من الحيوانات لاستهلاكها محليا ، أو توزيعها فى مصر بأسعار معتدلة، هذا بالاضافة الى انشاء صناعات ثانوية مكملة للاستفادة من مخلفات هذه الحيوانات ، كالجلود وغيرها ٠٠ وكذلك الاسمدة العضوية لتخصيب المناطق الزراعية ، التى يتم فيها التوسع الزراعى فى شبه الجزيرة ٠

ثالثا ـ الثروة السمكية :

تضم شبه جزيرة سيناء فى داخلها وشواطئها ، مصادر هامة للثروة السمكية ، ممثلة فى بحيرة البردويل ، وخليج الطينة ، وقناة السويس ، وخليج السويس ٠ ولعل أهم هذه المصادر من ناحية الاولوية فى تنمية الثروة السمكية هى بحيرة البردويل ، التى كانت تعتبر منذ زمن بعيد ، منتجا هاما للاسماك البحرية ، وعلى الاخص أنواع البورى ، والطوبار ، والجران بالاضافة الى بعض الاسماك الاخرى كالدنيس ، والوقار ، والقاروس ٠٠ والتى كانت مصدرا هاما لمناطق مصر المختلفة ٠

وحسب الدراسات المبدئية التى قام بها معهد علوم البحار، فان الانتاج السمكى لبحيرة البردويل قبل عام ١٩٦٧ لم يكن يقل عن خمسة آلاف طن من البورى ٠ ومن المنتظر التخطيط لاستخدام شواطىء البحيرة فى الاستزراع السمكى ، وكذلك توصيل مياه الصرف للمناطق المزمع التوسع فيها ، والمتاخمة للبحيرات ٠ فان

معدل انتاج الفدان من هذه البحيرات ، سوف يزداد حتى يصل الى ما يزيد عن الطن الواحد ، حيث تتوفر البيئة المناسبة لنمو هذه الانواع من الاسماك البحرية فى هذه البحيرة بخلاف بحيرات الدلتا . ولما كان اجمالى المساحة المقدرة لهذه البحيرات حوالى ١٦٠ الف فدان ، فان برنامج تنمية مثل هذه البحيرة ، سيوفر كميات كبيرة من الاسماك الممتازة البحرية ، التى يشتد عليها الطلب ، ويمكن أن تساهم الى درجة كبيرة فى سد النقص البروتينى .. لا فى سيناء فقط ، بل فى مصر كلها . هذا فضلا عن احتمالات ادخال أنواع أخرى من الاسماك والقشريات (كالجمبرى) للاستهلاك المحلى والتصدير .

● ● ●

ونأتى الى الامكانيات البترولية ..

قصة البترول فى سيناء ، بدأت مع بدايات هذا القرن عام ١٩١٠ حيث ظهر البترول لاول مرة فى حقل (أبو دربة) سنة ١٩٢١ الا أن الحقل كان فقيرا ، فتوقف الانتاج وهجر عام ١٩٤٥ ، حيث بلغت جملة انتاجه ١٢ الف طن .

والواقع أن البحث عن البترول على نطاق واسع ، لم يبدأ فى مصر عامة - وسيناء خاصة -. الا فى عام ١٩٣٥ . وهذه هى الفترة التى ظهر فيها البترول أيضا ، وبدأ استخراجه داخل شبه الجزيرة العربية ، ومنطقة الخليج العربى على وجه التقريب .

ولقد بدأ البحث عن البترول فى سيناء ، فى منطقة وسط وشمال الجزيرة . وحتى عام ١٩٤٨ قامت شركة (ستاندرد أويل)، وهى فرع للشركة الكبرى بهذا الاسم بنيوجرسى فى أمريكا ، بعمليات مسح شاملة لمناطق سيناء . وبالرغم من عثورها على الزيت ، فقد انسحبت الشركة وتخلت عن تراخيص البحث الستة عشر الممنوحة لها .

ثم تكونت الشركة الاهلية المصرية للبترول فى عام ١٩٥٢ ، وتولت القيام بأعمال التنقيب • ثم حلت محلها الشركة الشرقيــة للبترول • وفى عام ١٩٥٥ اكتشف حقل (بلاعيم برى) • وفى سنة ١٩٥٧ اكتشفت حقل (أبو رديس) • وعندئذ قفز انتــاج البترول فى سيناء ليتفوق على انتاج الصحراء الشرقية ، على الناحية الاخرى من خليج السويس •

ثم توالت الاكتشافات فى سدر ، حتى أنه فى نهاية عــام ١٩٦١ قدر الاحتياطى فى هذه الحقول بحوالى ٤٢ مليون متــر مكعب ، بالاضافة الى أربعة ملايين فى حقل أبو رديس •

وفى ٢٠ أبريل ١٩٦١ تدفق الزيت من (بئر بلاعيم البحرى) بمعدل ١٦٠ برميلا فى الساعة • والزيت المتدفق بلغت كثافته حوالى ٣١ درجة • ومعنى ذلك أن كمية المشتقات من هذا الزيت كانت أعلى من (بلاعيم برى) • بل اعتبر هذا الزيت من أجــود الانواع فى مصر •

وفى عام ١٩٦٧ قفز انتاج سيناء البترولى ليصبح ٨٠٪ من اجمالى انتاج مصر • وأهم حقول البترول فى سيناء هى : بلاعيم برى ، وبلاعيم بحرى تحت مياه خليج السويس • وأبو رديس ، وسدر ، وعسل ، ومطارمة ، وفيران •• وكلها توجد فى القطاع الغربى من جنوب سيناء بمحاذاة خليج السويس •

ثم كان عدوان يونيو ١٩٦٧ ، واحتلال اسرائيل لمنــــاطق البترول فى سيناء ، واستنزافها لمواوده • فقد استخدمت اسرائيل هذه الحقول منذ العدوان ، وحتى عودتها الى مصر ، بحيث ضخت منها البترول بأقصى طاقة ممكنة •• لدرجة أن أرباحها من بترول مصر بلغت عام ١٩٧١ وحده ١١٠ ملايين جنيه استرلينى •

وقد عاد تعامل مصر مع حقولها منذ اتفاقية الفصل الثانيــة عام ١٩٧٥ ، وبدأت تعمل جادة فى تنمية هــذه الحقول ، وزيادة

انتاجها ، بالاضافة الى تكثيف العمليات للبحث عن حقول جديدة ، واصلاح ما أفسدته فترة الاحتلال الاسرائيلى . كما أن مصر بدأت التعاقد مع الشركات البترولية العالمية ، وتعطى امتيازات للتنقيب . ومن هذه الشركات :

١ ـ الشركة الدولية للزيت المصرى ، وهى فــرع للشركة الايطالية (أينى) .. وتنقب فى مساحة ٢٤٠٠ كيلو متر .

٢ ـ شركة جلف أويل الامريكية ، وتنقب فى مساحة ٢٤٠٠ كيلو متر .

٣ ـ شركة كونوكو الامريكية ، وتنقب فى مساحة ٣٦٠٠ كيلو متر .

٤ ـ شركة موبيل أويل الامريكية ، وتنقب فى مســــاحة ألف كيلو متر .

والحقيقة أن الدراسات تشير الى احتمال وجود الزيت والغاز فى منطقتى المثلث الجنوبى ، ومنطقة شمال سيناء . وهذا الاحتمال صار شبه مؤكد ، خاصة وقد عرف أنه أثناء الاحتــلال اكتشفت اسرائيل بئر غاز بالقرب من رفح . كما أن مصادر أمريكية قــد أذاعت فى ديسمبر ١٩٧٧ أن حقلا بحريا قد حفرته شركة أمريكية متعاقدة مع قوات الاحتلال . وان هذا الحقل يبعد ٨ كيلو مترات جنوب شرق الطور . وهذا البئر أنتج بمعــــدل ٢٥٠٠ برميل يوميا وهو حقل بترول علما .. التى جلت عنها اسرائيل خلال عام ١٩٧٩ ، وتسلمته مصر .

وقد قيل بعد ذلك أن الشركة الامريكية بدأت الانتاج منه فى مارس ١٩٧٨ بمعدل ٣٠ ألف برميل يوميا . وهذا الحقل يضــم ١١ بئرا احداها غير منتجة . والتقديرات ترى أن هذا الحقل فى امكانه أن يدر ٤٠ ألف برميل يوميا .

أما فى شمال سيناء فقد اذاعت مصادر اسرائيلية وأمريكية

نبأ اكتشاف الغاز الطبيعى فى القطاع الشمالى من سيناء ، وأن اسرائيل حفرت بئرا لاستغلال فى المنطقة الواقعة على بعد ٤٥ ميلا جنوب غربى مستعمرة ياميت القريبة من رفح ٠

ولا شك أن عودة سيناء الى الوطن سيتيح الفرصة للعمل على تنمية الثروة البترولية والغازية الموجودة فى منطقة المثلث الجنوبى، ومنطقة شمال سيناء والتوسع فيها ، لدراسة احتمالات وجود البترول والغاز الطبيعى فى باقى قطاعات شبه الجزيرة ، وأفضل السبل للبحث عنها واستغلالها ٠

● ● ●

ونختتم هذا الفصل بالحديث عن كنوز السياحة فى سيناء . من خلال تقارير المجالس المتخصصة ، ومن خلال مصادر متعددة تناولناها ٠

ويمكن تقسيم سيناء الى منطقتين سياحيتين :

اولهما ـ المنطقة الجنوبية ، وتشمل الآتى :

(ا) منطقة المغارة ، فى وادى سدر شرق خليج السويس ، حيث تعتبر النقوش الفرعونية بها أقدم وثائق للسياحة الثقافية فى شبه الجزيرة ٠ وهى تبلغ ٤٥ نقشا ، منها ٢٢ تنتمى الى الدولة القديمة الفرعونية ، و٢٠ نقشا تنتمى الى الدولة الوسطى ٠ واثنان يعودان الى الاسرة الثامنة عشرة من الدولة الحديثة ٠ وجدير بالذكر أن لهذه النقوش الكثير من النماذج فى المتحف البريطانى ٠ وقد تهشم نصف هذه النقوش على يد شركة انجليزية كانت تحاول استخراج الفيروز فى أوائل القرن العشرين ، أما النصف الآخر ، فقد نقل الى المتحف المصرى منذ بداية القرن ٠

وبالاضافة الى النقوش الفرعونية ، توجد الآلاف من النقوش النبطية ، واليونانية ، والعبرية ، والعربية ٠٠ فى (وادى مكتب)

٠٠ وهذه ترجع الى عصور مختلفة ٠٠ وللنقوش النبطية أهمية خاصة، حيث تؤكد تلاحم مصر العربية ، اذ أن الانباط عرب ، هاجروا من وسط شبه الجزيرة العربية حوالى ٥٠٠ ق٠م٠ واستوطنوا المنطقة التى تفصل بين الشام والجزيرة العربية ، وتمتد من الفرات الى البحر الاحمر ٠ وقد عاشت دولة النبط حتى عام ١٠٦ ميلادية ٠

(ب) منطقة سرابيت الخادم : وهذه المنطقة تزخر بالنقوش والآثار والمعابد ، التى تعود الى الأسرة الثانية عشرة الفرعونيـة وما تلاها من اسرات ٠ ويبلغ عدد هذه النقوش حوالى ٣٨٧ نقشا تنتمى للدولتين الوسطى والحديثة ٠

وهناك معبد شيده الفرعون سنوسرت الاول ، أضيف اليه هيكل للاله (سيد) فى عهد امنمحات الرابع ، وقد نحت هـــذا الهيكل فى الصخر ٠ بالاضافة الى هيكل للالهة (حتحور) ٠ كما أقيم هيكل للفراعنة منفصلا عن المعبد ٠

ثم توجد أيضا النقوش السينائية ، التى تعتبر الاصل لكل الابجديات ٠ وقد كتبها العمال الذين كانوا يشتغلون فى المنطقة ، عن طريق اختزال المقاطع الهيروغليفية ، والاكتفاء بالحروف الاولى من أسماء الصور التى تعبر عن المعنى ٠ ومن مجموع تلك الحروف، تكونت الابجدية السينائية من اثنين وعشرين حرفا،ثم انتقلت هذه الابجدية الى الشرق ، ومنها نشأت الكتابات الفينيقية ، التى هى أصل السينائية ، كما يقول ابراهيم أمين غالى ،وهى أصل الكتابة الآرامية ، التى أخذتها عنها الكتابة النبطية ، والتى هى أصـــل الخط العربى ٠

(جـ) وفى المنطقة الجنوبية يوجد جبل موسى،وجبل سربال ٠٠ حيث يشتركان فى القداسه ، لان نبى الله موسى الكليم قـد تلقى كلمات الله جل جلاله فى تلك المنطقة ٠٠ ويرجح أن جبـــل سربال هو المقصود (بالجبل) فى القرآن الكريم ٠

(د) دير سانت كاترين ، ويقع في سفح جبل موسى ، وسنتعرض للحديث عن الدير في فصل قادم ٠

(هـ) عيون موسى ، وحمامات فرعون ٠٠ ويقولون ان عيون موسى لها ذكريات تاريخية دينية ٠ كما تمتاز حمامات فرعون في وادي غرندل بمياهها الكبريتية ٠

وقد سجل علماء الحملة الفرنسية بيانات هامة عن تلك المنطقة ٠ وقيل ان الجنرال بونابرت اكتشف بمنطقة العيون ترعة كانت مغمورة ٠ وأن مياه العيون كانت تنقل حتى شاطىء خليج السويس ٠ كما لاحظ أن المنطقة بين العيون وساحل البحر كانت مزروعة ومخضرة ٠

(و) طريق المحمل القديم ، وهو الطريق البرى الذى كان يسير فيه الحجاج أيضاً ٠٠ ويمتد من عجرود – غربى السويس – الى النواطير ، الى بئر القريص ، الى نقب دبة البغلة ٠ ثم نخل ٠ فوادى القريص ، فالعقبة ٠٠ ومن هناك الى أرض الحجاز ٠ وهذا الطريق يضم طائفة من الآثار المملوكية ، منها أثر للسلطان الغورى فى نقب دبة البغلة ٠ كما أنه فى نخل مجموعة من الآثار، أهمها القلعة التى بناها السلطان الغورى فى عام ١٢١٦ ٠ كما بنى هذا السلطان قلعة أخرى فى العقبة ، تشير نقوشها الى أن السلطان العثمانى مراد الثالث قد قام بترميمها عام ١٥٩٥ ميلادية ٠

وجدير بالذكر أن بداية استخدام هذا الطريق للحج عام ١٢٤٨ ميلادية حين سافرت فيه الملكة شجرة الدر ٠٠ وفى عام ١٢٦٦ بدأ سير المحمل فى هذا الطريق على عهد السلطان الظاهر بيبرس ٠

(ز) طريق الخروج ، وهو الطريق الذى سلكه النبى موسى عليه السلام ، حتى وصل الى الجبل المقدس٠٠ وسنتحدث عنه فى حينه ٠

ثانيهما – المنطقة السياحية الشمالية ، وتشمل الآتى :

١ – الطريق الحربى العظيم .. كما يسـميه العالم الاثرى د. أحمد فخرى . وهو الطريق الذى يبدأ عند القنطرة ، وينتهى عند مدينة رفح . وهو أعرق الطرق التاريخية فى العالم ، ويسمى أيضا (طريق حورس) . وقد شهد من أحداث التاريخ ومعاركه، ما لم يشهده أى طريق آخر .

وهذا الطريق كما يقـول د. محمود كـامل فى بحث له بالاهرام فى أبريل ١٩٧٩ ،قد شهد معارك وأحداث تاريخية غيرت من معالم تاريخ سيناء . فهو الطريق الذى سلكه تحوتمس الثالث فى الفترة من ١٤٧٩ ق.م. وقد سجلت حملة تحوتمس يوما بيوم على جدران معبد آمون فى الكرنك .والنقوش تقول ان الحملة بدأت من قلعة (سيلا) ، ومكانها الآن تل (أبو صيفة) على مبعـدة حوالى ٣ كيلو مترات شرقى القنطرة . ثم يتجه الطريق شمالا الى المجدول (تل الحير حاليا) ، وهى جنوب الفرما مباشرة . ثم يمر برمانة ، ثم الى الحصن الذى كان منسوبا الى سيتى ، ثم نسب الى رمسيس الثانى . والحصن مكانها (قطية) . وقد أطلق عليهـا مؤرخو اليونان (معسكر الاسكندر) .. لان هذا القائد اليونانى عسكر فيها بعد تحركه من غزة الى مصر بسـبعة أيام . وسبب توقفه فيها أنها كانت بها آبار غزيرة المياه .

ومن (قطية) يتجه الطريق الى بير العبد ، جنوب بحـيرة البردويل ، ثم الى (بير مزار) جنوب الفلوسيات التى تقع عـلى البحر المتوسط عند أقصى الطرف الشرقى لبحيرة البردويل .وفى هذه المنطقة يلتقى الطريق الحربى العظيم بالطـريق الذى يدور حول شمال البردويل .

ومن بير مزار يتجه الطريق الى العريش ، فالشيخ زويد ،ثم رفح . وهذا الطريق اجتازه قمبيز ملك الفرس فى غزوه لمصر عام

٥٢٨ ق٠م٠ وعلى مشارف هذا الطريق عند الفرما (بيلوزيوم)٠٠ وعلى معبدة بضعة كيلو مترات ، شرقى بور سعيد ، التقت جيوش كليوباترا مع الجيش الرومانى عام ٤٨ ق٠م٠ وعسكر الجيشان حتى جاء القائد الرومانى بومبى ، وقيل انه قتل ودفن هناك ٠ وقيل أيضا أن بطلميوس الفلكى والجغرافى اليونانى ولد هناك عند الفرما ٠

وعبر هذا الطريق قيل ان العائلة المقدسة سارت فيه الى مصر من رفح الى الفرما ، وقد توقفت فى العريش ، وسلكت طريق شمال البردويل ٠ ثم توقفت مرة أخرى عند كثيب القلس ، التى تقوم مقام بلدة (كاسيوس) الرومانية ؛ ثم سارت الى المحمدية ، فالفرما عبر الطريق التاريخى ٠

كما أن هذا هو الطريق نفسه الذى سلكته جيوش العرب المسلمين بقيادة عمرو بن العاص عند فتحه لمصر ٠ فقد تسلمت الجيوش العربية مدينة الفرما فى ٢ يناير ٦٤٠ م٠ بعد حصار دام شهرا ٠ وهو أيضا الطريق الذى سلكته غزوة العبادلة لفتح شمال أفريقيا عام ٦٤٤ م٠ فى ولاية عثمان بن عفان ٠ وكانت الغزوة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وتضم عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ٠٠ والحسن والحسين سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وفى الغزو الصليبى لمصر هاجمها الصليبيون عبر هذا الطريق٠ كما أن هذا الطريق سلكه العثمانيون ، وسارت فيه جيوش الجنرال بونابرت ٠

ولما ارادت مصر تحقيق وحدة المشرق العربى ، اتخذت الجيوش المصرية (١٨٣١ ـ ١٨٣٣) نفس الطريق ٠

وهذا الطريق العظيم ، وصفه كثيرون ٠ وابن بطوطة الذى

عبر الطريق فى القرن الرابع عشر الميلادى ، متجها من مصر الى فلسطين ، يقول بعد وصوله الى العريش :

(والعريش والخروبة ، بكل منزل فيها فندق ينزله المسافرون بدوابهم ، وبخارج كل خان ساقية للسبيل ، وحانوت يشترى منه المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته • ومن منازلها قطية المشهورة •• وبها تؤخذ الزكاة من التجار وتفتش أمتعتهم ،ويبحث فيما لديهم أشد البحث • وفيها الدواوين والعمال والكتاب والشهود • ومجباها فى كل يوم ألف دينار من الذهب ، ولا يجوز عليها أحد من الشام الا ببراءة من مصر ، ولا من مصر الا ببراءة من الشام ، إحتياطا على أموال الناس ••)

٢ – آثار ما قبل العصر الحجرى القديم فى (أبو عويجلة) وفى (بير الحسنة) •• بالاضافة الى آثار من العصر الحجرى المتوسط والاعلى فى صحراء التيه وسط سيناء •

٣ – ميادين المعارك التى جرت ، وهى كثيرة ، وبصفة خاصة ميادين معارك حرب أكتوبر العظيمة •

وفى بحوث المجالس المتخصصة حول السياحة فى سيناء أيضا ، فانه يمكن فى المنطقة الجنوبية اقامة مشروعات للسياحة الدينية والثقافية ، والتى تتمثل فى مسار (الخروج) • وطريق الحج أو درب الحج •• ثم مناطق الجبال والينابيع المقدسة •• بالاضافة الى دير سانت كاترين •

أما السياحة العلاجية الاستشفائية ، فتتمثل فى مناطق كثيرة من سيناء ، مثل منطقة حمامات فرعون ، حيث المياه الكبريتية التى تفوق مياه عين حلوان الكبريتية •

وبالنسبة للسياحة الترفيهية ، فمجالها كثير ، وخاصة على شواطىء خليج السويس ، ومنطقة شرم الشيخ ٠٠ وهذه المنطقة الاخيرة استغلتها اسرائيل وأقامت فيها فندقا عالميا لذوى الدخول الكبيرة ، وأقامت بها مشتى ومصيف • ولهواة الصيد الكثير من المناطق لمزاولة هذه الهواية ٠٠ وخاصة فى بحيرة البردويل ، وشواطىء خليج السويس ، وخليج العقبة ٠٠ حيث الشعب المرجانية •

الفصل الثانى عشر

قدس اقداس مصر

وارض الانبيـــاء

اذا كانت سيناء سفر وضيء في تاريخ مصر السـياسى والعسـكرى .. فهى بلا شـك أرض الذكريات الروحية .. تشرفت رمالها وسبخاتها وتلالها وجبالها بذكريات عزيزة على كل مسلم ومسيحى ويهودى . بل هى ايضا وقبل ديانات التوحيد قد كانت حلبة هامة للمعتقدات التى أرهصت بالتوحيد.. أو لتلك المعتقدات الوثنية التى شاهدها العصر القديم .

وقبل أن نتحدث عن ديانات التوحيـد ، وأنبيائها الذين شرفوا سيناء ، نتحدث عن تلك الارهاصـات والعقائد التى كانت فيها .

والواقع ان ارض سيناء ، كما وصـل الينا فى التاريخ القديم المكتوب ، قد كانت علاقتها بوادى النيـل ، بما يمكن أن نسميه تجارة المعتقدات ، ان صـح التعبير ، وتوحد أو امتزج المعتقدات ايضا .

فبالقرب من « ابو زنيمة » .. توجد آثار تعود الى حوالى سـتة آلاف عام ، منها الآثار المعروفة بآثار وادى المغـارة ، ثم هيكل سرابيت الخـادم .. وفى جنب وادى « اقنة » الايمن فى منطقة وادى المغارة أيضا ما يدل على أن المصريين القـدماء ذهبوا اليها ، وقاموا بالتعدين فيها ، لاستخراج الفيروز ، منـذ بداية الدولة القديمة فى مصر ، وحتى الاسرة العشرين فى الدولة الحديثة الفرعونية . ففى هذا الوادى ترك الفراعنة « نصبا » وصخرات عليها نقوش هيروغليفية ـ دينية .

والفيروز بالنسـبة للمصريين القدماء ، بدأ كمعدن مرتبط بعقائد الفراعنة ، وخاصة بالنسبة للحياة الأخـرى ، التى كان المصريون يعملون لها ألف حساب وحساب .. حيث اعتقـادهم

بالبعث بعد الممات ،وحيثمحكمة العالم السفلى التى يرأسها الآله اوزيريس ٠٠الذى يزنحسنات الميتوسيئاته، ويحكم بالعدل، الذى افتقد فى الحياة الدنيا ٠٠ وكان الفيروز تصنع منه«التوائم» التى تدخل فى الاثاث الجنسائزى للميت ، فكانوا يصنعون منها تماثيل « الاوشـــابتى » ٠٠ كمـــا كانوا يدخلون الفيروز فى الكثير من المجوهرات التى تدفن مع الميت .. على أساس أن هذا المعــدن يطرد الارواح الشريرة ، ويقى الميت الكثير ٠ ومن يتفحص تابوت توت عنخ آمون وقناعه الذهبى الشهير ، مثلا .. يجد الكثير من قطع الفيروز التى تزينه ..بل ان الفيروز ظل بعد ذلك فى عصر التوحيد معدن له دلالاته وتأثيراته .. حتى أيامنا هذه ، خاصة فى المجتمعات البدوية والقروية ٠ ومن يقرأ كتاب : « مجوهرات البدو فى المملكة العربية السعودية » الذى ألفته الباحثة الانجليزية هـ٠كولير روس يجد فيه الكثير من استخدامات البدو للفيروز ٠ والكتاب مطبوع فى لندن عام ١٩٧٨ ٠

وكما هو ثابت تاريخيا فان الفيروز وتجارته واســتخراجه يعود الى « المونيتـــو » ٠٠ أو الى « أســـــياد الرمال » ٠٠ أو « الهيرشايتو » .. وهى اسماء لاهل سيناء القديمة ، او عند « العمالقة » كما سمتهم التوراة ٠٠ أو « الاعراب بنو اسماعيل » .. كما عرفوا منذ القرن السادس الميلادى ٠

والواقـــع أن « الهيروشايتو » ، وهم ســـكان بلاد الطور الاصليون منذ فجر التاريخ ، قد اكتشفوا هذا المعدن الازرق ، وكانوا يبيعون الفيروز للفراعنـة ٠ وحين تأكد للفراعنة أن الفيروز مادة لاغنى عنها وترتبط بالمعتقد حرك ذلك فيهم الاســـــتيلاء أو السيطرة على مصادره .. فكان هذا هو سبب تلك الحملات الفرعونية الى سيناء ، لكى يطمئنوا الى مصـــــدر هذا المعـــــدن المبارك ، حيث بدأوا بالســـيطرة على وادى المغـــارة أولا ، ثم سيطروا ، ثانيا ، على منطقة سرابيت الخادم ٠

وقد دون الفراعنة نشاطهم فى سيناء على عدة صخرات ، منهم « سمرخت » ٥٢٩١ – ٥٢٧٣ قبل الميلاد • وسمرخت هو سابع ملوك الاسرة الاولى الفرعونية • وعلى هذه احدى الصخرات يبدو الفرعون وعلى رأسه تاجمصر السفلى• ثم رسم آخر له بدون التاج ، ورسم ثالث على هيئة مصر العليا بلا تاج وقد قبض بيسراه على ناصية أحد الساميين ، وبيمناه عصا يؤدبه بها .. اشارة الى اخضاع تلك المنطقة •

والواقع أن صخرة سمرخت تعتبر من اقدم آثار الفراعنة فى سيناء ، بل هى – كما يقال – اقدم اثر فى العالم كله .. وقد تركت باقية – حتى عدوان ١٩٦٧ – فى مكان حصين يعلو ٤٠٠ قدم عن سطح الوادى ، بعيدا عن طريق المارة .

وهناك لوحة للفرعون سفرو ، وهو يمسك بهراوة يضرب بها سامى ، وهذه اللوحة محفوظة فى المتحف البريطانى فىلندن ، ومكتوب عليها : « سفرو الاله العظيم ، فاتح البلدان وواهب القوة والثبات والصحة والحياة وراحة البال الى الابد » .

ونأتى الى هيكل سرابيت الخادم .. الذى قال عنه السير فلندرز بترى ، انه هيكل مهم جدا ، ليس للنقوش الهيروغليفية عليه وحسب ، وانما لسببين جوهريين هما :

الأول : ان المصريين القدماء فى هذا الهيكل مارسوا الطقوس المصرية .. لا السامية .

الثانى : ان العمال الساميين الذين استخدمهم المصريون فى التعدين فى سرابيت الخادم ، كانت لهم كتابة خاصة ، لا تزال الى الآن سرا يحتاج الى ازالة النقاب عنه •

أيضا فى سرابيت الخادم يوجد كهف للاله هاتور ، يعود بناؤه الىعصر الفرعونسنفرو ٤٧٥١قبلالميلاد ، وسنفرو كما أسلفنا هو من الاسرة الثالثة الفرعونية ، وهو أول فراعنة مصر الذين أرسلوا الحملات للتعدين فى سرابيت الخادم .

كما يوجد كهف آخر لآله اسمه « سويدو » .. اله الشرق ، وكان من أشهر الآله .. وهـذا الكهف يعـود الى عصر الملـــكة حتشبسوت ١٥٠٣ قبل الميلاد . وكان من عادة الملوك بناء الهيكل ، حتى يبلغ طوله ٢٣٠ قدما ، وعرضـه من ١٥ الى ٤٥ قـدما ، وله سور من الحجارة ، طوله ٨٠ مترا وعرضـه ٣٥ مترا ، وسمـك الحائط ٢٦ سنتيمترا . وكل ملك كان يزيد فيه غـــرفة ، يقيم أمامها « نصبين » يدلان على مدخل الهيكل ، أو « الفرفة » .

ويرى اللواء الجوهرى ، أن تســمية « سرابيت الخادم » ، تأتى نسبة الى « السربوت » . والسربوت فى عرف أهل سيناء ، هو الصخرة الكبيرة القائمة بنفسها وجمعها « سرابيت الخادم » ، والخادم عندهم الجارية السوداء . ولعلهم نسبوا هذه السرابيت الى الخادم ، لان الصور التى فى الهيكل لاشـــخاص تشبه الخدم السود . أما غرف الهيكل ، فكان عمال التعدين ينامون فيهـا ، رجاء منهم الى سيدة الهيكل وسيدة الفيروز ان تهديهم فى أحلامهم الى الاماكن التى يكثر بها الفيروز لكى يقوموا باخراجه .

● ● ●

والحقيقة أنه منذ مشرق التاريخ ، وهنـــاك تبادل زيارات بين سيناء ووادى النيل ، حتى من قبل حمـلات الفيروز . فقـد كانت شبه الجزيرة تمر عليها عصور قفرة ، ولا تسقط عليهـا الامطار ، فتنضب الآبار .. مما يجعل « الشاسو » والهيروشايتو، يهاجرون الى الوادى .

وهناك نصوص قديمة تثبت أن مصر كانت تتعامل مع هؤلاء وتؤدبهم .

ففى لوحة من الاسرة الاولى الفرعونية تسجـل مجىء بعض البدو اللاجئين الى فرعون مصر يطلبون البقاء فى وادى النيـل ، فيأمر الفرعون ببقائهم . وهنـــاك نص أورده اليكسس ماأون فى كتابه « اليهود فى مصر » ، يقول : « ان عددا من سكان سينـــاء

جاءوا الى فرعون ، لانهم لا يستطيعون العيش فآواهم .. وفقـــا للتقاليد الموروثة من آباء الآباء » . وهذا يعنى الامتزاج بين سكان سيناء والوادى ، حتى من قبل الدولة القديمة الفرعونية .

بل ان التاريخ يذكر الكثير من غزوات البدو للدلتـــا .. وكانت تجذبهم اليها الخضرة والمياه ، فكانوا ينجحون فى الاستيلاء على الكثير ويعودون ومعهم غنائمهم الى الصحراء ثانية .

لكن العلاقة بين سيناء والوادى بصـــفة عامة ، ظلت علاقة امتزاج سلمى فى غالب أمره ، وخاصة منذ الاسرة الثانيـة عشرة الفرعونية .. حتى أن حملات الفيروز - أو الحملات الملكية كمـا كانت تسمى - لم تضم بين صفوفها عسكريين . وهـذا كمـا يرى ألان جاردنر ، وايريك بيت فى كتابهما « نقوش سينـــاء » دلالة دامغة على مقدار النفوذ الذى كانت تتمتع به مصر فى سينـــاء ، وعلى قدرتها على فرض سـيادتها على سيناء ، دون الالتجـاء الى استخدام القوة .

ويدل على ذلك أيضا أن العبادة كانت مشتركة ، وأن الآلهة كانت واحدة ..

ففى معبد سرابيت الخادم ، ترك العمال الســاميون الذين ساعدوا فى استخراج الفيروز - جنبا الى جنب مع المصريين - نقوشا تدل على أنه كانت لهم كتابة خاصة ، ربما كان يعرفها المصريون ، بل انه فى عهد الاسرة الحادية عشرة ، نجد صخـــرة فى وادى المغارة ، تصور أحد فراعنة هذه الاسرة ، واقفا أمام آلهى سيناء « توت » و « هاتور » ، مع عبارة تقول « فى تلك المغـارة وجد الفيروز اللامع » .

وجدير بالذكر أن « هاتور » - وهى عشتروت الفينيقيـة - لقبت بسيدة الفيروز ، وسيدة ارض الفيروز ، والسيـــدة ذات اللون الجميل ، كما لقبت سيناء بلقب هذه الآلهة .

كذلك فان الآله « صفدو » عبده المصريون القــدماء واهل سيناء ، ونحتوا لها كهفا فى الصخر ، بجانب « هاتور » .

ومن الآثار التى عثر عليها فى سرابيت الخـادم ، نبتت عادة حرق القرابين امام هاتور . بل أن عبادة صفدو ، امترجت بعبادة حورس ، فمثل على شكل صقر .. الا انه أحيانا كان يأخـذ شكلا بشريا بلحية كبيرة ، ويحمل ريشتين كبيرتين على جانبيــه ، فيبدو على هذا الشكل انه معبود سيناء .

وقد لاحظ كثير من العلمــاء الذين اهتموا بســيناء ، ان اختلاط العناصر السامية بالعناصر المصرية ، قد أدى الى وجــود اعداد كبيرة من « التوتمات » الصحراوية فى مصر .. وهــذه « التوتمات » .. كانت فى أصلها عبارة عن شعار مميز لكل قبيلة ، كانت تتخذه وتستبشر به ، وتعتبره حاميها وسـبب وجودهـا ، ومانع الشر عنها . وكانت هذه « التوتمات » على أشــكال مختلفة من الحيوان أو الطير أو غيرها ، أو مجرد قطع شائعة الاستعمال . وقد وجد فى منطقة وادى المغارة نقش ، بجانبه ملكة مصر تقـدم قربانا الى الآله « صفدو » ، والى الآله « توت » معبود جبل المغارة.

ولماذا نذهب بعيــدا للتدليل على الرأى الذى قلناه حـول امتزاج الآله والمعتقدات . فاقدم أثر مصرى فى سيناء هو معبـد سرابيت الخادم ، الذى بناه المصريون . وهو أول دليل ، بل وأبلغ دليل ، عــلى أن المصريين القدماء مارســوا فى هيكله الطقوس السامية . وهذا الهيكل كما أسلفنا كان مخصصا لعبــادة الآلهة هاتور .. وكانت به غرف لعبادة « صفدو » . وقد ظل معبـد سرابيت الخادم على حاله ، الى أن غير ملوك الاسرة الثامنـة عشرة شكله واتجاهه .. وقد أخذ شكله النهائى الذى وصل الينا منــذ عهد رمسيس الثانى .

وهناك رأى لمؤلف « سيناء المصرية » يقول : انه مما يلفت الانظار فى معبد سرابيت الخادم أن الانصاب — جمع نصب — ومن حولها دوائر الحجر داخل سور الهيكل وخارجه ، تشبه المراقد التى كان اليهود يسمونها قديما « بيت ايل » اى مقام الآله . وكانت عادة الساميين انه اذا طلب احدهم الشفاء من مرض أو أراد انقاذ نفسه من شر أقام فى الهيكل ونام به · وهذا حدث عندما خرج يعقوب من بئر سبع فرارا من اخيه ، ونام ثم استيقظ من نومه وقال : حقا أن الرب فى هذا المكان ، واخذ الحجر الذى وضعه تحت راسه ، واقامه عمودا ، وصب زيتا على راسه ، ودعا اسم المكان « بيت أيل » .. اى بيت الرب ايضا .

أما الهيكل نفسه — هيكل سرابيت الخادم — فمما يلفت النظر ، انه يشبه « خيمة الاجتماع » ، التى صنعها سيدنا موسى عليه السلام فيما بعد فى جبل سيناء . ان وجه الشبه كبير بينهما . فقد كانت خيمة الاجتماع او خيمة الشهادة كما تسمى ايضا ، هيكلا متنقلا — فى العقيدة اليهودية — من خشب السنط وعمد النحاس ، ونسيج الشعر وغيره · وكانت مقسمة الى قسمين : القدس ·· وقدس الاقداس ، وبينهما حجاب من النسيج ·

وهذا يعنى ، بل هو دليل كبير ، على أن التقليد الدينى فى الطقوس اليهودية كان موجودا فى شبه جزيرة سيناء قبل مسيرة بنى اسرائيل الى سيناء ومصر ، فقدس الاقداس ، يقابله « الهيكل » . وفى الخيمة مذبح البخور ، والمرخصة ، ومذبح المحرقة .. كما فى هيكل سرابيت الخادم ·

وهذا يؤدى ، كما يقول صاحب كتاب « سيناء المصرية » الى القول ، بأن النبى موسى عليه االسلام قد يكون اخذ طقوس

العقيدة الموسوية من التقاليد الموجودة فى سيناء ، وهى تقاليد مصرية بالدرجة الأولى ..

وقد يكون هذا صحيح .. اذا عرفنا ان موسى كان ربيب بيت فرعون ، ولا بد أنه علم بهذا المعبد فى سيناء وزاره .. كما زار وشاهد معابد مصر المماثلة ..

لكن هناك اختلاف بين خيمة الشهادة ، وهيكل سرابيت الخادم .. وذلك ان سيدنا موسى جعل باب الخيمة متجها الى الشرق ، لا الى الغرب كما فى معبد سرابيت الخادم . ومن المعروف ان هيكل سليمان الذى بنى بعد خيمة سيدنا موسى بحوالى ٥٠٠ سنة ، هو ايضا على غرار الخيمة .. وهذا يحمل على الاعتقاد ان هيكل سليمان قد بنى على غرار معبد سرابيت الخادم .

والرأى الذى يقال هنا ان أثر مصر عميق فى الطقوس العبرية ، وأن امتزاج العقائد المصرية بالسامية خلق تراثا مشتركا، حاول الاسرائيليون التخلص منه طوال تاريخهم ليغذوا أسطورتهم التى تقول بأنهم شعب الله المختار وحده ، ولا شعب غيرهم اختاره الله .. لكن التاريخ والاثار تقف لهم بالمرصاد ، وتفند دعاواهم..

ابراهيم وساره

ثم نأتى الى سيناء أرض الانبياء ، وديانات التوحيد ..

ونبدأ سيناء تاريخها الايمانى بسيدنا ابراهيم أبو الانبياء..

وفى التوراة .. بدءا من الاصحاح الثانى عشر ، فى سفر التكوين .. تقول حول سيدنا ابراهيم فى سيناء ومصر : أنه بعد أن « قال الرب لابرام اذهب من ارضك ومن عشيرتك ومن بيت ابيك الى الارض التى اريك » .. ترك ابراهيم أرض حاران - أو بلدة «أور» الكلدانية ، وعمره خمسة وسبعون عاما ، وأخذامرأته « ساراى » .. كما اخذ « لوطا » ابن اخيه . وخرجوا فى اتجاه أرض كنعان ، حيث ذهبوا الى مكان « شكيم » .. حيث اقام مذبحا للرب ونصب خيمته .

وتضيف التوراة كذلك :

« وحدث جوع فى الارض ، فانحدر ابرام الى مصر ، ليتغرب هنالك ، لان الجوع فى الارض كان شديدا . ولماقرب أن يدخل مصر ، انه قال لساراى امراته انى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون هذه امراته فيقتلونى ويستبقونك . قولى انك اختى ، ليكون لى خير بسببك ، وتحيا نفسى من أجلك » .

فحدث لما دخل ابرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا . ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون . فأخذت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابرام خيرا بسببها . وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال . فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة ابرام . فدعا فرعون ابراهيم وقال ما هذا الذى صنعت بى . لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك لماذا قلت هى أختى حتى أخذتها لى لتكون زوجتى .

والان هوذا امرأتك خذها واذهب ، فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ما كان له » .

هذا ما جاء في التوراة عن أبي الانبياء ابراهيم ، اقتطفنا منه البعض ، حتى لا نعرق في التفاصيل ونتوه ..

لكن التوراة برغم ذلك ، لم تذكر شيئا عن سيدنا ابراهيم في سيناء حينما جاء من فلسطين ، ولا تلك البلاد التى مر بها ولا ملامح الطريق الذى سارت فيه قافلة ابراهيم . بل ان التوراة لم تفصح عن الفرعون الذى كان معاصرا لسيدنا ابراهيم .. وأن كان البعض يرى أن سيدنا ابراهيم جاء فى زمن الهكسوس .

وهناك الكثير من الاضواء في الكثير من الكتب وعلى رأسها القرآن الكريم والتوراة .. تلقى على مسيرة سيدنا ابراهيم ..

ان سيدنا ابراهيم عليه السلام ظهر فى بلدة « اور » الكلدانية ، وأنه رغم أنه نشأ في قوم يعبدون الاصنام ، فقد أنشأه الله (حنيفا) . كان قومه يعبدون من الاصنام (مردوخ)، وكان هذا الصنم هو سيد الآلهة في بابل ، أو رب الارباب لديهم . وكانوا يعبدون آلهة كثيرة مثل « نانا » أو « سين » آلهة القمر ، والتى عرفت فى سيناء أو سميت باسمها ارض سيناء فترة .. وهناك « عشتار » ، « وشماس » آله النور ، « تيامات » آلهة الفضاء .

وفى كتاب عبد الحميد جودة السحار « محمد رسول الله والذين معه » وكتاب « قصص الانبياء » يقول : ان سيدنا ابراهيم عليه السلام ظهر فى بلدة « أور » الكلدانيه . وان ابراهيم معناه « أبا القبائل » أو « أبا الامم » . وأمه « ايمتال » ولدته من أبيه « آزر » . وقد ولدته فى سهولة ويسر . وكان جد ابراهيم ، واسمه « ناحور » ، وقد أراد أن يسميه باسمه ، لكن ايمتال قالت له : لقد جاءنى هاتف فى المنام ، وقال لى : سميه ابراهيم ..

وكانت ولادة سيدنا ابراهيم في « أور » ، وأبوه في بابل ، وهو يصنع الاصنام ويبيعها . وقد كبر ابراهيم ، وهداه الله الى الحق ، وتزوج بسارة ابنة عمه واسمه « هاران » . وخليل الله ابراهيم ، او خليل الرحمن ، هو اول المسلمين . اسلم لله رب العالمين . وقال لقومه اني بريء مما تشركون ، اني وجهت وجهي للذى فطر السماوات والارض حنيفا ، وما أنا من المشركين . راح ابراهيم ينذر قومه ، ويقول لهم اني بريء مما تعملون .. وكان على قومه ملك هو النمرذ ..

وقد تبنى ابراهيم ابن اخيه « لوط » ، وأنشأه على التقوى .. وسيكون لوط من أنبياء الله ، ليهدى قوما ضلوا السبيل .

بل ان ابراهيم ذهب الى الاصنام ، وبفأس راح يضربها ويحطمها .. الا كبيرهم وهو « مردوخ » فقد علق الفأس فى احدى اذنيه ..

وقبضوا على ابراهيم ، وأودع السجن .. حاكموه . وقالوا بعد محاكمته « حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين » . وأعدوا نارا كبيرة ، ألقى اليها ابراهيم بالمنجنيق وأطلق فى الهواء فوقع فى الجحيم .. وكانت النار بردا وسلاما على ابراهيم ، حتى لقد قيل ان الله طهر الارض مرتين ، مرة بالطوفان فى عهد نوح ، واخرى بالنار التى اجحت ليلقى فيها ابراهيم ..

● ● ●

والقصة تقول ان خليل الله ابراهيم فر بدينه .. ومن آمنوا معه الى حاران – شمال العراق – وعبرت قافلتهم الفرات الى الشام ، ثم الى حلب .. التى قيل أنها سميت بذلك تخليدا للحليب الذى در من أنعام الرجل المبارك ابراهيم . ومن حلب رحل ابراهيم الى دمشق ، وفى دمشق آمن به « اليعازر الدمشقى » ، وكانت دمشق تخضع للمصريين فى ذلك الوقت ، وكانت المعابد للاصنام شماس ، وبعل ، وعشستار ، وعنت ،

وسين ، أبو الهول ٠٠ وبقية المعبودات الفرعونية ٠

وقد حاول ابراهيم ان يهدى القوم هناك لعبادة الله الاحد الفرد الصمد ٠ وهناك أيضـــا التقت قافلة مصرية بابراهيم ، وكان المصريون يفهمون لغة ابراهيم الساميـــة ، التى هى من اللهجات العربية ٠ كما أنهم كانوا يعرفون الآراميـة ، خاصـــة أيام غزو الهكسوس لمصر « حقا وخاسوت » كما كان يسميهم المصريون القدماء .

وفى دمشق دار قتـــال بين المؤمنين والمشركين ، ودانت لابراهيم ومن معه مدينة دمشق ٠ ثم سار الى وادى شـــكيم ــ نابلس الحالية ــ ثم الى ايليـــاء ــ بيت ايل ــ اى بيت الله . وفوق قمة الجبل شرق بيت آيل بنى ابراهيم محـرابا ، واقام خليل الله عند « بلوطات ممرا » التى جاءت فى التـــوراة ، وهى الآن مدينة الخليل وهناك حقد الكنعانيون على ابراهيم ، وارسلوا الى ملك مصر .

وبلغ رســـل الكنعانيين غزة ، حيث اشـــتروا هدايا من اسواقها لامير مصر الجالس فى « أواريس » ٠ ولرجال البلاط . وفى سيناء كانت الاشجار تغطى الارض ، وبعثات المصريين تجوب انحاءها للتنقيب عن النحاس والمعادن النفيســـة . وكان للاله « سين » مكانة كبيرة عند العرب ابناء سام ، عبـدوه فى بابل ، وفى أور ، وحاران ، واقاموا له معبـدا فى ســيناء ، وآخـر فى أسوان ٠ ووصلت رسل الكنعانيين الى (بلوزيوم) ، وقلعـــة « زل » ٠٠ ومنها الى الشرقية ٠٠ وكان سنان بن الاشـــل بن عبيد ــ الذى أطلق عليه المؤرخ مانيتون اسم سلانيس ــ هو أول ملوك الهكسـوس فى مصر ، وهو الذى أرسل حملة لتأديب بعض المؤمنين بآله واحد ، والذين التقوا بابراهيم ، والذين عـــرفوا باسم الصابئين ٠

ولكن ماذا عن الصابئين ؟

فى ايلياء .. التقى سيدنا ابراهيم بالصابئين ، وكانوا قلة. وكانوا يؤمنون بالله قبل دعوة ابراهيم . وهم الذين اطلقوا على ايلياء اسم « بيت الله » ، وكانت شوائب وثنية قد علقت بعقيدتهم . وقد جادلهم سيدنا ابراهيم ليطهر دينهم ..

وهؤلاء الصابئة كانوا فى مصر منذ كان (النبى ادريس) عليه السلام فى منفس ، والذى قال القرآن الكريم فى ادريس : « واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ». وقد تلقى الصابئة من ادريس عقيدة التوحيد . ثم تلقوها على أيدى الاحبار الذين كانوا يدينون بالدين الذى بشر به ادريس ، فلما طال على المصريين الامد ، ونسجت الاساطير حول ادريس ، وصوره المصريون فى صورة « أوزوريس » .. تحول المصريون عن الدين القويم الذى نزل على ادريس الى العقائد التى ابتدعها الكهنة .. فهاجر المؤمنون الصابئة بدينهم من مصر فرارا من الملاحدة . فنزل بعضهم بسورية وحاران ، ونزل بعضهم فى أرض بابل جنوب بلاد مابين النهرين .

كان الصابئة يعتقدون أن أول بيت بنى لعبادة الله بمكة المكرمة . وأن ادريس عليه السلام هو الذى بنى الكعبة ، وأنه طاف حولها . وكان هؤلاء الصابئة — كما وصفتهم المراجع — يبنون هياكلهم من القصب ، كما تبنى الخيام ، ويتحرجون من ملامسة غيرهم ، ويتطهرون اذا لمسوا غريبا أثناء عبادتهم ، ويصومون ثلاثين يوما متفرقة فى السنة . وقد وصفهم البعض بأنهم كانوا يتشابهون بالبراهمة .

كان الصابئة يبنون مساكنهم قرب الانهار ، لحاجتهم الدائمة الى التطهر بالماء ، ولذلك أطلق عليهم الصابئين ، أى السابحين — كما جاء فى كتاب عباس العقاد « ابراهيم أبو الانبياء » — لأن ملامسة الغريب فى أثناء العبادة توجب عليهم الاغتسال والسبح فى الماء .

كما كان للصابئة كتـاب سموه (كنزة) ٠ وكانوا يباشرون شعائرهم فى الخفاء ، وهؤلاء يؤمنون بالله واليوم الآخر ،وكانوا فى مصر على عهد الفراعنة الاول ، ولم يزيدوا على عشرة آلاف ، كما يقول العقاد ٠ وقد وجد الصـــابئة فى سيدنا ابراهيم أنه رسول يدعو الى وحدانية الله ، ودونوا تعاليمه فى كتابهم (كنزة) وهذه الملة ذكرت فى القرآن الكريم ، فى قوله تعالى من سورة البقرة : (ان الذين آمنوا والذين هادوا ، والنصـــارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون » .

وفى هذه الفترة جاءت الجنود من مصر ، لتؤدب المؤمنين .. ودارت معركة بين سيدنا ابرهيم وأتباعه ، ومعهم بعض الصابئين، وبين حملة ملك الهكســـوس ٠٠ انتهت هـــذه الحملة بأن وقعت (ساراى) ، زوجة ابراهيم وابنة عمه أسيرة وهى التى ســـميت (سارة) أيضا (١) ٠

والتاريخ يقول ان ابراهيم ولوط واليعازر الدمشقى ، وبعض الاتباع هبطوا مصر عبر سيناء ٠٠ وربما يكونوا قد اتخذوا طريق الساحل الشمالى ٠ وأنهم دفعوا ما طلب منهم من مكوس ،وانطلقوا الى أرض جوشن ثم شـدوا الرحال الى (أورايس) عاصــــــمة الهكسوس حيث مقر الملك ٠ وفى مقـــر الملك أكرم الملك وفـادة ابراهيم ، وعاد نبى الله وخليله بزوجته الى ايلياء ٠

ويقال ان سيدنا ابراهيم فى مصر قد حاج الكهنة فى علم الفلك والنجوم ، وخاصة فى عين شمس «أون» حيث التقى بكهنة آمون ، ليبلغهم رسالة ربه ٠ وان الله نجى نبيه ابراهيم، ليعود معلوطوسارة واليعازر الدمشقى ٠٠ ومعه جارية مصرية اسمها هاجر ٠ وقـد

---

(١) عهد النبى ادريس وقومه انظر الفصل الخاص بذلك فى كتاب قصص الانبياء الجزء الاول تاليف احمد الشهاوى سـعد شرف الدين وكتاب « قصص الأنبياء » للشيخ عبد الوهاب النجار .

اعطاها الفرعون هدية لابراهيم ، كما أعطاه بعض الهدايا والاغنام، ورجعت قافلة ابراهيم عبر سيناء الى بيت ايل ٠

يقول المؤرخ اليهودى يوسيفيوس ، ان ابراهيم الخليل درس علم النجوم فى مصر — وليس فى بابل كما تجمع غالبية المؤرخين — وقد استند المؤرخ اليهودى فى ذلك على رواية ارتبانوس، الذى زعم أن سيدنا ابراهيم أقام بمصر عشرين سنة ، واطلع على أسرار الكهنة وعلم الفلك وطوالع النجوم ٠ وفى قصة أخرى ان سيدنا ابراهيم هو الذى علم المصريين الفلك ٠

وعباس العقاد يرى أن ابراهيم ليس يهوديا ، لأن اليهودى ينسب الى يهودا ، رابع ابناء يعقوب ، ولم يكن ينسب اليه الا بعد أن أصبح علما على الاقليم الذى قسم له عند تقسيم الأرض بين ابناء يعقوب . ولا يقال عن ابراهيم انه عبرى ، اذا كان المقصود بالعبرية لغة مميزة بين اللغات السامية يتفاهم بها طائفة من الساميين دون سائر الطوائف ٠ فان ابراهيم كان يتكلم بلغة وهبها الله جمالا لا يوصف ٠٠ خلب جمالها لب ملك مصر ،وأرادها قد انفصلت عن سائر اللغات السامية .

على أن القصص كثيرة حول سر قدوم سيدنا ابراهيم الى مصر ، ومنها قصة ذكرت فى كتب كثيرة ، ترى أن مجىء سيدنا ابراهيم الى مصر كان للتجارة . وانه حين جاء مع زوجته وفد وهبها الله جمالا لا يوصف ٠٠ خلب جمالها لب ملك مصر ،وأرادها لنفسه ٠ وكان هذا الملك اسمه « طوطوس بن سنان »٠وكان ملكا اشتهر بحبه للنساء ٠ وقد علم سيدنا ابراهيم بنبأ هذا الملك الجبار — حيث أعلمه الله تعالى بذلك — فقال عن سارة أنها أخته وليست زوجته حتى لا يقتله الملك الجبار ٠ وقد أنجى الله سارة من الجبار ، كما أنجى نبيه ابراهيم ٠

وجدير بالذكر أن أرض مصر شاهدت — كما ذكرنا — النبى ادريس ، قبل سيدنا ابراهيم بفترة طويلة . وقيل أن النبى

ادريس ولد فى منف . وهناك راى آخر انه من اليمن . وانه ظهر فى عصر ما قبل الاسرات فى مصر ، وكان صديقا نبيا .

ويقال أن سيدنا ادريس أنه كان أول من خط بالقلم على الرمال — وكانت هذه من معجزاته — وانه أول من خاط الثياب ولبس المخيط . واول من نظر فى علم النجوم والحساب ، واول من علم الناس الزراعة . وقد حدث ادريس المصريين عن الله الواحد ، وعن البعث بعد الموت ، وعن الثواب والعقاب والميزان .. حتى ان البعض يقول ان ادريس هو « اوزوريس » اله العالم الاخر فى عقيدة الفراعنة .. لكن يبدو ان ما جاء به ادريس قد عرف فى مصر .. مما دعا المؤمنين بتعاليم ادريس الى ان يهاجروا ، وهم الذين سموا (الصابئين) فى القرآن الكريم ، وقد التقى معهم سيدنا ابراهيم فى الشام ، كما سبق ان ذكرنا .

يوسف الصديق

يوسف الصديق أيضا له ذكريات مقدسة مع سيناء ومصر ولسيناء ذكريات كذلك مع أخوة يوسف الصديق ، ومع أبيهم النبى يعقوب ..

تقول التوراة : « وسكن يعقوب أرض غربة أبيه فى أرض كنعان . هذه مواليد يعقوب : يوسف اذ كان ابن سبع عشرة سنة كان يرعى مع اخوته الغنم وهو غلام عند بنى يلهة وبنى زلفة امرأتى أبيه . وأتى يوسف بنميمتهم الرديئة الى أبيهم . وأما اسرائيل فاحب يوسف اكثر من سائر بنيه لانه ابن شيخوخته ، فصنع له قميصا ملونا . فلما رأى اخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع اخوته أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام .

« وحلم يوسف حلما واخبر اخوته ، فازدادوا أيضا بغضا له ، فقال لهم : اسمعوا هذا الحلم الذى حلمت . فها نحن حازمون حزما فى الحقل ، واذا حزمتى قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتى فقال له اخوته : ألعلك تملك علينا ملكا ، أن تتسلط علينا تسلطا . وازدادوا أيضا بغضا له من أجل أحلامه ومن كلامه . ثم حلم أيضا حلما آخر وقصه على اخوته . فقال انى حلمت حلما أيضا ، واذا الشمس والقمر واحد عشر كوكبا ساجدة لى . وقصه على أبيه وعلى اخوته . فانتهره أبوه ، وقال له : ما هذا الحلم الذى حلمت ، هل نأتى أنا وأمك واخوتك لنسجد لك الى الارض ، فحسده اخوته وأمه وأبوه فحفظ الامر » .

وتضيف التوراة تقول : ان اخوته مضوا ليرعوا غنم أبيهم عند شكيم - نابلس الحالية - وأن أباه أرسله اليهم ليطمئن على

اخوته وعلى الغنم ويأتى بالجواب .. فارسله اليهم من وطاء حبرون – أى الخليل – الى شكيم . فوجده رجل اذ هو ضال فى الحقل . فسأله ماذا تطلب . فأجابه اننى أبحث عن اخوتى أين يرعون وذهب يوسف وراء اخوته الى دوثان . وحين أبصره اخوته احتالوا عليه ليميتوه . وقال بعضهم هل نقتله ونطرحه فى احدى الابار ، ونقول وحش ردىء أكله . وقال بعضهم لا نقتله ، بل نتركه فى البئر التى فى البرية ، وكانت البئر فارغة من الماء . وقبل أن يلقوه فى البئر خلعوا عنه قميصه .

واذ اخوة يوسف يفكرون فى أمر أخيهم ، اذا بقافلة اسماعيليين – أى عرب – فى طريقها الى مصر ، فباعوا يوسف للاسماعيليين بعشرين من الفضة ، وأتوا بيوسف الى مصر . وعاد اخوة يوسف الى أبيهم بقميصه ، بعد أن ذبحوا تيسا – ذكر الماعز – وغمسوا القميص فى دمه . وهنا – كما تقول التوراة – يمزق الاب يعقوب ثيابه ، وناح على ابنه أياما كثيرة ، أما الاسماعيليون فباعوا يوسف لخصى فرعون واسمه « فوطيفار » .

وتضيف التوراة فى الاصحاح التاسع والثلاثين من سفر التكوين ..

« ان يوسف كان رجلا ناجحا فى بيت سيده المصرى ، وحين رأى السيد أن الرب معه ، وأن كل ما يصنع كان ناجحا ، فقد وثق المصرى فى يوسف ووكله على بيته ، وعلى أملاكه من الاراضى . وكان يوسف حسن الصورة وحسن المنظر .. مما اغرى زوجة رئيس الشرطة أن تراوده عن نفسها . لكن يوسف رفض هذا الامر . وفى مرة دخل يوسف بيت سيده المصرى ، ولم يكن فيه سوى زوجته ، فحاولت معه ، لكنه هرب منها وترك ثوبه فى يدها . وهنا تصرخ امرأة فوطيفار ، وادعت أن يوسف جاء ليراودها عن نفسها ، ثم حين جاء رب البيت شكت اليه الزوجة ، وقالت له ان

العبراني جاء ليراودني فصرخت ، فترك ثوبه هنا • فكان من الزوج أن سجن يوسف •

وتضيف التوراة : أن الرب كان مع يوسف فى السجن ، ومهما صنع كان الرب ينجحه • وفى السجن حدث أن ساقى ملك مصر وخبازه اذنبا ، فأمر بحبسهما فى المكان الذى كان يوسف محبوسا فيه . وقد حلم كلاهما حلما فى ليلة واحدة ، وقصا على يوسف الحلم ففسر يوسف حلم كل منهما ، اذ قال لرئيس السقاة أن سيعود الى منصبه ، وقال لرئيس الخبازين أنه سيعلق وتأكل الطيور من لحمه •• وقد حدث لهما ما فسره يوسف ..

وحدث بعد سنتين أن فرعون حلم حلما واراد تفسيره . وهذا الحلم هو : أن سبع بقرات نحاف قبيحة المنظر تأكل سبع بقرات سمان جميلة المنظر • وأن سبع سنابل طالعة فى ساق واحدة سمينة وحسنة ، تأكل سبع سنابل ملفوحة بالريح نابته وراءها .

وقد جمع فرعون السحرة والحكماء لتفسير حلمه ، لكنهم لم يستطيعوا تفسيره • وتذكر رئيس السقاه يوسف فى السجن• وارسل فرعون ودعا يوسف من السجن ، الذى فسر له الحلم بأن قال له : ان سبع سنين خضراء ستأتى على مصر ، وتعقبها سبع سنين قحط . واشار عليه ان يجعل ناس حكماء على مملكته ليخزنوا الغلال فى السنوات السبع السمان ، حتى يستهلكوها فى السنوات السبع العجاف • هنا يجعل فرعون يوسف على خزائن مصر ، وغير اسمه . وزوجه ابنة كاهن « أون » — أى عين شمس — وكان يوسف فى الثلاثين من عمره فى ذلك الوقت .

ويبدو أن القحط قد عم منطقة الشرق الاوسط — الحالية — كلها ، ومنها بالطبع أرض كنعان التى يعيش فيها يعقوب •

وقد تسامع أهل الشام بانه يوجد فى مصر قمح • فقـال يعقوب لبنيه : انزلوا الى مصر ، واشتروا قمحا • فســـافر عشرة من اخوة يوسف الى مصر • وفى مصر عرف يوسف اخوته ، ولم يعرفهم بانه اخوهم • واعطاهم القمح ، وطلب منهم ان يتركوا واحدا منهم رهينة عنده اخوه بنيامين الى حين يأتون بأخيهم الاصـــغر ، وحين عادوا الى ابيهم فى أرض كنعان قصـوا عليهم الامر ، وقالوا له ان القائم على خزائن مصر يريد ان يرى اخانا الأصغر . فخـاف ان ان يحدث له كما حدث ليوسف من قبل •• لكن الوالد أمام القحط والجوع ، وأمام عودة الابن الرهينة لدى يوسف فى مصر ، رضى أن يرسل أصغر أبنائه ••

وهنا فى مصر ، عرف يوسف نفســـه الى اخوته ، وبكى الاخوة وخافوا ، فطمأنهم •• ثم ارسل اخوته مع العربات المصرية الى ابيهم يعقوب يستدعيه • فجـاءوا عن طريق بير ســبع الى مصر مجتازين برية ســيناء ، وعدد أسرة يعقوب ســبعين فردا فقط • وســاروا فى سيناء حتى وصلوا الى أرض جاســان ، « أو جوشن » فقصد اليهم يوسف واستقبل أباه وأسرته هناك .

ومكث آل يعقوب فى أرض جاسـان ، ثم استقبلهم فرعون وأمر لهم بأفضل الاراضى فى (رعمسيس) فى منطقة الشرقية . وعاش يعقوب فى مصر ســبعة عشر عاما الى أن توفى ، فذهب يوسف برفات أبيه ، ودفنـــه فى أرض كنعان ، ثم عاد الى مصر ثانية ، وكان ذهابه وعودته عبر سيناء .

وقد عاش يوسف ١٢٠ سنة فى مصر وقيل ١١٠ سنوات ، ثم توفى وحنط ووضع فى تابوت ، هـكذا ذكرت التوراة قصـــة سيدنا يوسف •• وهى قصة تتشابه فى أغلب تفاصيلها مع ما ورد فى القرآن الكريم فى « سورة يوسف » •• وان اختلفت بعض الاسماء والمسميات والتفاصيل ••

ومما يذكر هنا ان العلماء المصريين يقومون بحفريات عن المدينة التى عاش فيها سيدنا يوسف من ٣٧ قرنا من الزمان على وجه التقريب ، وهى مدينة « أون » أو «أونو » .. وهو ليس بيت فوطيفار وامرأته زليخة . وانما ذلك المكان الذى تربى فيه سيدنا يوسف وعاش ودرس فى مقتبل عمره ، حيث تعلم القراءة والكتابة والحكمة ، فيه نزل عليه وحى الله وصار نبيا ، كما حمل اسما مصريا هو « صفنات فعنيح » ويعنى « مخلص العالم » وفيه تزوج من « أسنات » ابن « فوطيفارع » ، كاهن مدينة (أون) وانجب ابنيه منسيا وأفرايم .

وقد كانت أون ـ وظلت أمدا طويلا ـ أول عاصمة دينية وحضارية لمصر .. واليوم تحمل اسم (تل الحصن) وهى قرب القاهرة ، وعليها زراعات وبيوت ريفية . وأون كانت أول عواصم مصر الدينية ، وسماها الفراعنة « أفق السماء وسماء مصر ، وموطن نشأة كل معبود » .

وتقول بعض الحفريات أن سيدنا يوسف قد جاء مصر فى عهد الفرعون سيزوستريس من الاسرة الثانية عشرة ، وبعضها الآخر يقول انه كان فى عهد أواخر عصر الهكسوس ، حوالى عام ١٨٦٠ قبل الميلاد .. ويدللون على ذلك بأنه حدث فى عهدى هاتين الفترتين قحط فى مصر .. لكن على أية حال ليس هناك دليل مادى يؤكد زمن الفترة التى جاء فيها يوسف الى مصر وعاش فيها .

وهناك بعض المؤرخين يقولون ان سيدنا يوسف عاش فى غيتة .. وهى مكان قرب بلبيس ، ذكره ياقوت فى « معجم البلدان » ، كما ذكره المقريزى فى الخطط . حيث تحدث عن غيتة بقوله : « غيتة قرية تقارب مدينة بلبيس من الفسطاط ، اليها مرحلتان ، كانت نزلة قافلة الحجاج ، ويقال ان صواع

الملك الذى فقد من مدينة مصر وجد فى رحال اخوة يوسف عليه السلام بعيتة هذه ».

« وصواع » الملك . هو المكيال الملكى للقمح والشعير الذى كان يبيع به المصريون هذه الغلة أيام القحط . وقد وضع سيدنا يوسف (الصاع) فى أمتعة أخيه بنيامين لكى يبقيه ، حتى يعود اخوته بأخيهم الاصغر الى مصر ، ثم بأبيهم يعقوب . ومما يذكر أن مدينة أون قد تعلم فيها اخناتون أصول التوحيد والله الواحد الاحد ، وتلقى فيها الوحى لرسالته العظيمة .

وعلى أية حال فان الحفريات التى تجرى فى مدينة (أون) والتى تقوم بها كلية الآثار باشراف جامعة القاهرة قد تزيل الغيوم عن الكثير من حياة سيدنا يوسف فى مدينة (أون) أو « أونو » .. أقدم المدن فى التاريخ والتى يزيد عمرها على ٦٠ قرنا من الزمان .

يحدد بعض المؤرخون دخول بنى اسرائيل مصر بعام ١٦٥٦ قبل الميلاد ، أيام سيدنا يوسف عليه السلام كما ذكرنا • ويقــول المؤرخون ، ان مجيء العبرانيين كان فى عهد الملك (أبو فيس) من ملوك الهكسوس .. فى الاسرة السادسة عشرة الفرعونية .

وكما تقول التوراة : فان العبرانيين كان عددهم ســـبعين فردا • وكانت هجرتهم فى عهد الملك فوطيفار ، الذى قرب يوسف اليه وعينه وزيرا على خزائن مصر • ثم جـاء أهـــل ســـيدنا يوسف فأسكنهم أرض جاســـان – وهى المنطقة بين غيتــه التى ذكرناها ، وشلشلمون بالشرقية – وكانوا رعاة ماشية •

وكما تقول التوراة أيضا فى الاصحاح السابع والاربعين من سفر التكوين : « وسكن اسرائيل فى أرض مصر فى ارض جاسان وتملكوا فيها وأثمروا وكثر واجدا ، وعاش يعقوب فى أرض مصر سبع عشرة سنة •

وبعد أن عاش بنو اسرائيل فى ظل يوسف ، فى بحبوحةمن العيش ، مات يوسف بعد عمر ناهز مائة وعشر سنوات • ثم قام ملك جديد على مصر ، لم يكن يعرف قدر سيدنا يوسف وكان هذا بعد طرد الهكسوس من مصر فهالذلكالملكمارأىمن أنبنى اسرائيل قد بلغوا مبلغا كبيرا من الثراء والقوة ، وصاروا أشبه بدولة داخل الدولة •• فخشى منهم أن يثوروا عليه ، وقال لقادته كمـا تذكر التوراة : « هلم نحتالهم لئلا ينموا فاذا حدثت حربانهم ينضمون الى أعدائنا ويحاربوننا » •

وقد قالت المراجع التاريخية أيضا ، أنه فى عصر رمسيس الثـــانى .. ولكى يأمن شر الاسرائيليين فى الشرقيـــة ، بدأ

يستخدمهم فى أعمال البناء ، وهى الاعمال التى كانوا يرفضونها ، بعد أن تخصصوا فى التجارة ، وقبلها كانوا رعاة للماشية .

وقد قيل أن الفرعون فرض عليهم أن يعملوا فى بناء مدينتى (فيثوم) و (بر رعمسيس) ، ومع كل ما أحس به المصريـون من خطر بنى اسرائيل ، فان بنى اسرائيل كانوا يتكاثرون بشدة . وكانوا يعيشون فى مجتمع — اوجيتو بالمعنى الحديث —لا يزوجون بناتهم الا للعبرانيين . ولذلك يصدر فرعون قرارا — كما تقول التوراة — يهدف الى اعدام المواليـــد الذكور من بنى اسرائيل .
وتقول التوراة أيضا ،أنفرعون مصر تحدثمع (قابلتى) لعبرانيات واسم احداهمـا « شفرة » والاخـــرى « فوعة » .. لكى تقتلا مواليد العبرانيات من الذكور . فلم تفعل القابلتان ذلك .. مما دفع فرعون مصر الى اصدار أمره بأن من يولد من الذكور يلقى فى النهر .. وخاصة — وكما تقول احدى البرديات الفرعونية — ان كبير كهنة طيبة قد تنبأ لفرعون بأن نهايته ستـكون على يد طفل من بنى اسرائيل يولد خلال العام الحديد .. فكان هــــذا هو سبب أمر فرعون يقتل كل المواليد الذكور فى العبرانيين .

وقد قيل ان رجلا من بيت (لاوى) بن يعقـــوب ، تزوج من بنت من بنات لاوى العبرانيات ، فولدت له زوجتـــه طفـــلا ذكرا ، فلما رأت أمه أنه جميل الصـورة خبأته ثلاثة أشهر . ثم صنعت له « سفطا » (١) من البردى ، وطلته من الخـارج بالحمر والزفت ، ووضعت الولد فيـــه ، ثم وضعت « السـفط » بين الحلفاء على حافة النهر ، وأوقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا سيفعلون بالطفل .

وقد قيل أن الطفل القى على شـــاطىء بر رعمسيس ، وحدث أن نزلت ابنة فرعون — وقيـل أخت فرعون ، وبعض

(١) ... أى « سبتا » من البردى

المصادر تقول زوجة فرعون ـ لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على حافة النهر ، فراين السفط بين الحلفاء ، وفتح السفط فراين طفلا يبكى . فرقت له اخت فرعون ، وقالت ـ كما جاء في التوراة ـ هذا من أولاد العبرانيين . وهنا تأتى أخت الطفل ، وتقول لابنة فرعون : هل أذهب لادعو لك مرضعة من العبرانيات لترضع الولد ، فوافقت ابنة فرعون ، وجاءت المرضعة ، وهى ام الطفل ، واخذته لترضعه . فلما كبر جاءت به الى ابنة فرعون ، التى تبنته وسمته موسى ، وهو بالطبع اسم مصرى لاعلاقة له باسماء العبرانيين ..

والحقيقة ان بعض التفاصيل فى التوراة تتشابه مع ماجاء فى القرآن الكريم ، اذ يقول الله تعالى فى سورة القصص : « واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه ، فإذا خفت عليه فالقيه فى اليم ، ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » .

ولقد تضاربت الاقوال عن أسباب غضب فرعون والمصريين على العبرانيين ، مما جعلهما يعملان على طردهم من مصر .. خاصة فى عهد رمسيس الثانى ، الذى يسمى العبرانيون عهده بأنه عهد « تسخير » .. أو سخرة بنى اسرائيل .

وقد جاء فى التوراة ، أن العبرانيين هربوا من مصر ، لان فرعون كان يصادر املاكهم وأموالهم ، ويسخرهم فى أعمال الانشاءات وبناء القصور والمعابد ، ونحت الاحجار وشق الطرقات ، وحفر الترع . كما أن فرعون جمعهم من أنحاء مصر ، التى انتشروا فيها أيام سيدنا يوسف ، واسكنهم فى مدينة واحدة هى مكان (تل اليهودية) ـ الآن ـ حتى يكونوا تحت رقابته ولا يدبروا المؤامرات .

ويروى ايضا أن كهنة طيبة ، كانوا يحقدون على العبرانيين

ومعابدهم الخاصة ، لانهم كانوا يمنعون المصريين من الاختلاط بهم، أو الاطلاع على أسرار طقوسهم وتعاليمهم السرية. ولذلك فقد أقنع الكهنة فرعون ، بأن معابد العبرانيين ما هي الا « أوكار » يتآمرون فيها على البلاد ، ويتعاملون مع اعداء مصر المغيرين من فلول الهكسوس ، ويساعدون الاجنبى على اعادة احتلال البلاد .. ولذلك فقد بدأت الثورة على العبرانيين من طيبة مقر عبادة « آمون رع » كبير آلهة الفراعنة فى ذلك الوقت ، فحطموا معابدهم وخربوا مقابرهم .

وقد نسبت بعض البرديات الفرعونية القديمة ثورة المصريين على العبرانيين بسبب ماكانوا يقومون به من اساليب اغتصاب اراضى الفلاحين وابتزاز أموالهم . فكانوا اول من ابتدع الربا والمراهنة ، كما كانوا يجمعون الذهب والفضة ، نظرا لتخصصهم فى صناعة المصاغ ويهربونه الى خارج مصر .

واسباب الثورة المباشره على العبرانيين ، والتى انتهت بخروجهم — أو طردهم — من مصر ينسبها بعض المؤرخين الى خيانتهم وتآمرهم على مصر ، عندما كانوا يهربون اولادهم من التجنيد او اعمال الحروب . بل انهم انتهزوا فرصة انشغال فرعون باخضاع القبائل الليبية على حدود مصر الغربية ، وقاموا بتهريب الماشية والغلال والذهب الى أرض كنعان . وقد كانوا فى هذه الفترة هم المشرفون على مخازن الغلال فى منف وفى بر رعمسيس ، مما سبب مجاعة فى البلاد ..

وقد وضع فرعون خطة للقضاء عليهم . وهذه الخطة عرفها موسى فى القصر — حيث كان ربيب فرعون — ونقل تفاصيلها للعبرانيين .. مما جعلهم يخرجون من مصر — أو يهربون — الى سيناء ثم فلسطين .

والواقع وكما تدل القرائن ، أن سر خروج العبرانيين من

مصر لا يزال فيـــه كثير من الالغــاز • بل ان ما يقوله ويبـــرره المؤرخون حول التسخير .. هو من قبيل الابحـــاء فى العصر الحديث ، بأن الذى شيده رمسيس الثـــانى بالذات من بنـــاء وانشاءات ، هو أصلا من عمل العبرانيين ، ليجلبوا عـلى أنفسهم شرف المشاركة فى بناء حضارة مصر الفرعونية ..

واعتقـــد ان العبرانيين كانوا رعـــاة ، وكان المصريون يحتقرونهم ويعتبرونهم أنجاســـا • وقد كانت المبانى من المعابد والهياكل الفرعونيـــة مقدسة ، ولا أن تبنى بأيدى المصريين وليس العبرانيين • ويحضرنى هنا زيارة قمت بها لباريس ، أثناء افتتاح معرض رمسيس الثانى فى « الجران باليه » .. اى القصر الكبير وكانت السيدة التى الحت فى عرض بعض آثار رمسيس الثانى فى باريس ، هى مـــديرة القسم المصرى فى متحف اللوفر . وهى السيدة دوشيس كريستيان نوبلكور ، التى قيل وقتها انها ذات جذور يهودية ، أو هى تتعاطف مع اليهود • ولذلك جرى تصميم المعرض بحيث يوهم زائره بأن رمسيس الثانى سخر العبرانيين فى مبانيه العظيمة .. كما أن « الكتالوج » الخاص بالمعرض حاول أن يقول ما قاله تصميم المعرض .. مما سبب أزمة كبـيرة بينها وبين الاثريين المصريين .. لان هذا الايهام لا أساس له من الصـــحة التاريخية ، أو الاسانيد الوثائقية •

● ● ●

والسؤال الذى لا يزال مطروحا حتى الآن بين العلمـــاء : هل فرعون موسى هو رمسيس الثانى ؟!

البعض يرى ذلك ، اعتمـادا عـلى وجود اســـم موسى فى احدى لوحات طيبة التى تعود الى أواخر عصر رمسيس الثانى • وحاول هذا البعض أن يؤكد ذلك ، مستشهدا بالحمـــلات التى قام بها هذا الفرعون العظيم الى الشـــام ، وانتصـــاره على

فلسطين ، وورود أخبار فى وثائق تقول ان رمسيس الثانى هو الذى أمر بقتل الذكور من مواليد العبرانيين ٠

لكن يضعف من هذا الراى ان البعض يرى أن فرعون موسى هو تحتمس الثالث .. مع أن هذا الراى ايضا يفتقر الى اثبات تاريخى .

والذين يحاولون الاعتماد على الاقوال التى ترهص بان فرعون موسى هو رمسيس الثانى ، وان لم تقل ذلك صراحة٠٠ فانالتوراة التى كتبت بعد سبعة أو ثمانية قرون من الاحداث المفترضة لقصة الخروج .. قد حدث فيها بعض الاضافات والحذف والتعديل والتحوير كذلك ٠٠ وقد حرفها بعض الاحبار اليهود ليخدموا اهدافهم ..

والاقرب الى الحقيقة ، أن فرعون موسى هو مرنبتاح ابن رمسيس الثانى ، وقد حاول ان يؤكد هذا الراى السير فلندرز بترى ، وادار ماير ، ونافيل ٠ بل ان الاثرى المصرى سليم حسن يتفق مع هذا الراى ٠ وهؤلاء جميعا يعتمدونفى رأيهم على ما يسمى باسم « لوحة اتريب » ، أو « لوحة مرنبتاح » ٠٠ والتى جاء فيها ذكر بنى اسرائيل لاول مرة فى الوثائق الفرعونية ؛ وفى أنشودة نصر ٠٠ يصف فيها الفرعون مرنبتاح انتصاره على الاسرائيليين ، ويقول : (ان اسرائيل خربت وقطعتبذرتها ، وخربت جيزوريل ، ولم يعد لنسلها وجود ، وأضحت فلسطين أرملة لمصر ، وكل من كان ثائرا قتله الملك مرنبتاح) ٠

وقد فسر السير فلندرز بترى معنى « قطعت بذرتها » ٠٠ بطرد الاسرائيليين ، وتطهير البلاد من نسلهم .. كما وجد ايضا ان التاريخ الذى حدده الملك مرنبتاح لانتصاره على العبرانيين هو الشهر الثالث ، فى اليوم الثالث ، من السنة الخامسة من حكمه . وهذا التاريخ يتفق ، مع التاريخ الذى حدده العبرانيون فى سفر الخروج ٠

وقد قيل أيضا أنه عثر في خطابات « تل العمارنة » ، والتي كانت ترد الى اخناتون من امراء الشام يستصرخونه الدفاع عن الامبراطورية ، عثر على اشارات لاقوام مشاغبة تسمى « الخابيرى » . ويرجع الاثريون هؤلاء الى أنهم ابناء العبرانيين الذين ظهروا فيما بعد نتيجة اختلاط الخابيرى بالقبائل الآرامية .. وأن كان هذا ينزع عن الاسرائيليين صفة شعب الله المختار الذى لم تختلط دماؤه بدماء اخرى .

على أن الذى يمكن أن نقوله هنا ، أن مرنبتاح – الذى يقولون عنه انه فرعون الخروج – تولى الحكم في عام ١٢٢٣ قبل الميلاد ، وهو الابن الثالث عشر لابيه رمسيس الثانى . وكان القائد الاعظم للجيش اثناء حكم ابيه . وقد ذكر كل من مانيتون المؤرخ المصرى ، ويوسيفيوس المؤرخ اليهودى أن مرنبتاح قد حكم ١٩ عاما وستة أشهر . وكانت سنه عندما ولى الحكم ٥٨ عاما . وقاد معاركه وهو في الستين .. مما جعل المؤرخين يخلطون بينه وبين أبيه رمسيس الثانى ، بعد أن ذكر المؤرخون اليهود أن فرعون الخروج كان طاعنا في السن ، عندما قاد الجيوش لمطاردتهم ...

لكن هذه الآراء سنقوم بمناقشتها عند الحديث عن (الخروج) في الفصل التالى .

الفصل الثـــالث عشر

سيناء والخروج

بعض الكتاب يرفض قصـــة الخروج ، وبعضهم يرفض ما تعلق بها من بعض الاساطير .. وهناك نظريتان في هذا الصدد ، جاء ذكرهما في كتاب فرويد (موسى والتوحيد) الذي ترجمه محمد العزب موسى .. فضلا عن بحث له في مجلة الهلال عـــدد اول يونيو ١٩٧١ بعنوان « موسى في سيناء » :

والنظرية الاولى هي نظرية هوجو وينكلر : وهو يهودي يرى ان الخروج لم يحدث في مصر ، وأن اليهود أصلا لم يأتوا الى مصر . وأن كلمة (مصرايم) التي وردت في سفر الخروج لا تشير الى مصر النيل ، وانما الى اقليم موزري جنوبي البحر الميت ، والذي يمتد حتى الحدود الشرقية لمصر ، ويضم جبل سير ، ومدينة البتراء ، وأرض مدين ، وأدوم ·

ويضيف وينكلر ، أن اسم هذا الاقليم ، اختلط في ذاكرة اليهود بعد ذلك باسم مصر ، لان سكان هذه المنطقة ، وكل كنعان ·· كانت تحت حكم مصر ، واخترعت العقلية اليهودية (أسطورة) الخروج بكل تفاصيلها ، رمزا للخلاص من الحكم المصري · ويؤيد وينكلر رأيه بما أستقاه من كتاب لانفيل بعنوان « التراث المصري : مصر وأسرائيل » ·

ونحن لا نتفق مع وينكلر في هذا الرأي ، ورفضه للخروج · ثم ان نظرية وينكلر يهدمها من أساسها ، ما ورد في التوراة من وصف دقيق للطبيعة الجغرافية المصرية ، كفيضـــــان النيل ، وما يؤدي هبوط منسوبه الى انتشار الاوبئة والامراض ، وكذلك وصف بعض أقاليم مصر ، وجوها ·· الامر الذي يدل عـلى أن العبرانيين كانوا فعلا في مصر ·

ويؤيدنا أيضا في الرأي ، ما جاء في كتاب : (حضارة مصر

والشرق الادنى القديم .. الساميون القدماء) للدكتور حسن احمد محمود . ففيه ادلة تاريخية ثابتة على وجود جاليات سامية فى مصر منذ زمن الهكسوس ، وتتكون هذه الجاليات أساسا من قبائل كنعانية باسم (يعقوب أيل) . والارجح أنها لم تكن من المؤكد أنها قبيلة يعقوب ويوسف . وما دام الامر كذلك ، فلا بد ان تكون هذه الجالية قد خرجت فيما بعد من مصر ، مع حرصها على عدم الاندماج فى الوسط المصرى .

ثم ان تاريخ مانيتون يشير الى وجود اليهود بمصر .. وقد تناول وجودهم فى عبارات غامضة باعتبارهم مواطنين مصابين بالبرص ، أمرهم الملك امينوفيس بمغادرة البلاد ، بعد أن استقروا زمنا فى المحاجر التى تقع على الجانب الشرقى للنيل .

والنظرية الثانية هى نظرية فرويد : فهذا العالم النفسى اليهودى ، يرى أن موسى لم يكن يهوديا بالجنس ، وانما كان مصريا دما وعقيدة . وأنه أعطى عقيدته المصرية — التى هى ليست سوى عقيدة آتون الفرعونية — لبنى اسرائيل ، وقادهم فى الخروج من مصر ، بعد انهيار الدولة فى مصر عقب مأساة اخناتون . وفى الفلاة تنكر اليهود لسيدهم المصرى وقتلوه ، وارتدوا عن عبادة (أدوناى) .. أى (آتون) الى عبادة (يهوه) اله البراكين . ولم يعودوا مرة أخرى الى الشريعة الموسوبة الا تدريجيا عبر القرون ، لان ذكرى موسى ظلت قوية فى أذهانهم . ولكن نتيجة لتنكرهم المشين لهذا الزعيم المصرى العظيم ، أصيبت النفسية الجماعية اليهودية بعقدة تاريخية . وحاول اليهود كبت حقيقة أن موسى كان مصريا ، وأنهم اغتالوه ، فاقترفوا فى سبيل ذلك سلسلة من الاكاذيب والتشويهات لتغطية هاتين الحقيقتين المؤلمتين ..

واستطرادا من هذه النظرية ، ينفى فرويد أمرين :

١ — أن يكون موسى المصرى قد ذهب الى أرض مدين ، وتلقى

على جبل حوريب كلمة (يهوه) اله البراكين ، الذى زوده بمعجزات سحرية ، وأمره بمحاجاة فرعون واخراج بنى إسرائيل ٠

ويرى فرويد أن صورة موسى مدين ، لا تتمشى مطلقا مع صورة موسى قائد الخروج من مصر ٠ وأن صفات (يهوه) ، الذى كان شيطانا مهلكا ، محبا للدماء ، لا تتمشى مع صفات الاله الواحد الاحد الذى علم موسى عبادته ، والذى يحرم السحر والشعوذة تحريما تاما ٠

ويخلص فرويد من ذلك الى أن اليهود مزجوا بين كاهن مدين ، وموسى المصرى ، أو بمعنى آخر قاموا بعملية (اسقاط) كاهن مدين على شخصية موسى لاخفاء حقيقة موسى ، وما ارتكبوه من أخطاء فى حقه وحق الهه ٠

٢ ــ يرفض فرويد كل التفاصيل المتعلقة بالخروج ، مثل محاجاة فرعون ، والطواعين العشرة ، وشق البحر ، وتلقى الرسالة على جبل سيناء ٠ ويرى فرويد أيضا أن (الخروج) تم بسهولة لنفوذ موسى فى البلاط المصرى ، وأنه استطاع أن يقود بنى اسرائيل ــ بيد قوية كما تقول التوراة ــ ولم تكن هناك مطاردة أو أى شىء من هذا القبيل ٠ وأن هذه التفاصيل جميعا ، حين سجلت فى التوراة ، بعد هذه الاحداث بعدة قرون ، لم تكن أكثر من أساطير دينية ، تسجل تراثا ينحدر منذ زمن سحيق ، لاضفاء القدسية والمهابة على ذلك الحدث التاريخى ، ولاخفاء مصرية موسى فى نفس الوقت ٠

ونحن لا نتفق مع فرويد ــ مع أنه يهودى ــ فى الكثير مما أورده ، ولكننا أوردناه لنعرض بعض الآراء التى قيلت فى الخروج وعصره وطريقه ٠ فقد اهتم كثير من المؤرخين والباحثين بالخروج وطريق الخروج فى العصر الحديث ٠ ومن بين هؤلاء ولكوكس ، ولبنان ، وروبرتسون ، وجاردنر ، وبترى ٠٠ بالاضافة الى ما ورد

فى سليم حسن ، وعلى شافعى ٠٠ والحفائر التى أجريت فى مدينة (قنطير ٠٠ وهؤلاء جميعا وغيرهم الكثير حاولوا مقـــارنة ما توافر لديهم من معلومات بما جاء فى التوراة ٠٠ وبما جاء أيضا بالخرائط القديمة حول البحث عن طريق الخروج ٠ وهناك خريطة هامة تعود الى العصر البطلمى محفوظة بالفاتيكان ، عليها أسماء البلاد والمراحل التى تم بها الخروج ، وهى باللغات المصرية القديمة ، والعبـرية والعربية ٠ وبالمقارنة بما فى الخرائط والتوراة ، أمكن تحديد عدة مواقع لتحديد طريق الخروج ، وتشمل : رعمسيس ، سكوت ، بيداء ايتام ، فم الحيروت ، يم سوف ، ارض شيحور ،مجدول، بعل زيفون ، ومدين ٠

على أن السؤال الذى ينبغى علينا أن نبدأ به هو : متى حدث الخروج ، ومن هو فرعون الخروج ؟

وكما جاء فى كتاب (موسى والتوحيد) ، فان هنـــاك آراء كثيرة فى الموعد الذى خرج فيه بنو اسرائيل من مصر ، وفى فرعون الخروج ٠

والخروج ينحصر فى الفترات التالية :

١ ــ من وقت طرد الهكسوس من مصر ، الى حكم تحتمس الثالث ، أى من عام ١٥٧٠ قبل الميلاد ، الى عام ١٤٤٠ ق٠م٠ على وجه التقريب ٠

٢ ــ من انهيار الاسرة الثالثة عشرة الى زمن رمسيس الثانى ومرنبتاح ابنه ٠ أى من عام ١٣٥٠ ق٠م٠ الى عام ١٢٢٥ ق٠م٠

٣ ــ بعد انهيار الاسرة التاسعة عشرة ، أى من عام ١٢٠٠ ق٠م٠ الى ما بعد ذلك ٠

ويرفض الباحثون الفترة الاولى والفترة الثالثة ، على أساس أن الاولى مبكرة جدا ، والثانية متأخرة جدا ٠ ولا يستقيم تاريخ

بنى اسرائيل اذا أخذناهما ٠٠ وتبقى الفترة الثانية – وهى المرجحة للخروج – ولكن فى أى عهد من عهود فراعنة هذه الفترة حدث الخروج ؟

وهناك عدة آراء فى ذلك :

اولا ، فى عهد تحوتمس الثالث : فطبقا لحساب التوراة ، يكون فرعون الخروج هو تحوتمس الثالث ، الذى حكم خلال الفترة الاولى ، وتوفى عام ١٤٤١ ق٠م٠ فسفر الملوك الاول يقرر أن بناء الهيكل فى عهد سليمان كان عام ٤٨٠ لخروج بنى اسرائيل من مصر ، وفى السنة الرابعة لملك سليمان على بنى اسرائيل ٠ ولما كان سليمان قد حكم عام ٩٦٥ ق٠م٠ ، وبدأ بناء الهيكل بعد مرور أربع سنوات من حكمه ، أى حوالى عام ٩٦٢ ق٠م ، فمعنى ذلك أن الخروج حدث عام ١٤٤٢ ق٠م٠ كما يرى جون الدر فى كتابه : (الاحجار تتكلم) والذى ترجمه عزت زكى الى العربية ٠

ويؤيد هذا الرأى ، أن تحوتمس الثالث كان مغرما بالعمارة، ومن آثاره لوحة تصور أسرى ساميين يعملون فى مشروعاته ٠ وفضلا عن ذلك أنه اذا كان بنو اسرائيل قد قضوا ٤٠ سنة فى التيه بسيناء ، يكون معناه أنهم غزوا أرض كنعان تحت قيادة يوشع بن نون عام ١٤٠٠ ق٠م ، وهو التاريخ الثابت أثريا لحدوث غزو كبير لممالك كنعان ، واحراق وتخريب مدينة (عاى) فى منطقة أريحا ٠٠

لكن ٠٠ ينقص من هذا الرأى ، أن تحوتمس الثالث كانت جل آثاره فى الصعيد ، ولا يمكن أن تنسب اليه مدينتا (بر رعمسيس) و (فيثوم) اللتان تقرر التوراة أن بنى اسرائيل استعبدوا فى بنائها ٠ وأما عن تخريب ممالك كنعان ، فليس من الضرورى أن يكون قد حدث على أيدى الاسرائيليين الخارجين من مصر ٠ والمرجح أنه حدث فى فترة الفوضى التى صحبت عهد اخناتون ، والتى تشير فيها وثائق تل العمارنة – كما قلنا – الى

قوم يدعون الخابيرى ، أو العابيرو ٠٠ هاجموا أملاك الامبراطورية المصرية في فلسطين ٠

كذلك فان القول بالخروج من مصر فى عهد تحوتمس الثالث، معناه أنهم لم يلحقوا عصر اخناتون فى مصر ، مع أن هناك تأثيرا قويا وفعالا لعقيدة آتون فى الشريعة الموسوية ، الى درجة أن بعض نصوص التوراة ، عبارة عن ترجمة حرفية لاناشيد اخناتون ٠ ولا يمكن أن يكون اليهود قد حملوا كل هذه البصمات من عصر اخناتون ، دون أن يشهدوا هذا العصر فى مصر ٠

ثانيا ، بعد وفاة اخناتون : وهذا هو رأى فرويد استطرادا لنظريته فى مصرية موسى ٠٠ كما يدل على ذلك التطابق بين شريعة موسى وعقيدة اخناتون ٠ وحقيقة فان موسى فرض على شعبه عادة (الختان) ، وهى عادة مصرية قديمة ٠ فلا بد أن يكون موسى معاصرا لاخناتون ، بل ومن أعضاء البيت المالك ٠ وربما كان موسى كاهنا أو أميرا أو قائدا فى بلاط اخناتون ، وبعد انهيار آماله فى مصر بانتظار سيطرة عقيدة اخناتون ، قرر أن يتحدى قدره، ورفض التخلى عن عقائده التى هى أعز لديه من وطنه ، فأعطى تلك العقائد التى رفضها المصريون لاكثر فئات المجتمع اضطهادا وهم الساميون المقيمون فى ارض جاسان ، وقادهم الى الخروج فى فترة الفوضى التى تلت موت اخناتون ، وسبقت استيلاء قائد الجيش حور محب على السلطة ٠٠ فيما بين عامى ١٣٥٨ ق٠م٠ و١٣٥٠ ق٠م٠

غير أن فرويد لا يتشبث بهذا الرأى فى موعد الخروج ، بل يرى أن نظريته فى مصرية موسى ، تستقيم كذلك اذا تأخر موعد الخروج بعض الوقت ، اذا افترض أن موسى كان كاهنا فى مدرسة (أون) ـ عين شمس ـ التى استمرت فيها عقيدة (آتون) حية عدة أجيال ، بعد القضاء عليها من الناحية الرسمية ٠

ويؤيد رأى فرويد فى هذه الناحية الدكتور أحمد سوسة

في كتابه (العرب واليهود في التاريخ) يقول : (إن هجرة موسى هي هجرة جماعة من الوحدويين ، وجدت نفسها معرضة للاضطهاد بعد وفاة اخناتون ، ففضلت الهروب من البلاد والاتجاه ناحية الشرق ، ويمكن أن نطلق على هذه الجماعة (قوم موسى) ، وكانوا يتكلمون المصرية القديمة) ٠

ثالثا ، في عهد مرنبتاح او (منفتــــاح) : ويرجح اغلب الباحثين أن يكون الخروج قد تم في عهد مرنبتاح ١٢٢٥ ـ ١٢١٥ ق٠م٠ وبذلك يكون هذا الفرعون هو فرعون الخروج ، ويكون رمسيس هو فرعون الاضطهاد .. في رأى التوراة ، التي تفرق بين فرعون الخروج ، وفرعون الاضطهاد .

● ● ●

ويأتي سؤال آخر ٠٠ ما هو مسار الخروج من مصر ؟!

تقول التوراة ٠٠

● **في اليوم الاول :** يبدأ من مدينة رعمسيس الى سكوت ٠ وغادرها ستمائة ألف ماش من الرجال ، خلا الاطفال ٠ وكان في الشهر الاول ، في اليوم الخامس عشر منه ، في عيد الفصح على مشهد من جميع المصريين ٠ وقد اختاروا هذا الشهر ، لانه شهر الجفاف والتحاريق ، والذي تجف فيه الحياض والترع ، ويمكن عبور النهر على الاقدام وبالعربات ، فلا يلفتوا النظر ، ولا يحتاجون سفنا لنقلهم ونقل متاعهم ٠

وجدير بالذكر هنا ، أنه للتوضيح نقول ان مدينة بر رعمسيس كانت في موقع مدينة (قنطير) التي بها قصر رعمسيس ٠ و (سكوت) التي قضوا فيها الليلة الاولى من خروجهم ، في منطقة الصالحية ٠ وكانت بها قلعة تسمى « ختم سكوت » التي كان يذهب اليها مرنبتــاح لصيد البط (يم بتوم ـ مرنبتاح) ٠٠ حيث بها بركة

الصيد المعروفة حاليا باسم سعده واكياد فى الشرقية . ويطلق على سكوت حاليا اسم (تل اليهودية) .

● **اليوم الثانى :** وكما تقول التوراه (وارتحلوا من سكوت ونزلوا ببيداء ايتام فى طرف البرية) . وبيداء ايتام كانت معروفة لدى الفراعنة باسم (أدم) وتحول اسمها الى (ايتما) فى عصر البطالمة ، وهى صحراء الفاقوسية الآن .

● **اليوم الثالث :** تقول التوراة (كلم الرب موسى ، وقال له مر بنى اسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروت .. بين مجدل والبحر ، أمام بعل زيفون تنزلون تجاهه فى اليم) .. و (قسى الرب قلب فرعون ملك مصر فتبع بنى اسرائيل ، وبنو اسرائيل خارجون بيد سامية) .

هذه الفقرة من التوراة تؤكد ما ورد فى البرديات القديمة ، من أن بنى اسرائيل خرجوا من مصر باذن فرعون. ثم اكتشف بعد رحيلهم سرقة ذهب ومصاغ المصريات بحجة استعارته فى عيدهم ، ثم هربوا به مع ما سرقوه من خزائن الدولة . فتبعهم فرعون بجنده ، مما دعاهم الى تغيير خط سيرهم من طريق بلوزيوم أو الفرما ، وهو الطريق الساحلى .. الى طريق سيناء — أو جنوبها — حتى لا يلحق بهم فرعون وجنوده .

● **اليوم الرابع :** وكما تقول التوراة ، فان فرعون تبع موسى وقومه فى ٦٠٠ عربة يسوقها نخبة من فرسانه ، ولحقوا ببنى اسرائيل بالقرب من (يام سوف) . وكلمة (يام) الواردة فى التوراة هى كلمة (يم) الفرعونية .. ومعناها البركة أو المستنقع. و (سوف) معناها البوص .. والمعروف أن البوص لا ينمو سوى فى المياه العذبة ، لذا فان (يم سوف) كانت من المستنقعات أو البرك الواقعة شرقى بحيرة المنزلة ، والتى كانت تتغذى بالمياه من فرع حور الشرقى ، احد فروع النيل فى ذلك الوقت .. ومن

المعروف أن هـــذه البرك تنكشف أرضها لدى هبوب الرياح الشرقية والجنوبية الموسمية — كما تقول الجغرافيا — ويمكن عبورها بالسيارة أو بالاقدام ، كما هو الحال فى طـــريق بلطيم — البرلس ، الذى تغمره المياه وترتفع الى ما يزيد على المتر مع هبوب الرياح الغربية . وكما تقول التوراة : (ومد موسى يده على البحر ، فارسل الرب ريحا شرقية طول الليل جعله جفـــافا وانشق الماء) .

ومما يذكر ، أن (يام سوف) يقع شمال الاســـماعيلية ، ويبعد عن البحر الاحمر حوالى ٧٠ كيلو مترا . كما أن (أرض شيحور) التى انتقل اليها بنو اسرائيل بعد عبورهم (يام سوف) تقعشمال السويس بما يقرب من ٦٠ كيلو مترا ، وهى أولمنطقة وصلوا اليها فى سيناء .

ولقد قيل أن غرق فرعون وجنده فى البحر ليس الا أسطورة. ويدلل الذين يقولون بهذا الرأى على ذلك ، بأن مرنبتاح سجل انتصاره على بنى اسرائيل فى لوحه نصره ، أو «رسائل أتريب» بالاضافة الى ما جاء فى مانيتـــون وافريكانوس المؤرخين من أن مرنبتاح طرد بنى اسرائيل فى العام الخامس من حكمه ، وحـــدد تاريخ طردهم باليوم والشهر .. بما يتفق مع ما ورد فى ســـفر الخروج ، وأنه عاد الى عاصمته واحتفل بالنصر . وان حكمـــه استمر بعد طرد اليهود ١٤ سنة ، قام خلالها بفتوحاته واحـــرز انتصاراته المشهورة .

والحقيقة أن الذين يقولون بهـــذا الرأى غير دقيقين .. ولا يستندون على أدلة قوية ، خاصة وان القرآن الكريم يتفق مع التوراة الاصلية ،كما يتفق مع الحقائق التاريخية . يقول القرآن الكريم فى سورة « طه » : (واوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا ، فاتبعهم بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم) . وفى قوله تعالى : (وجاوزنا ببنى اسرائيـــل البحر فاتبعهم فرعون بغيا وعدوا ، حتى اذا أدركه الغـــرق قال

آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين).

والآية الكريمة تقول أيضا : (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ،وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) سورة يونس .

ويقول البعض أن الجملة التى وردت فى القــــرآن الكريم (ننجيك ببدنك) تعادل التعبير العامى (خلص أو نفد بجلده)٠٠ وقد تعنى أن فرعون وجنوده أغرقتهم المياه ، ولكنه لم يمت ، وانما نجاه الله ببدنه ليكون آية لمن خلفه . أو قد يكون تفســـيرها أن فرعون غرق ومات وانتشلت جثته لتكون آية لمن خلفه ٠٠ وهـذا بالطبع يحتاج الى الكثير من التفسير نعود اليه فى الفصل القادم.

● ● ●

والآن وبعد أن انتهينا من المرحلة الاولى فى (الخروج) بعد ان عبر بنو اسرائيل (يم سوف) وصاروا على مشارف سيناء ، او على بداية برية سيناء نواصل الحديث عن هذه المرحلة الثانية ٠٠

وهذه المرحلة الثانية حدث حولها الكثير من الاهتمام القديم، ثم تجدد الاهتمام فى الفترة بعد الاحتلال الاسرائيلى لسيناء عام ١٩٦٧ . فقد قامت بعض البعثات الاثرية الالمانية ، والامريكية ، والاسرائيلية ٠٠ فيما أطلق عليه المسح التاريخى لسيناء للبحث والتنقيب فيها عن مسيرة خروج بنى اسرائيل ٠٠

وهذه الابحاث بدأت بمنطقة شرقى البحيرات المـــرة ، التى اعتبرت هى (يم سوف) ٠٠ وقالت الابحاث ان منطقة الدفرسوار هى الممر المائى الذى عبره بنو اسرائيل نظرا لضحالة مياهه ،وتأثر المد والجزر بها والرياح الجنوبيه والشرقيـــة التى تهب فى ذلك الوقت بالذات من السنة ، والذى اختير للخروج . كما أنها تنطبق عليها الاوصاف التى وردت فى التوراة ٠٠

وجدير بالذكر ، انه من خلال البحوث التى قام بها جوردون

جاسكيل ، والبروفيسور منشه جابرييل ، يمكن أن نتتبع المرحلة الثانية من طريق كالآتى :

اولا : ساروا من أمام فم الحيروت ، ومروا وسـط سـطح اليام ٠ وهكذا كما تقول التوراة ــ (أحضر موسى اسرائيل ،ومشوا فى بيداء شور ، ومكثوا مسافرين ثلاثة أيام ، ولم يجـدوا ماء ، وضربوا خيامهم فى مارا) ٠

ثانيا : وصلوا الى مارا ٠٠وهو أول مكان وصلوا اليه بالقرب من البحر الاحمر ، ويقع على الشاطىء الشرقى لخليج السويس فى مواجهة مدينة السويس ٠ وهذا المكان يطلق عليه الآن (بئر المر)٠ وعنده حدثت احدى معجزات موسى (عندما ضرب صخر البئـر بعصاه السحرية فذهبت ملوحة المياه) ٠ وتبلغ المسافة بين بحر سوف ومارا حوالى خمسين كيلو مترا ، وهى المسافة التى قطعت فى ثلاثة أيام ٠

ثالثا : ارتحلوا من (مارا) الى (ايليم) ، حيث بهـا ١٢ بئرا وسبعين نخلة . وايليم هى (عيون موسى) الحالية .وتبعد عن مارا بحوالى ١٥ كيلو مترا ، وهى الواحة الوحيـدة من بين واحات سيناء الـ ٢٥٠ واحة ، التى يبلغ عدد عيونها ١٢ عينا ٠

رابعا : وهى أهم المراحل فى خروج بنى اسرائيل ، حيث وصل موسى وقومه الى (رافيديم) ، بعد مسيرة يوم من (ايليم)، وتقع عند مدخل الوادى المقدس ٠ ومنها شاهد موسى جبل حوريب الذى صعد اليه ليكلم ربه (فاستبطأه اليهود عندما ذهب لميقـات ربه ، فكفروا بموسى وربه واتبعوا السامرى ، أحد علمائهم الذين هربوا مع موسى ــ كما يصفه القرآن الكريم ــ فأمرهم أن يخلعوا حليهم التى استولوا عليها من المصريات وصنع لهم عجلا جسدا له خوار ،وقال لهم هذا الهكم واله موسى ٠٠ فعبدوا العجل ، وكان معهم هارون أخو موسى فلم يستطع أن يفعل لهم شيئا) ٠

وجدير بالذكر هنا أن هناك رأيا يقول أن رافيديم هي سدر الحالية . والوادى المقدس – كما يقال – لا يخرج عن كونه وادى سدر . كما أن جبل موسى الذى يقع على راس العين من رافيديم هو جبل (سن بشر) .. وهذه التسمية فسرت على أنها تعنى تشاريع البشر أو الوصايا العشر التى نزلت على موسى . فجبل حوريب هو (سن بشر) ، وهو جبل موسى .

أما جبل موسى فى طور سيناء ، فهو يبعد عن عيون موسى بمسافة ٣٢٠ كيلو مترا .. مما يتعارض مع ما ورد فى التوراة نفسها ، من أن موسى وقومه بلغوا الوادى المقدس وجبل حوريب بعد مسيرة يوم واحد من عيون موسى . كما أن الجبل لا يمكن مشاهدته بالعين المجردة من ذلك البعد ، أى من عند رافيديم . بالاضافة الى ارتفاعه ٧٦٠٠ قدم ، بينما لا يزيد ارتفاع جبل (سن بشر) على ٢٤٠٠ قدم .

ويؤيد هذا الرأى ما يقولونه من أن احجار اللوحات التى نقش عليها موسى الوصايا العشر من الحجر الجيرى اللين ، الذى يسهل حفره . وقد تحطمت عندما سقطت على الارض ، أو عندما القاها موسى – كما يقول القرآن الكريم – أو حطمها – كما تقول التوراة – وهذا يثبت أن الاحجار جاءت من حجر جبل (سن بشر) الجيرى وليس من حجر جبل موسى البازلتى أو الجرانيتى . كما ذكرت التوراة أن موسى اتجه ببنى اسرائيل من الجبل الى بئر دلهم عليها أو فجرها اسمها (بئر رتما) .. وقد ثبت وجود البئر فعلا فى مجرى وادى سدر ، ويطلق عليها (يمن ريتما) .

كما يؤيد أصحاب هذا الرأى نظريتهم ، أنه اكتشف أن المن والسلوى لا وجود لهما على الاطلاق فى منطقة جبل سيناء ، وليس لهما وجود الا فى منطقة وادى سدر .

ويتفق ابراهيم أمين غالى مع الذين يقولون بهذا الرأى ..

وان كنا لا نتفق معه ، لان القرآن الكريم لا يدعمه ·· ونحن نؤمن بما جاء في القرآن الكريم · فابراهيم أمين غالى يرى أن الخروج هو قصة أسطورية ، وأن هناك تخبطا فى تفسير الاماكن التى مر بها الشعب الاسرائيلى ، فالبعض يرى أن جبل الشريعة هو جبـل السربال . والاخر يرى عكس ذلك ، ويؤكد أنه جبل الصفصافة احدى قمم جبل موسى ·

ويتفق مع ابراهيم غالى الاستاذ منشة جابرييل أســـتاذ الجغرافيا وتاريخ الاديان بالجامعة العبرية ·· والذىقام بالبحث والتنقيب فى سيــنـاء ، ويرى « أن جبل موسى ليس هو الجبل المقدس ، وأنه لا يعلن هذا الرأى حرصا على شعور اليهود الذين يحجون الى المنطقة منذ القرن السابع الميلادى وحتى الآن .. » .

وما يراه منشة جابرييل كيهودى ·· وما يراه ابراهيم أمين غالى ، فيما يعتقدان هو افتراء علىالحقائق التاريخية الايمانية ·· ونحن نرفض آراءهما الى ان يأتونا تثبت مايقولانه .. وأعتقـد انهما لن يأتيا بالادلة .

● ● ●

أخيرا ·· ماذا فى المرحلة الاخيرة من خروج موسى ·· وبنى اسرائيل حتى وصلوا الى فلسطين ؟

يرى ابراهيم غالى ــ وهو رأى جرىء عـــلى أية حال ــ أن الاجزاء اللاحقة من الكتاب المقدس ، لم تشر الى موسى ، اذا استثنى منها اشارتان عابرتان ، وكأن العلاقة بين سيناء وموسى ، وبين اليهودية وأرض الميعاد قد قطعت · بل انه من الامور المحيرة خلو شبه الجزيرة من الآثار التى تعبر عن تقديس المكان الذى تلقى عليه العبريون الوصايا العشر ونواميس شريعتهم ·

ويتساءل .. ما هو تفسير ذلك ..؟!

ويرى أن سر احجام بنى اسرائيل عن المحافظة على ذكرى سيناء ·· هى مسألة وفاة موسى · لقد اتهمت التوراة موسى بخيانة الرب ، فهى تقول : « مت فى الجبل كما مات هارون اخوك فى جبل هور لانكما خنتمانى .. فانك تنظر الارض من قبالتها ولكنك لا تدخل الى الارض التى اعطيتها لبنى اسرائيل » ..

ويقول لماذا توارت فى التوراة ذكرى موسى ، وكأنها صفحة من تاريخ اليهود وقد طويت ؟!

ونقول له ان ما فعله بنو اسرائيل مع موسى ·· جعلهم يخزون من تاريخهم المخزى ، كما أن هذا يعود الى أن الاسرائيليين حاولوا محو كل الآثار المصرية فى تاريخهم ، قبل دخولهم أرض الميعاد ، ليبنوا عليها نظرية شعب الله المختار ··

على أن ذلك كله لم ينفع حينما جاءت المسيحية وانتشرت فأعادت الى سيناء ذكرى موسى ، وامتلأت شبه الجزيرة بأسماء موسى التى أطلقت على كثير من الاماكن ، فهناك عيون موسى غرب السويس على الضفة الشرقية للخليج · وحمام موسى قرب الطور، وجبل موسى ، وعليقة موسى ، وبئر موسى فى دير طور سيناء . وصخرة موسى فى وادى فيران .. وحتى سمك موسى .. الذى قال عنه أقباط مصر — كما يرى ابراهيم غالى — فى تقاليدهم أنه انشق مع انشقاق مياه البحر .. ولذلك سمى بسمك موسى .. وان كان ذلك يحتاج الى بحث وتدقيق .

الفصـــل الرابع عشر

موسى فى القرآن الكريم

أطلنا الحديث حول سيدنا موسى ، وحول (الخروج) ..
وحول(جنسية) نبى الله موسى ، وحول بنى اسرائيل . كما عرضنا
لاجتهادات الذين أدلوا بدلوهم حول ما هو الفرعون الذى ظهر فى
عهده سيدنا موسى ؟! وكذلك الوادى المقدس فى سيناء ، هل هو
فى طور سيناء ، أم فى منطقة وادى سدر ؟!

وكل الذى عرضناه هنا للامانة العلمية فقط ، ولمن يريد
الاستزادة من المحاولات التى استمرت ـ واعتقد أنها ستستمر ـ
حول موسى وقصة (الخروج) ..

وأنا أعتقد أنه ستكون هناك بحوث ـ بعد أن جلى الاسرائيليون
عن ثلثى سيناء ـ من علمــــاء آثار وأديان يهود ، يحاولون ـ
مغرضين ـ أن ينفوا أنه كان فى سيناء خروج ، ويحاولون أيضا
أن يشككوا فى جبل موسى ، وأنه كان الجبل المقدس . والدليل
على ذلك ما ذكرناه من رأى للاستــاذ منشة جابرييل استـــاذ
الجغرافيا وتاريخ الاديان ، بالجامعة العبرية ، الذى قال أنه يتفق
مع رأى البعثات الامريكية والاسرائيلية والامريكية ، التى نقبت
فى سيناء بعد عام ١٩٦٧ ، والتى تأكد لها أن الوادى المقدس هو
وادى سدر ، وليس منطقة جبل موسى .. !!

وقد قال الاستاذ منشة جابريل هذا الرأى لمجلة المانية .
وحين سألته لماذا لا ينشر هذا الرأى وهو رأى جهة علمية ، قال
بالحرف الواحد :

ـ ان اليهود يحجون كل عام ، ومنذ القرن السابع الميلادى ،
وحتى اليوم الى جبل موسى ، ويتحملون مشقة الوصول اليه ،
وتسلق ٣٨٠٠ درجة من السلالم للوصول الى قمة الجبل . التى
يعتقدون أن موسى كلم ربه فوقها ، وتلقى منه الرسالة والوصايا ،

حتى صار ذلك الجبل بالنسبة لهم ، كالكعبة بالنسبة للمسلمين ٠٠ ولا يقل عدد من زاروا هذا الموقع عن عشرين مليون يهودى ٠ واعلان الحقيقة سيخيب آمالهم ، ويفقدهم الثقة فى أسطورة تحولت الى عقيدة) ٠٠ !!

هكذا قال الاستاذ منشة جابرييل ٠٠ من أن أسس الديانة اليهودية على جبل سيناء وتلقى الوصايا العشر ٠٠ هى أسطورة تحولت الى عقيدة ٠٠ ولا أعرف بالضبط ما هو السر وراء ذلك ،

بعد أن عرف اليهود أن حرب أكتوبر ستقتلع جذورهم من سيناء ، والى الابد ٠٠ وأن اليهود المؤمنين الذين سيزورون جبل سيناء ، بالاضافة الى انهم سيحجون هناك ، فستكون المنطقة سياحية تفيد مصر ، ولا يتصور ذلك الاسرائيليون ٠

لكن مع اتفاق منشة جابرييل مع ابحاث وتنقيبات البعثات أيام الاحتلال ، فاننا نطمئن ، اليهود ونقول لهم أن موسى نبى الله وكليمه .وأن العقيدة اليهودية ، أو الموسوية ، هى عقيدة الهية ، وليست أسطورة كما يحاول أن يرهص بها المغرضون ٠

● ● ●

والى هؤلاء اليهود ٠٠ ولكل من عنده شك ، نذكر ما ورد فى القرآن الكريم – وهو كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – بالنسبة لبنى اسرائيل ٠٠ هؤلاء الذين أتعبوا نبيهم كما لم يتعب نبى مرسل من قبل ولا من بعد مع من أرسله اليهم الله ٠

والواقع أن عناية القرآن الكريم باليهود واخبارهم ، كانت أمرا طبيعيا ٠ فقد كانوا من ألد أعداء الرسالة المحمدية ، وأشدهم نقضا للعهود ، كما نقضوها عدة مرات مع نبيهم موسى باعتراف (التوراة) نفسها ٠ ولم يطنب القرآن الكريم فى قصة مثلما أطنب فى قصة موسى بن عمران عليه السلام ٠ كما لم يفصل القرآن الكريم فى مساوىء قوم ، مثلما فعل فى مساوىء بنى اسرائيل ،

الذين شاهدوا ولمسوا معجزات نبي الله موسى ، ومع ذلك كفروا بالله ورسوله ، وأصروا على الوثنية ، وعبدوا العجـل ، وحرقوا التوراة ٠

وبالرغم من رحمة الله على بني اسرائيل ، أثناء خروجهم من مصر الى سيناء ، ونجاتهم ، وبالرغم من معجزات النبي موسى ، وانزال المن والسلوى ،وتظليل الغمام لهم .. وبالرغم من طلباتهم الكثيرة المتعددة .. بالرغم من ذلك كله ظل بنو اسرائيل قساة غلاظ القلوب على استعداد دائم للتمرد والارتداد .

فما أكثر ما تذمر بنو اسرائيل على موسى منذ البداية ..

ومثال ذلك ، في التوراة ، حيث تقول : (فلما اقترب فرعون رفع بنو اسرائيل عيونهم ، واذا المصريون راحلون وراءهم ، ففزعوا جدا ، وضرع بنو اسرائيل الى الرب ، وقالوا لموسى هل لانه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية ٠ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ، أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين : كف عنا لنخدم المصريين ، خير من أن نموت في البرية)؟!

وتقول التوراة في مكان آخر : (فتذمر كل جماعة بني اسرائيل على موسى وهارون في البرية ، وقال لهما بنو اسرائيل ، ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر ، اذ كنا جالسين عند قدور اللحم ، نأكل خبزا للشبع ، فانكما أخرجتمانا الى هذا الفقر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع) ٠

وفي مكان ثالث ، تقول التوراة : (فخاصم الشعب موسى ، وقالوا اعطونا ماء لنشرب ، فقال لهم موسى ، لماذا تخاصمونني ، لماذا لا تجربون الرب ٠ وعطش هناك الشعب الى الماء ، وتذمر الشعب على موسى ٠ وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش ٠ فصرخ موسى الى الرب قائلا : ماذا أفعل بهذا الشعب ، بعد قليل يرجمونني) ٠

هذا .. قليل من الكثير مما جاء فى التوراة ، وقد كتبها اليهود أنفسهم ، ونحيل القارىء اليها لقراءتها فى سفر الخروج..

وفى القرآن الكريم الكثير مما فعله بنو اسرائيل بسيدنا موسى عليه السلام :

● فى سورة الاعراف : « وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا آلها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون) .

● فى سورة البقرة : (واذا قلتم يا موسى ، لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم) .

● وفى سورة طه : « يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ، الا تتبعن أفعصيت أمرى . قال يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى) .

● وفى سورة المائدة : « يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها، فان يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون. وعلى الله توكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون . قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين. قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين) .

● وفى سورة البقرة أيضا : (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا

فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا • قالوا سمعنا وعصينا ، واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ، قل بئس ما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين) •

● وفى سورة البقرة كذلك : (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون• ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) •

● وفى سورة النساء : « ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ، وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضتم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم » .

● وفى سورة طه : (يابنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ، ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) •

وهناك رأي يرى أن سيدنا موسى عندما جاء بالالواح وعرض ما بها على بنى اسرائيل فى سيناء ، أعرضوا عنها ، ولم يقبلوا شرع الله لما رأوا فيها من تكاليف • فأمر الله جبريل عليه السلام ، فقطع جبل الطور — أو الجبل — من أصله ، ورفعه فوقهم ، وهددهم موسى بأنه ان لم يقبلوا تعاليم الله الذى أنجاهم منفرعون، فان الله سيلقى عليهم الجبل ، فيقضى عليهم • وقد ارتعد بنو اسرائيل لهذا المنظر ، وقبلوا شرع الله • ولكنهم سرعان ما نكلوا، فقال لهم الله : (كونوا قردة خاسئين) — كما جاء فى سورة البقرة — أى جامعين بين سوء المنظر والمظهر ، وبين حقارة الطوية والخسة ••

ومن العجيب أن بعض اليهود ، حتى العهد الحاضر ، يخافون

من جبل الطور ان يصبح يوما مقبرة لهم ٠٠ وربما هذا هو السبب الذى جعل منشئة جابرييل وغيره ، وجعل الكثير من الاحبار اليهود يحاولون اغفال جبل موسى ، ويروجون بأن تجلى الله لموسى لم يكن هناك ، وانما فى وادى سدر ٠

● ● ●

ونأتى الى سيناء فى القرآن الكريم ٠٠ حيث هنـــاك رباط وثيق ٠

يذكر القرآن الكريم سيناء بكسر السين ٠ ويذكرها القرآن الكريم مضافا اليها كلمة (الطور) ٠ فيقال « طور سيناء) ، كما جاء فى الآية الكريمة : (وشجرة تخرج من طور ســـيناء ، تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) ٠

وقد سماها ــ أيضا القرآن الكريم (سينين) ، كما جاء فى قوله تعالى : « والتين والزيتون وطور سينين) ٠

وفى سيناء ٠٠ الوادى المقدس ، حيث يذكر القرآن الكريم فى سورة طه مخاطبا سيدنا موسى : « انى انا ربك ، فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى) ويوجد فى سيناء ما ذكره القرآن الكريم من الوادى الايمن ، والبقعـــة المباركة ، كما جاء فى ســـورة القصص : (فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ٠ فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى انى انا الله رب العالمين) ٠

أيضا فى سيناء (الطور) وهو الجبل ٠ وقد تكرر ذكـر الطور فى آيات من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى فى ســـورة مريم : (وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا) ٠ كما ذكر القرآن الكريم الطور فى سورة التين : (والتين والزيتـــون وطور سنين ، وهذا البلد الامين ، لقد خلقنا الانسان فى احسن

تقويم) .. وواضح أن الحق سبحانه وتعالى قد جعل (الطور) أحد أشياء أربعة اقسم بها تنويها بشانها وتذكيرا بمكانتها .

وكما يقول د. احمد شلبى فى بحث له بمجلة الهلال فى يونيو ١٩٧١ بعنوان : « سيناء والاديان السماوية : انهناك رباطا مقدسا يربط بين سيناء والاسلام ، ذلك هو ورودهـا فى القرآن الكريم . فاحدى سور الكتاب سميت باسـم (الطور) . وورد ذكر الطور فى غير هذه السورة ثمان مرات . وارتبط فى مرتين منها بكلمة (سيناء) أو سينين .. ويرى بعض الباحثين أن المقصود (بطور سيناء) أو (طور سينين) .. شبه جزيرة سيناء كلها ، وليس جبل الطور وحده ، من باب اطلاق الجزء على الكل . كما أقسم الله سبحانه وتعالى بالطور فى مكانين من القرآن الكريم هما : (والطور وكتـاب مسطور فى رق منشور) .. ثم القسـم الثانى فى قوله تعالى : « والطور وكتاب مسطور فى رق منشور » . وهذا يدل على مكانه الطور فى الفكر الاسلامى . كما ورد ذكر الطور مرة للتدليل على صدق رسالة سيدنا محمد ، حيث يقول الله تعالى : (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنـذر قوما ما اتاهم من نذير قبلك) فالله سبحانه وتعالى يقول لرسولنا محمد عليـه الصلاة والسلام ، انك يا محمد لم تكن بالقرب من طور سيناء حينما نادينا موسى ، ولكنا اعلمناك ذلك لتقدمه لقومك دليلا على صدق دعوتك ، ولتنذرهم بعد أن مرت فترة طويلة على دعوة اسماعيـل للعرب ، فاصبح العرب فى عهدك - لطول المدة بينهم وبين اسماعيل - كانهم لم يشهدوا دعوة من قبل .

● ● ●

ونعود الى قصة سيدنا موسى بناء على ما جاء فى سور القرآن الكريم وعلاقته بسيناء ..

.. وكما قلنا من قبل ، فان موسى ولد فى فترة وجـود العبرانيين فى مصر . وأمه حين ولدته ، وضعته فى صندوق محكم والقته فى النيل ، (فقالت لاخته قصيه ، فبصرت به عن جنب

وهم لا يشعرون) • وقد قيل أن امراة فرعون وجدت الصندوق ووجدت الطفل فيه ، وارادت ان تربيه • وقـــالت اخته لامراة فرعون : (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) ؟ ... وجاءت بأمه لترضعه : (فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن) •

وكبر موسى فى قصر فرعون ، وعرف أنه عبـــرى ، ورأى ذات يوم مصريا وعبريا يقتتلان فقتل موسى المصرى • ويقال أن العبرى استنجد به مرة أخرى فنهره موسى ، فخاف العبرى وفتن عـــلى موسى بأنه قتل المصرى • فهرب موسى عبر صحراء سيناء الى أرض مدين • وهناك وجد فتاتين أمام بئر تريدان أن تستقيا ، ولكنهما لم يستطيعا ، فأدى موسى المهمة عنهما • وعادت الفتاتان الى أبيهما الشيخ وهو النبى شعيب كما ورد فى القرآن الكريم وقصتا عليه فأصرتا واقترحتا أن يستأجر ابوهما هذا الشاب القوى الامين . ووافق الاب ، وكان ميثاق على أن يتزوج موسى احدى الفتاتين لقاء أن يخدم الشيخ ثمان حجج أو عشر ان اراد وبالفعل حدث الاتفاق . وتزوج موسى احدى البنتين . ثم اراد بعد انتهاء المدة الرجوع الى مصر عبر سيناء ، وفى طريق العودة ، ابصر نارا فى طور سيناء ، فى جانب الطور الايمن . فقال لاهله : (امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى . فلما آتاها نودى يا موسى انى انا ربك ، فاخلع نعليـــك انك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك . فاستمع لما يوحى اننى أنا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى) .

وأقترب موسى من النار ، فوجدها شجرة خضراء ..

وفى رواية عن ابن عباس قال : رأى موسى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها ، كأنها نار بيضاء تتقد • وسمع تسبيح الملائكة ، ورأى نورا عظيما فخاف وبهت • فالقيت عليه السكينة ثم ناداه الله ..

وفى رواية عن وهب ، قال : (ظن موسى أن الشـــجرة أوقدت ، فاخذ من رقاق الحطب ليقتبس من لهبها ، فمالت اليه كأنها تريده ، فتأخر عنها وهابها .. ثم لم تزل تطمعه ويطمع

فيها ، ثم لم يكن أسرع من خمودها كأنهـا لم تكن . ثم رمى موسى بنظره الى فرعها ، فاذا خضرته ساطعة فى السماء ، واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الابصار . فلما رأى موسى ذلك ، وضع يده على عينيه ، فناداه الله ..

على أنه بعد أن علم الله نبيه قواعد الدين من التوحيد ، واقامة الصلاة ، وحسن السيرة ، والايمان الوثيق بالله وبالحساب ، زوده بالمعجزات التى تشد من أزر رسالته وتدعمها ..

وسأل الله موسى (وما تلك بيمينك يا موسى) .. وأجاب موسى ربه قائلا : (هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى).. فجعله الله جل شأنه يرمى عصاه ، فاذا هى حية تسعى . ثم أمر الله نبيه موسى أن يضع يده فى جيبه ، (فتخرج بيضاء من غير سوء) .. ثم أمره أن يذهب الى فرعون ـ مزودا بالمعجزات ـ لان فرعون طغى . فطلب موسى من ربه أن يشرح صدره لهذه المهمة ، وأن يحل عقدة لسانه ، ليفهموا قوله .. لانه كما يقال (ألثغ) والسبب أنه حين كان طفلا أخذ جذوة من النار ليأكلها فأثرت فى لسانه . كما طلب موسى من ربه أن يبعث معه هرون أخاه ، ليشد من أزره ، ويشركه فى أمره .. واستجاب له الله ..

وذهب موسى الى مصر ليبلغ رسالة ربه ، ومعه هرون أخوه، ليدعوان فرعون الى الايمان .. وأرى موسى فرعون المعجزات ، فلم يصدقها فرعون ، ووصف موسى بانه ساحر عظيم . وجمع فرعون السحرة من أنحاء مصر ليحاجوا موسى . لكن السحرة لم يستطيعوا أن يفعلوا وأبطل الله سحرهم .. وهنا قال السحرة (آمنا برب موسى وهرون) . وصدقوا رسالة موسى . وحين أنذرهم فرعون باشد العذاب ، وقطع أيديهم وارجلهم من خلاف ، تمسكوا بموسى وفضلوا الموت على نعيم الدنيا الزائل .

وتوالت الاحداث بين الايمان والشرك .. حتى أمر الله موسى وقومه الذين آمنوا بدعوته عبور سيناء الى فلسطين . وفى مسيرهم يسر الله لهم عبور البحر ، وأغرق فيه فرعون . وفجر الله لبنى اسرائيل الماء فى سيناء ، وانزل على بنى اسرائيل المن والسلوى.

وفى الوادى المقدس ، أوحى الله الى موسى (بالوصايا العشر) ، التى تدعو اليهود الى التوحيد ، ولا يكون لهم اله الا الله الواحد الاحد الفرد الصمد . وألا يصنعوا تمثالا يتخذونه صنما يعبدونه ويسجدون له . وألا يلهوا باسم الله الذى لا يغفر للعابثين باسمه. وأن يستريحوا يوم السبت من كل أسبوع، ولا يقتلون، ولا يزنون ولا يسرقون ، وألا يشهدون زورا قط ، وأن يسلموا من الحسد والتطلع الى ما فى يد الغير .

لكن .. بنى اسرائيل ظلوا فى غيهم وأغضبوا النبى موسى ، ونسوا وعد الله لهم ، ونقضوا ما وعدوا به موسى.. حتى أن موسى طلب من ربه أن ينزل عليهم غضبه الماحق . وعاقب الله قوم موسى على كفرهم فجعلهم يقتتلون . بل أن شعب اسرائيل ، حينما رفض الدخول الى الارض المقدسة فى فلسطين ، مخالفين بذلك الله ورسوله ، فان الله حرمها عليهم أربعين سنة ، يتوهون فيها فى الصحراء ، ويقاسون الالم والعذاب .

ويقرر بعض الباحثين أن التيه بسيناء هو الذى حدد بأربعين سنة ، وليس تحريم دخول الارض المقدسة . فالتحريم مطلق أبدى، أى لن يكون لهم فيها استقرار . ويدللون على ذلك بأن سيدنا موسى مات فى وادى الاردن ، ولم يدخل القدس ، رغم انه كان يراها . لكن الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه (قصص الانبياء) ، له رأى آخر فى تفسير التيه بأربعين سنة ، فيقول : (ان العلماء يقررون أن حضانة العلم خمس عشرة سنة ، فاذا ابتدأت امة تتعلم ، فانها تجنى ثمرة العلم بعد خمس عشرة سنة . وأما حضانة الاخلاق فمدتها أربعون سنة . لذلك أراد الله أن تبقى بنو

اسرائيل فى البرية اربعين سنة ، حتى يفنى الجيل الذى نشأ ، ويأتى جيل جديد) .

كما يقرر الباحثون أيضا ، من علماء الانثروبولوجيا ، أن خروج بنى اسرائيل من مصر ، كان حدا فاصلا بين عهد النقاء ، وعهد اختلاط الدم . فقد كان بنو اسرائيل يعيشون — كما وصفناهم من قبل — فى مكان أشبه (بالجيتو) الكبير فى مديرية الشرقية، بأرض (جوشن) .. لكن خروجهم من مصر ، كما يقول غوستاف لوبون فى كتابه (اليهود فى الحضارات الاولى) ، ألحق بهم عددا من المصريين الساخطين ، ومن الاسارى والعبيد . ولما جاوز بنو اسرائيل البحر — بحر القلزم — بدوا وكأنهم عشيرة واحدة ، كأنها من نسل رجل واحد ، وان كانت فى الحقيقة فاتحة صفوفها لجميع الفارين معها . ويؤيد هذا الرأى أيضا العلامة مرجليوث فى كتابه (تاريخ الشعب اليهودى) .

● ● ●

وهناك توضيح علينا الا نهمله ، وهو أن سفر العدد من التوراة ، يقول أن الذين خرجوا مع سيدنا موسى الى سيناء بلغ عددهم ٦٠٠ ألف من الرجال القادرين على الحرب ، بخلاف أبنائهم وزوجاتهم وتابعيهم . وهو تقدير ، لا شك ، مبالغ فيه . فاذا كان اليهود يعيشون فى مصر فى أرض (جوشن) ، أو (جاسان) .. فان هذه الارض — أو المنطقة — بعد البحوث التى أجريت ، لم تكن لتستطيع أن تتحمل هذا العدد الضخم . ثم ان صحراء سيناء لا يمكن أن يكون فيها من الموارد ، ما يكفى هذا العدد الكبير من المأكل والمشرب . ولذلك فنحن نوافق العلامة السير فلندرز بترى فى كتابه (مصر واسرائيل) ، الذى يرى أن هذا التقدير فى التوراة مبالغ فى رقمه ..

فالاصحاح الاول من سفر العدد يحصى الخارجين من مصر ، لنسل يعقوب على النحو التالى :

راؤبين ٤٦٫٥٠٠
شمعون ٥٩٫٣٠٠
جاد ٤٥٫٦٥٠
يهوذا ٧٤٫٦٠٠
يساكر ٥٤٫٥٠٠
زبولون ٥٧٫٤٠٠
أفرايم ٤٠٫٥٠٠
منسى ٣٢٫٢٠٠
بنيامين ٣٥٫٤٠٠
دان ٦٢٫٧٠٠
اشير ٤١٫٥٠٠
نفتالى ٥٣٫٤٠٠

ويقترح العلامة السير فلندرز بترى تفسير خانة الآلاف ، بأنها تعنى عدد العشائر التى فى كل قبيلة ٠ وخانة المئات ، بأنها تعنى العدد الحقيقى لافراد كل قبيلة ٠ ويعتمد فى هذا التفسير بأن كلمة (الف) بالعبرية ٠٠ تدل على العدد ، وتدل أيضا على العشيرة أو الاسرة ٠ و (ألف) أيضا اذا وضعنا الهمـــزة تحت الالف فانها تعنى بالعربية الالف أو الاسرة ٠٠

وتطبيقا لذلك تكون قبيلة راؤبين مثلا تضـــم ٤٦ ألفـا أو عشيرة ، أو أسرة . مجموع أعضائها حوالى ٥٠٠شخص.وقبيلة شمعون مثلا تضم ٥٩ أسرة ، مجموع أشخاصها حوالى ٣٠٠شخص.. وهكذا ٠ وهذا بالتالى يجعل عدد الرجال الذين خرجوا من مصر مع موسى ، والقادرين على الحرب ٥٦٥٠ بخلاف أبنائهم وتابعيهم ..وهو تقدير مقبول ــ كما يقول السير فلندرز بترى ــ اذا عرفنا أنه كانت هناك (قابلتان) فقط تقومان بمساعدة النساء الاسرائيليات على الوضع ، وأن موسى كان يفصل بنفسه فى المنازعات التى كانت تشجر بين أبناء شعبه ٠٠

وتوضيح آخر لا بد منه في ختام هذا الفصل ..

ففي الموسوعات الكثيرة مثل (موسوعة تاريخ العـــالم ، و (موسوعة ايفرى مان) ، و (موسوعة هتشســـــون للقرن العشرين) ، وكتاب (أديان العالم) للويز . وموسوعه هـ.ج. ويلز : (موجز تاريخ العالم) ... هذه وغيرها من الكتب الكثيرة ترى أن الخروج تم في عهد رمسيس الثاني . بينما تقول الدراسات الحديثة أن الخروج حدث في عهد منفتاح ، أو مرنبتـــاح ابن رمسيس الثاني وخلفه .

ويرى الدكتور الفرنسي موريس بوكاى في كتابه (الانجيل والقرآن والعلم) أنه طبقا للعقيدتين المسيحية والاسلامية ، فـان هناك فرعونين لهما علاقة بموسى عليه السلام . وقد جاء برأيه هذا بعد دراسة لمومياء رمسيس ومرنبتاح ، ساعده فيها خبيرا المنظار الكهربائي المشع د. يوسف المنيلاوى ود. رجائى المليجى . وهذا الرجل الطبيب كشف على مومياء مرنبتاح ، واكتشف مادة ملحية مترسبة داخل تجاويف صدره ، ونتيجة لذلك فقـــد قال د . موريس بوكاى أن مرنبتاح مات غرقا ، ثم امتلأ جسده بمـــاء البحر ، وبعد تبخر الماء لم تبق الا الترسبـــات الملحيـــة التى اختلطت بمادة الراتنجات ، المستخدمة فى عملية التحنيط .

ونحن هنا نؤكد بعد دراسات مستفيضة أن خروج موسى قد تم في عهدى رمسيس الثاني ومرنبتاح لان رمسيس الثانى عاش أكثر من ٩٠ سنة .. وأنه تنازل عن الملك لابنه مرنبتاح وهو حى يرزق .. وربما جاء الخروج فى السنوات الاولى من حكم مرنبتاح ، بينما والده كان لا يزال على قيد الحياة .

الفصل الخامس عشر

المسيحية وسيناء

في سفر هوشع ، وأسفار أغلب الانبيـــاء اللاحقين ، بعض الآثار التى تدل على أن النبى موسى لقى نهاية عنيفة ، اثر تمرد قام به ضده فريق من شعب اسرائيل العنيد العاصى • وأن الموسوية ـ الشريعة التى نزلت على سيدنا موسى ـ قد هجرت •• وقد يكون هذا سبب بكاء اليهود عند حائط المبكى تكفيرا لهم عما ارتكبوه من ذنوب فى حق النبى موسى •

ولقد قيل أنه فى أواخر عهد (الاسر البابلى) ، انبثق الامل بين الشعب اليهودى بأن الرجل الذى أنقذ اليهود ، ثم جحـــدوا فضله وعاملوه بكل قسوة ، سوف يعود من مملكة الموتى ، ليقود شعبه النادم التائب ، وغير شعبه أيضا ، الى مملكة البركة الخالدة .. وقد كان هذا فيما يبدو من مبررات الارهاص بقدوم السيد المسيح ، كرسول الى بنى اسرائيل •

وجاء السيد المسيح ، وكما يقول ابن اسحاق الثعلبى فى كتابه (قصص الانبياء) أن مولد السيد المسيح كان بعد مضى ٤٢ سنة من حكم أوغسطس ، وواحد وخمسين سـنة من ملك ملوك الطوائف •

يقول انجيل متى : أن هيردوس ملك اليهود من قبل قيصر، لما علم بولادة السيد المسيح ، ورأى أن مجوسا من بلاد المشرق ، قد جاءوا خصيصا ليسجدوا للطفل الالهى ، الذى رأوا نجمـــه ، ويقدموا له هداياهم من الذهب والمر واللبان •• سأل هيرودوس المجوس : لماذا اختاروا الذهب ، المر ، واللبان ؟ فقالوا : تلك أمثاله ، لان الذهب هو سيد المتاع كله ، وكذلك هذا النبى هو سيد أهل زمانه • ولان المر يجبر به الجرح والكسر ، وكذلك هذا النبى يشفى به الله كل سقيم ومريض • ولان اللبان ينال دخانه

السماء ولا ينالها دخان غيره ، كذلك هذا النبى يرفعـه الله الى السماء ، لا يرفع أحد غيره (١) .

هنا يطلب هيرودوس من المجوس أن يبحثوا عن الطفـل الالهى،ويقدموا له هداياهم ، ثم يرجعوا اليه لينبؤه بمكان المسيح المولود ، ليذهب هو أيضا ويسجد له !!

لكن المجوس ، بعد أن اهتدوا الى بيت لحم ، والى البيت الذى كان السيد المسيح فيه ، وسجدوا له ، وقدموا هداياهم .. لـم يعودوا الى هيرودوس .. (اذ أوحى اليهم فى الحلم ألا يرجعوا الى هيرودوس) .

أما هيرودوس.. فلما احس ان المجوس قد سخروا منه، فقد غضب ، بل استشاط غضبا ، وأرسل جنوده القساة ، ليقتلوا جميع أطفال (بيت لحم) ، وكل تخومها من ابن سنتين ، فما دون هذه السن .. حتى يضمن بذلك التخلص من السيد المسيح . لكن لم يدر هيرودوس ، أن الملاك ظهر ليوسف النجار فى الحلم - وهو خطيب السيدة العذراء مريم البتول - وقال له، كما فى سفر هوشع، (قم فخذ الصبى وأمه وأهرب الى مصر ، وكن هناك حتى اقول لك. فان هيرودوس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه . فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا ، وانصرف الى مصر . وكان هناك الى وفاة هيرودوس، ليتم المقول من الرب ، بالنبى القائل : من مصر دعوت ابنى) .

وانجيل متى - الاصحاح الاول - يتحدث عن هجرة يسوع المسيح الى مصر عبر سيناء ، فيقول : (أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدها حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا . ولكن فيما هو متفكر فى هذه

(١) وان كانت بعض قصص الانبياء تؤكد ان هنـاك اثنين من الانبيـاء رفعا الى السماء هما ادريس عليه السلام والسيد المسيح عليه السلام .

الامور اذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف ان تأخذ مريم امرأتك . لان الذى حبل به فيها هو من الروح القدس . فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع . لانه يخلص شعبه من خطاياهم .. وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعو اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا . فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع) .

ثم يضيف انجيل متى قائلا : (فلما مات هيرودوس اذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر ، قائلا : قم وخذ الصبى وأمه وأذهب الى أرض اسرائيل . لانه قد مات الذين يطلبون نفس الصبى . فقام وأخذ الصبى وأمه وجاء الى أرض اسرائيل . ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضا عن هيرودوس — أى بعد هيرودوس — أبيه خاف أن يذهب الى هناك . واذ أوحى اليه فى حلم انصرف الى نواحى الجليل وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة ، لكى يتم ما قيل بالانبياء انه سيدعى ناصريا) .

● ● ●

وقد كان هروب العائلة المقدسة الى مصر عبر سيناء . ومصر كما يقول الثعلبى هى الربوة .. كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز (وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) .

ويبدو أن هيرودوس قد علم بعد فوات الاوان بهروب العائلة المقدسة الى مصر ، فأرسل عشرة جواسيس من قبله الى سيناء ومصر ، وأمرهم أن يفتشوا بتدقيق عن الصبى ، ويأتوا به حيا ليقتله بيده . ولكن الجنود العشرة لم يهتدوا الى الصبى الالهى (يسوع) ، ولم يعرفوا طريقه ومسيرته فى سيناء ، لانه أخفى من أعينهم . وقد كانت العائلة المقدسة تغير مكان اقامتها فى مصر ، شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . ومات هيرودوس قبل أن يتمكن من بلوغ مأربه .

وحين اذن للصبى بالعودة ، وقد بلغ سنه على أغلب الاحوال اثنتى عشرة سنة ، غادر الصبى الالهى جبل قسقام ، الذى كان آخر نقطة وصل اليها فى جنوب مصر ، عائداً الى فلسطين ، وهكذا كانت الرحلة المقدسة الى مصر ارض الايمان عبر سيناء المقدسة .

لكن ٠٠ فى أى طريق من سيناء سارت العائلة المقدسة ؟

البعض مثل عبد الحميد جودة السحار فى كتابه عن السيد المسيح يقول : أنها سارت فى طريق القوافل الذى أوردته التوراة، هذا الطريق الذى بيع فيه يوسف الصديق بدراهم معدودة للاسماعيليين ٠ وفى نفس هذا الطريق سار نبى الله يعقوب بأهله ليدخلوا مصر بسلام ، بعد أن صار يوسف على خزائن الارض فى مصر ٠ وفى هذا الطريق أيضا سار موسى هاربا من وجه فرعون بعد أن قتل المصرى ٠

ويضيف جودة السحار : لقد استمرت « العائلة المقدسة » فى سيرها بين شروق وغروب ، حتى أشرفت على طور سيناء ، فخفقت القلوب ورفرفت كجناح حمامة ٠ فقد تجلى الله لموسى على هذا الجبل ، وكتب فى الالواح وصاياه ٠ وذهبت العائلة الى الوادى المقدس طوى ، فخلع يوسف النجار نعليه ، ووضعت مريم البتول ابنها على الارض ، فشخص ببصره الى السماء ، وخرت هى ساجدة ، كانوا فى تلك البقعة الطاهرة يناجون الله ٠

ويدلل السحار بأن العائلة المقدسة ذهبت الى الوادى المقدس بطور سيناء ، بأن يورد الآية الكريمة ، من القرآن الكريم : (وجعلنا ابن مريم وأمه آية ، وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) يعنى أن السحار يرى أن الربوة والقرار المعين هى الوادى المقدس ٠٠ بينما يرى البعض أن الربوة والقرار المعين ، هى مصر كلها ٠٠ أو ربما هى من اطلاق اسم الجزء على الكل .

والواقع أن أغلب المصادر التى تناولت مسيرة العائلة

المقدسة ، بعد خروجها من (بيت لحم) ، لم تذكر المناطق والمدن التى مرت بها ، بعد تركها مدينة (بير سبع) ، من حدود فلسطين .ولذلك يأتى السؤال : هل العائلة المقدسة اخترقت وسط سيناء حتى وصلت الى جنوبها ؟!

الاجابة على هذا السؤال تقف أمامها ظروف شبه الجزيرة، وهل كانت هناك طرق ملائمة وآبار ، وماء وغيرها .. !!

وأنا أعتقد أن العائلة المقدسة قد تكون مرت بالوادى المقدس ، وليس اختراقا لشبه الجزيرة ، وانما سارت فى الطريق الساحلى السهل القصير . وكثير من الكتاب يؤيد هذا الرأى . لكن ليس الطريق الساحلى السهل هو الذى سارت فيه العائلة المقدسة بالضبط .. فربما أنها سارت فى طريق آخر يبعد عن الطريق المعروف ، حتى لا يقتفى أثرها جواسيس هيرودوس .

فالكاتب المؤرخ محمود كامل فى بحث له ، يقول : أن العائلة المقدسة سلكت الطريق الحربى العظيم ، الذى يبدأ من رفح ، فالشيخ زويد ، ثم العريش ، ثم بير مزار جنوب القلوسيات عند أقصى شرق بحيرة البردويل على شاطىء البحر المتوسط ، ثم جنوب البردويل ، ثم بير العبد، ثم بير رمانة - قطية حاليا - ثم المجدول جنوب الفرما مباشرة ، ومكانها الآن (تل الحير) ، ثم رمانة على مقربة من المحمدية ، ثم سيلا - ومكانها الآن تل أبو صيفة - على بعد ثلاثة كيلو مترات شرقى القنطرة شرق .

لكن هذا الطريق كما قلنا كان مطروقا ، ولا بد أن تكون العائلة المقدسة وهى تسير هربا من الحاكم الرومانى ، وتعرف أن وراءها زبانية .. أقول لا بد أن تكون العائلة المقدسة قد سارت فى طريق آخر غير الطريق المعروف .

على أن المهم ، أن سيناء صارت مكانا مقدسا لدى المسيحيين، وهى أيضا مكانا مفضلا للرهبان ، الذين فروا - كما فرت العائلة

المقدسة ـ بدينهم من الاضطهاد الرومانى ، ليمارسوا عبادتهم فى سلام ٠

والمهم أيضـــا أن سيناء ورمالها وجبالها وســبخاتها ، بـل وآبارها ونخيلها ٠٠ قد شاهدت الرهبان الاول الذين تعبدوا فى أرضها وأظلتهم سماؤها بل ان الرهبانية كحركة دينية عالميـــة ، شاهدت سطورها الاولى فى العالم على أرض سيناء المباركة ٠

● ● ●

والواقع أنه لم يعرف اضطهاد حدث لاصحاب دين توحيد ، مثلما حدث لاتباع يسوع المسيح عليه السلام ، على يد الامبراطورية الرومانية الوثنية ٠ ولم يشتد التنكيل والالقاء للوحوش الضارية بالمؤمنين المسيحيين ، مثلما حدث بالمسيحيين فى مصر بالذات .. التى لعبت ادوارا هامة وخطـيرة فى العصور المسيحية الاولى ؛ سواء فى الوادى أو فى سيناء .

ولقد تصاعد الاضطهاد الرومانى وتوحش ، منذ أيام الاباطرة الرومان : كراكلا (٢١٥ م٠) ، وديكيـــوس (٢٤٩ـ٢٥١) ، وجالوس (٢٥١ـ٢٥٢) .. وان كان هذا الامبراطور ـ استثناء ـ قد سمح للمسيحيين ببناء معابد وامتلاك العقار ٠

ثم اشتد الاضهاد فى عصر فاليريانـــوس (٢٥٣ـ٢٦٠) ، وجالينوس (٢٦٠ـ٢٦٨) .

على أن الاضطهاد وصل الى ذروته فى عهـــد الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤ـ٣٠٥) ٠٠ حتى أن المسيحيين ســموا عصره بعصر الشهداء ، وبدأوا به التاريخ القبطى تخليـدا وتذكيرا ، من كثرة الجثث والاشلاء التى تبعثرت هدرا ٠ فقد اصـــدر هذا الامبراطور الرومانى ، فى سنوات حكمه الاخيرة ، منشـــورا امبراطوريا ، أمر فيه بابادة الكنائس وهدمها ، وحـرق الكتب

المسيحية ، وحرمان المسيحيين من حقوقهم المدنية ، واستباح دماءهم •

ومع أن هذه الاضطهادات ، استمرت في عهد من خلفوا دقلديانوس •• فى عهد جاليريوس (٣٠٥–٣١١)، ومكسيميانوس (٣١١–٣١٣) •• فان الايمان المسيحى ، وصمود المسيحيين الاوائل وصبرهم على المذابح والاضطهاد ، واعتقادهم أن المؤمن الحق ، هو الذى لا بد أن يمر فى طريق الآلام VIA DOLORES •• مثل الذى مر به يسوع المسيح •• أقول أن الايمان المسيحى جعل المسيحيين يصمدون ، لهذه الغمة ، التى حلت بهم ••وبالفعل فان هذه الغمة بلا شك ، قد مرت ، ولكن على كثير من الضحايا والجماجم المؤمنة ••

والواقع أن الغمة بدأت تنقشع ويتجلى نور الايمان ، حين قيض الله لاتباع ياسوع المسيح امبراطورا رومانيا ،دخل فى قلبه بصيص من نور الايمان المسيحى ، وهذا الامبراطور هو الامبراطور الرومانى قسطنطين ، ابن الامبراطورة هيلانه الورعة التى أضاء قلبها نور الايمان ، فشع على ابنها •

لقد كان عصر قسطنطين بداية لايقاف المذابح والاضطهاد ، واعترف للمسيحيين بدينهم كأحد الديانات والمعتقدات فى الامبراطورية الرومانية •

ويقال الكثير عن السبب الذى من أجله أجاز قسطنطين اعتناق المسيحية فى رعايا الدولة الرومانية• لكن الذى يهز الوجدان ما قيل من أن هذا الامبراطور ، وكان على رأس غزوة ضد أعداء الامبراطورية ، أنه شاهد فى منامه صليبا فى السماء فوق قرص الشمس ، وعليه كلمات تقول : (بهذه العلامة تغلب أعداءك) • وقيل ايضا أن السيد المسيح ظهر له فى المنام بالصليب، وقال له (بهذا تغلب أعداءك) • وبالفعل فقد كان لهذه الرؤيا فعلها • كما كان لامه التى اعتنقت المسيحية سرا ايضا .. دافعا للامبراطور، لكى يصدر مرسوم التسامح الدينى من مدينة ميلان فى ابريل ٣١١ ميلادية ليوقف الاضطهاد • بمعنى أنه أجاز رسميا اعتناق المسيحية

فى أول الامر ، ثم انضم الى جانب أتباع يسوع المسيح بعد ذلك وشرع هو بناء الكنائس بنفسه . بل انه فى عام ٣٢٥ الميلادى رأس أول المجامع المسكونية فى نيقية ، من أجل أن تتم وحدة المسيحيين الذين اختلفوا حول طبيعة السيد المسيح .

ومصر هى التى تزعمت هذا الخلاف وتصاعد الخلاف بين آريوس واثناسيوس حول طبيعة السيد المسيح .. وهى مشكلة نشأت .. لا داعى للخوض فيها هنا . ومن يريد الاستزادة يقرأ كتاب سليم سالم بعنوان : « تاريخ الامة القبطية » .

لقد جاء الخلاص بعد عصر طويل من الدماء والاشلاء والجماجم بدأ منذ عهد الامبراطور نيرون (٥٤ – ٦٨ ميلادية) . أن نيرون قد عاقب ٦٤ مسيحيا – أو كما كان الرومان يسمونهم أتباع خريستوس ، على سبيل السخرية – بالحرق العمد . والسبب الرئيسى فى عقابهم كما قال بعض المؤرخين ، أن المسيحيين الاوائل كانوا فى نظر الرومان جماعة تحوم حولها الشبهات بشكل أو بآخر ،وأنهم – أى المسيحيون – كانوا يمتنعون عن تقديم فروض التكريم للآلهة الرومانية الوثنية ، كما كانوا لا يركعون لتمثال الامبراطور . وهذه كما يقول كتاب (الامبراطورية الرومانية) للمؤرخ م.ب تشالز وورث .. كانت خيانة عظمى للدولة الرومانية عقوبتها الحرق . وهكذا صار أعتراف المسيحى باعتناق المسيحية قرابة مائة وعشرين عاما بدأت منذ عهد نيرون الى عهد قسطنطين ، جريمة شنعاء تقضى عقوبتها الى الموت والتمثيل بجثث المحكوم عليهم بالاعدام .

● ● ●

والسؤال هنا : كيف كان حال المسيحيين الاوائل فى مصر، من هذه الاضطهادات ؟

الواقع أنه حين تصاعدت موجة الاضطهادات بشكل لا مثيل له فى التاريخ ، لم يكن أمام الكثير من المسيحيين الا تعاليم السيد

المسيح ، ومنها ما قاله : (اذا أردت أن تكون كاملا ، فبع ما لديك واعط ثمنه للفقراء وتعال اتبعني) . وقوله السيد المسيح ايضا (اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) .

وبالفعل ، فانه ما أن استفحل الامر وعظمت المصيبة وكثر عدد الشهداء ـ هذه لفظة كانت تطلق على من يتحمل الاذى والتعذيب أو يموت في سبيل دينه ـ فقد رأى البعض من المسيحيين أن ينأى بدينه الى حيث يستطيع أن يمارسه في خشوع وأمن ، ويواصل الرسالة المسيحية . ومن هنا بدأ ما يعرف باسم (التنسك) أو (الرهبنة) .. أي الفرار الى البرية ، حتى يقضي الله أمرا .

وبعض المصادر ترى أن أول من لجأ الى البرية من المسيحيين في مصر ، هو القديس بولس السكندري (٢٢٨ـ٣٤٣م.) . وقد لجأ الى الصحراء الشرقية . لكن مما تجمع الآراء عليه ، أن المؤسس الاول للرهبانية في مصر ،كفكرة فلسفية، هو القديس أنطونيوس، أو مار أنطونيوس (٢٥١ـ٣٦٥ م.) ، ويقول المؤرخ ملن في كتابه (تاريخ مصر تحت حكم الدولة الرومانية) .. أن القديس انطونيوس ، حين ذهب الى الصحراء ترك أرضه دون أن يتصرف فيها .

والحقيقة أن الذي ساعد على انتشار الرهبنة في مصر وعلى نشأتها ، هو اتساع صحاري مصر ، ووجود المعابد الفرعونية على أطراف وادي النيل وداخل الصحاري . فقد كان هذا دافعا للمسيحيين الاوائل في عصر الاضطهاد ، كي يعيشوا حياة الرهبنة في مختلف المناطق ، ومن هذه المناطق بالطبع ، منطقة (طور سيناء) .

ومن الثابت أن الرهبان وصلوا الى منطقة جبل سيناء منذ أوائل القرن الثالث الميلادي . فهي بعيدة عن مخالب الرومان الوثنيين وأظافرهم المفترسة . وهي بالقطع ، لا بد وأن لها ذكريات

تاريخية منذ رحلة السيد المسيح الى مصر .. مما يشد من أزر الرأى الذى يقول أن العائلة المقدســـة فى طريقها الى مصر مكثت بعض الوقت فى الوادى المقدس طوى ، أى منطقة جبل سيناء ٠

واذا كان الامن والامان للمســـيحيين قد حدث فى عهـــد الامبراطور قسطنطين ، فان الذين ذهبوا الى البرية من المسيحيين الاوائل ، قد ذاقوا حلاوة الايمان والامن فى حيـــــاة الرهبنـة والتقشف ٠ واستهوتهم هذه الحياة البعيدة عن زخرف الدنيـــا وصراعاتها ٠ ولهذا فرغم التسامح الدينى ، فقد رفضوا العودة من البرية الى المدينــة . وتحـولت الرهبنة الى (ديرية) ، بحيث يبقى المسيحيون فى البرية ، يكفون أنفسهم بأنفسهم ، ولا ينظرون أبدا الى الوراء ، والى نعيم الدنيا الزائل ٠ ويقال أن أول من بدأ حياة (الديرية) فى مصر هو القديس (باخوم) ٠٠ لتنتشر بعد ذلك فى صحراوات مصر ، ومنها منطقة طور سيناء بالطبع ..ثم تتعدى الحدود الى العالم المسيحى كله ..

ويرى ابراهيم أمين غالى ٠٠ أنه بعـد الخروج قلت أهميـة سيناء ، الى ان قفزت أهميتها من جديد مع ظهور المسيحية ، بحركة الرهبنة فى الصحراء ٠ وقد كانت سيناء من قبل تتمتع بمنزلـة ايمانية خاصة بسبب أنها الصحراء التى أقام فيها شعب اسرائيل٠ وكان لذلك الحدث أهمية خاصة ، منذ لقبت المسيحية نفســـها باسرائيل الجديدة ٠

ولقد تحقق المؤرخون ـ منذ القرن الثانى الميلادى ـ من وجود نساك فى شبه الجزيرة ، فكان أول من تحدث عنهم وعن الاضطهاد الذى منوا به (ديونيسيوس) البطريرك السكندرى فى عام ٢٠٥ ميلادية ٠٠ الا أن الرهبنة لم تنظم على حجم كبير ، الا فى القرن الثالث الميلادى ٠ وكما يقول الاسقف الفرنسى هـ٠ لاجرانج ، فان الرحلات الدينية كانت كثيرة جدا فى القرون الاولى المسيحية الى سيناء ٠ وكانت سيناء بالنسبة للمسيحيين تعتبر أرضا مقدسة٠

ولقد لقيت حركة الرهبنة انتشارا واسعا ، حتى قدر بعض العلماء عدد المترهبنين بحوالى ١٠ ٪ من مجموع سكان مصر من الذكور . وكان هناك اعتقاد عند المسيحيين الاوائل أن ميعاد نهـاية العالم وشيك الوقوع ، وعلى المسيحى الحـق أن يستغفر عن ذنوبه بالتقشف فى الصحراء انتظارا لتلك الساعة الرهيبة ، حتى ينال ملكوت السماوات .

على أن أهم الاماكن التى نزل بهـا الرهبان والنسـاك فى سيناء ، هى منطقة جبل موسى ، ووادى فيران ، ووادى الحمـام شمال مدينة الطور ، أى (ريتو) القديمة . وقد امتلأت سيناء بالرهبان . ويقال ان الرهبان حينما استهدفوا العيش فى سيناء بحثوا عن طريق التوراة وساروا فيه ، أى مسيرة شعب اسرائيل (الخروج) . كما قيل أن الامبراطورة هيلانة شيدت برجين و منطقة جبل موسى فى الوادى المقدس ، وهو المكان الذى أقيم عليه فيما بعد دير سانت كاترين .

ولهذا جاء الاهتمام فى تلك الفترة ، بالبحث عن الطريق الذى سلكه شعب اسرائيل .. وفى القرن الرابع الميلادى قالوا انه فى اتجاه عيون موسى ، الواردة فى التوراة باسم (مرة) ثم منها الى وادى غـرندل ، الذى يسمى الآن (اليم) ، ثم وادى فـيران (رافيديم) ، وهى آخر مرحلة قبل الوصول الى جبل موسى .

وعند فجر القرن الرابع نزل (هيلاريون) — من جنـوب غزة — الى البحر الاحمر ، ليقابل القديس أنطونيوس ، ثم عاد الى بلاده .. وانتشر تلاميذه فى أنحاء وادى العريش . كما أن الراهب (أمونيوس) زار سيناء عام ٣٧٣ ميلادية . بمعنى أن الرحلات تعددت الى سيناء .. وكتبت عنها كثيرا .. حتى أنهم يقولون أنه فى القرن الثالث الميلادى عاش راهب مسيحى فى منطقة الطور ، واسمه الناسك موسى ، وكان يشفى الكثير من الامراض ، ممـا جعل أكثر العرب القاطنين فى سيناء عند تخوم فيران يعتنقـون

المسيحية • ثم ان الامبراطورة هيلانة كانت زيارتها لسيناء حدثا كبيرا فى العالم المسيحى أدى الى أن تصبح سـيناء كمكان لحج المسيحيين اليها ، وخاصة منطقة الوادى المقدس •

ويقال أن من بين الذين لجأوا الى سيناء الراهب (نيلوس)، وكان محافظا للقسطنطينية • وأنه ذهب اليها فى الاربعين من عمره حين قرر أن يزهد الدنيا • فترك وظيفته ، وهجر عائلته ، وذهب الى الطور ، فأقام فيها حوالى ١٦ سنة فى مغارة تدعى (مغـارة ايليا النبى) • وقد مات فى عام ٤١١ ميلادية • ويروى الراهب نيلوس أن مدينة فيران فى عهده كان لها مجلس من الاعيان ،وكانت محاطة بسور كبير ، وكان بها مقر أسقفية (أى مطرانيـة) • وجدير بالذكر أنه فى القرن السادس الميلادى استخدم اسم سيناء ليدل على فيران •

يقول المؤرخ البيزنطى بروكوبيوس ، يصف سيناء وما فيها من حياة الرهبنه والديرية : (فى المنطقة التى كانت تسمى بـلاد العرب • صحراء واسعة بلا ماء ولا نبات ولا أشجار ، يوجد جبل ناء لا يمكن تسلقه الا بشق الانفس وهو يقرب من البحر الاحمر ويسمى سيناء • ويسكن هذا الجبل رهبان ونساك ، حياتهـم كلها مخصصة للعمل والصوم والتفكير فى الآخرة ، وهم يعيشون فى عزلة تامة) •

ويضيف بروكوبيوس : (لما رأى الامبراطور جوستنيان أنه ليس فى استطاعته أن يمدهم بأية مساعدة ، اذ أنهم يزهدون المال وخيرات الدنيا ، قرر أن يبنى لهم معبدا ــ كنيسة ــ باسم السيدة العذراء • وعلى سفح الجبل بنى لهم حصـنا ، وخصص قوة من الجنود لحماية الحصن) •

وجدير بالذكر أن هذا الحصـن قد بنى حوالى عام ٥٤٥ ميلادية ، وبنى معه المعبد والدير • لكننا نختلف مع بروكوبيوس والرحالة الذين زاروا سـيناء فى تلك الفترة ، لانهـم بالغوا

كثيرا ، وخاصة حول حياة الرهبان • فلم تكن حياتهم عزلة تامة ومقطوعة عن العالم •• فالدير مثلا كان يشاهد قساوسة يزورونه بين الحين والآخر ، قادمين من المدينة •كما أن بعض الرهبان كانوا يكلفون بعضا منهم بادارة شئون ثرواتهم التى تركوها قبـــل أن يعيشوا حياة الرهبنة فى الاديرة ... وذلك كما فى حالة القديس أنطونيـــوس ، الذى ذهب الى حياة الرهبنة ولم يبع أملاكه . وأيضا فان سيناء كانت عامرة بحركة المسافرين والواردين » .

● ● ●

وعلى ذكر الدير .. فانه لم يحمل الاسم الذىاشتهربهحتى الآن وهو (دير كاترينا) منذ انشائه . أن هذا الدير قد بدأ فى منتصف القرن الرابع الميلادى ، وكان يحمل اسم (دير الســيدة العذراء) • وهذا الدير أيضا كان بناؤه فى الفترة التى بنيت فيها معظم الاديرة المسيحية فى مصر • وقد أمرت القديسة هيلانة ببناء كنيسة صغيرة ، بعد أن زارت النساك وتبركت بهم ، وهـــذه الكنيسة سميت (كنيسة العليقة) ، حيث كان الرهبان يتعبدون بجانب العليقة المقدسة ، أو الشجرة الملتهبة •

ويقولون أن الامبراطورة رات بعد أن قررت ببناء الكنيسة ، أن العليقة الملتهبة ، لا بد ان يكون مكانها خارج الكنيسة ، حتى لا تموت • وفعلا اقتلع الرهبان الشجرة وأعادوا زراعتها علىمبعدة بضعة أمتار • وهذه العليقة الملتهبة كلما شاخت ، ياتى الرهبان بفرع منها ليعيدوا زراعته • والعليقة — كما يقال — نوع من شجر التوت ، ولكنه لا يثمر أبدا • وخبراء النبات — رغم الدراســـات المستفيضة التى أجريت حول هذه الشجرة — لم يصلوا الى معرفة أصلها • وهى ، أى الشجرة ، تقوم بجانب البئر التى سميت فى العصر المسيحى باسم (بئر موسى) • كما أنه بجانب العليقة توجد شجرة تعرف باسم (شجرة النبى هارون) ، التى يقال أنها نبتت من عصاه التى زرعها ، فتحولت الى شجرة وارفة الظلال •

وعلى أية حال فان الامبراطورة هيلانة لم تغادر منطقة جبل موسى ، الا بعد أن أمرت أيضا ببناء برجين حول الكنيسة ، حتى يكون الرهبان فى مأمن من غارات اللصوص . ولقد بارك الرهبان الامبراطورة ودعوا لها .

وقد ظل رهبان منطقة جبل موسى محل اعجاب العالم المسيحى فى الامبراطورية الرومانية . وسبب ذلك بالطبع ، أنه بالرغم من صدور مرسوم التسامح الدينى ، والمراسم الاخرى التى كفلت للمسيحيين حرية العبادة ، فانهم ظلوا فى البرية . واستهوتهم حياة النسك النقية ، بما فيها من ترويض للنفس الامارة بالسوء. والرهبان أنفسهم سعدوا بهذه الحياة ، لا يقلقهم سوى بعض غارات اللصوص . فالمنطقة التى بها الكنيسة الجديدة والبرجان ، منطقة خصبة ، مملوءة بالماء والخضرة ، مما جعلها عامل جذب للاغارات . وقد ازدادت هذه الاغارات وتكاثرت بعد أن انكمشت الدولة الرومانية حامية الدير ، وبعد أن تم جلاء القوات الرومانية عن (البتراء) عاصمة مملكة (النبط) ، فى النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى وفى عهد الامبراطور الرومانى (فالنس) .. وكان الرومان قبلها يحمون الدير من الاخطار .

وحين تكررت الاغارات التى أقلقت هدوء الرهبان ، فكروا أن يبنوا سورا حول الكنيسة . ليكون حصنا لهم ، يقيهم شر الغزوات. وتبع هذا التفكير سفر وفد من الرهبان الى القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية ، ليلتمسوا من الامبراطور جوستنيان ، أن يبنى لهم حصنا مزدوجا ، يؤمن الطريق من العقبة الى الوادى من ناحية ، ويحميهم من شر الغزوات من ناحية أخرى.

وفى الدير الآن وثيقة مؤرخة بعام ٥٣٠ ميلادية ، قيل أنها الطلب الذى قدمه الرهبان الى الامبراطور ، وتقول هذه الوثيقة : أن الرهبان اجتمعوا ، واختاروا اناسا منهم يذهبون الى الملك جوستنيان، ليلتمسوا منه بناء حصن . وهؤلاء الذين ذهبوا هم : ثيودوسيوس،

وبروكوبيوس ، وبوخوميوس ، وانطونيوس ،وسابا ، وقد سافروا بحرا الى القسطنطينية • والتقوا بالامبراطور الذى رحب بهم ،وبالغ فى اكرامهم وأجابهم الى طلبهم • وقد أرسل الامبراطور رسولا من قبله الى واليه على مصر ، واسمه ثيودوســـيوس ، يأمره (بعمل اللازم) ••

وتقول الوثيقة أن والى مصر ، لم يجد ما يبنى عليه الحصـــن أفضل من مكان العليقة ، لانه منبسط من الارض ، فيه الماء ، وهو موضع مقدس ، فبنى عليه الحصن ، وهو الدير الحالى ، على مساحة فدان ونصف فدان •

كذلك فان الامبراطور جوستنيان أمر بارســـال مائة رجل بعائلاتهم من بلاد (الفلاخ) ، جهة البحر الاسود • وأرسل لواليه على مصر ، ليرسل مائة رجل آخرين بعائلاتهم من مصر ، لينضموا اليهم • وهؤلاء جميعا أقاموا فى حراسة الدير ، وخدمة الرهبان فى حلهم وترحالهم • وأمر الامبراطور أن يكون هؤلاء جميعا (عبيـــدا للدير وفى طاعة الرهبان ، هم وأولادهم الى أن يرث الله الارض ومن عليها) •• كما يقال أن جوستيان أمر واليه ليجعل للدير راتبـا مستديما من الحبوب من أجل مئونة الرهبان •

هؤلاء الحراس ، عرفوا فيما بعد باسم (الجبالية) • وقد أسكنوا حول الدير •• ثم تحولوا الى مهنة الادلاء للسياح ، بجانب توليهم أعمال النظافة والخدمة • وعدد الجباليـــة الآن يربو على الستمائة • وصاروا قبيلة من قبائل سيناء • ولهم شـــيخ • وفى الصيف يهبطون الى الوديان ، وفى الشتاء يصعدون الى الهضاب ، هربا من السيول • والدير حتى الآن هو مصدر رزقهم الوحيـــد برهبانه وزواره من السياح ، الذين يستخدمون جمال (الجبالية) المدربة فى الصعود• وقد اعتنقت الجبالية فيما بعد الدين الاسلامى• لكن حتى الآن فان القبائل العربية فى ســـيناء لا تتـــزوج منهم ، ولا يزوجونهم بناتهم •

على أنه حدث شيء آخر في عهد جوستنيان ٠ فهذا الدير الذى أمر ببنائه حول كنيسة العليقة ، بنى بداخله أيضا كنيسة أخرى ، بعد موت زوجته ثيو دورا ، زكاة على روحها وهدية من الامبراطور الى الرهبان ٠ وقد عرفت هذه الكنيسة (بكنيسة المناجـــاة) أو (كنيسة الاستحالة) ٠

وفي الدير لوحة رخامية عليها كتابة بالعربيـــــة واليونانية تقول : (أنشأ دير طور سيناء وكنيسة المناجاة ، الفقير الراجى عفو مولاه ، الملك الرومى المذهب جوســـتنيان ، تذكار له ولزوجتــــه تاوضورة على مرور الزمان ، حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ٠٠)

● ● ●

دير طور سيناء اختير في سفح قمة من قمم طور سيناء ، على ارتفاع ٥٠١٢ قدما فوق مستوى سطح البحر ٠ وقد أحيط بسور عظيم طوله ٨٥ مترا وعرضه ٦٧٥ مترا ٠ أما ارتفـاعه فيتراوح ما بين ١٢ و ١٥ مترا ٠ وسمك الحائط حوالى مترين وربع المتر ٠

وقد استخدم في بناء السور حجر الجرانيت الذى استخرج من الجبل فيجنوب الدير ٠ وكان للدير باب كبير في حائطهالغربى من الجهة الشمالية ٠٠ الا أن الرهبان – فيما بعد – اضطروا الى سده ، واستبدلوا به بابا ضيقا وسط الحائط ، يمر فيه الداخلالى دهليز ضيق بطول حوالى مترين ، الى باب آخر يؤدى للدير ٠

وقد قيل أن الذى دفع الامبراطور جوستنيان الى أن يبنى الدير على هيئة قلعة ، هى الظروف التى كانت وقتها تمر بالامبراطورية الرومانية ، حيث بدأت منذ عصر ثيودوســـيوس الكبير – أواخر القرن الرابع الميلادى – تتقطع الاوصـــال وتضـــعف ٠٠ حتى أن جوستنيان حين جاء امبراطورا حاول جهده أن يجـــرى دماء القوة في أوصالها المشلولة ، وذلك باقامة مجموعة من الحصـــــون التى

تحميها حاميات ، لتستعيد الامبراطورة مجدها • لكن يبدو أن المجد الحربى للرومان كان قد انهارت أعمدته الى غير رجعة •

ويقول مؤرخو العمارة ، والمؤرخون العسكريون أن بناء الدير فى سفح عدة جبال ، يعتبر خطأ تاريخيا استراتيجيا ، ويدل على عدم خبرة بالمنشآت العسكرية المحصنة ، لان الدير يمكن أن يهاجمه كل من تسلق الجبال المحيطة به • ولهذا — كما يقولون — فقد غضب الامبراطور على المهندس الذى بنى الدير وحكم عليه بالاعدام •

والبعض يرى أن البناء يدل على قصر النظر الهندسى، ويدللون على ذلك ، بأنه فى العصر الذى حكم فيه الامبراطور جوستنيان وشاهد على ضعف الامبراطورية ، كان لا بد من حماية الدير بالبارود • ولذلك مثلا فانه فى العصر الاسلامى ، وضع العثمانيون مدافع فى أبراج السور — فى عصر السلطان سليم ومن جاء بعده — لحماية الدير من الغزوات •

على أن المهم هنا أنه فى أواخر عصر جوستنيان بنى داخل الدير كنيسة كبرى عرفت باسم كنيسة الاستحالة كما سبق أن ذكرنا •• وموقعها فى زاوية السور الشمالية الشرقية • وهى مبنية من حجر الجرانيت • ويقال أنها بنيت بين عامى ٥٦١ و٥٦٥ ميلادية •

ومما يذكر أن الدير تعرض للكثير ، خاصة السور ، من عوامل الجو والسيول والامطار • وبسبب ذلك تهدمت معظم أجزاء السور وأعيد بناؤه فى عصر وراء عصر • ويذكر للجنرال بونابرت أنه أرسل قائده كليبر على رأس حملة تعميرية لترميم وبناء ما تهدم من سور الدير بفعل السيول • وقد سجلت هذه العمارة على لوحة رخامية فوق ما يعرف باسم (برج كليبر) تشير الى أنها تمت فى مايو عام ١٨٠١ وأنها تكلفت ٣٢٠٢٨ قرشا عثمانيا • وقد أصلحت حملة نابليون العلمية الجزء من السور الذى كان قد انهار نتيجة لزلزال حدث فى المنطقة عام ١٣١٢ ميلادية •

الفصل السادس عشر

دير القديسة كاترينا

ومجمع الأديان

كيف ومتى حمل الدير — دير طور سيناء — اسم القديسة كاترينا ٠٠ او كاترين ؟

انها قصة طويلة من التراث الديني المسيحي ، الذى حدث فى سيناء ٠

ان تسميته بالدير باسم القديسة كاترينا ، لم تبدأ الا فى القرن التاسع الميلادى ، حين بدأت شهرة هذه القديسة السكندريه تزداد ، وتأخذ طابعا عالميا ٠

والقديسة كاترينا لها قصـــة مثيرة بدأت أول سطورها فى الاسكندرية ، واخر سطور القصـــة تأتى برفاتها لتســـتقر فى صندوقين على مذبح الكنيسة الكبرى فى الدير ٠

والقصة تبدأ فى القرن الثالث الميلادى ، حين جاء الاسكندرية القديس مرقس الرسول ليبشر اهلها بالمســيحية ٠ وقد كانت بالاسكندرية فى ذلك الوقت جالية يهودية كبيرة مسـيطرة ، حتى على الحكام فيها ٠ وهذه الجالية اليهودية وصل بها الأمر الى انها كانت عيون الوالى الرومانى ليقبض على المســيحيين وينكل بهم ٠

فى هذه الفترة ولدت فى الاسكندرية فتاة لشريف من وجهاء المدينة اسمه (كوستوس) ، ولسيدة فاضلة اسـمها (سابنيلا) وكانت الأسرة ثرية ٠ وكبرت ابنتها وشبت ، ليتقـــدم لها فتى ممن اعتنقوا المسيحية ٠ وقد استطاع الفتى من خـلال حـديثه مع خطيبته ان يضيء قلب الفتاة بالحديث عن يســـوع المسيح المخلص ، وكان قلبها قبل أن يتقدم لها الخطيب غضا أخضر يميل الى هذا الدين الجديد ٠ ولذلك فان الفتاة طلبت من خطيبهـا أن يكرسا حياتهما للدعوة للمســيحية ٠٠ بدلا من الزواج ، ووافق الفتى ، خاصة وانها قالت له : انها شاهدت السيد المسيح وهى

فى الثانية عشرة من عمرها ، فى منامها ، وقد وضـــع خاتما من الذهب الخالص فى اصبعها ، ولما استيقظت من نومها وجـــدت الخاتم فعلا فى اصبعها ، وكانت رؤيتها للسيد المسيح على هيئة طفل بين ذراعى السيدة العذراء .

المهم أن كاترينا مضت تبشر بالمسيحية داخل الاسكندرية ، لكن سرعان ماوشى بها اليهود لدى الوالى الرومانى مسكيميانوس « ٣١٧ ميلادية » . وهذا الوالى استدعى الفتاة ليسألها : لماذا تكفر بالاوثان ، ولا تعبـــد آلهة روما ؟ .. لكن البنت بشـــجاعة نادرة ، بدات تشرح للوالى المسيحية بطريقة حسدها عليهـــا . وقد أعجبت الوالى شجاعة الفتاة وصراحتها ، ورأى فى قتلها — كما يفعل بالمسيحين — خسارة . فجمع لها خمسين من الفلاسفة الرومان ، من جامعة الاسكندرية العريقة ، ذات الصيت العظيم ، وأوصاهم أن يحاجوها ، وأن يثنوها عن المسيحية .

والتقت كاترينا بالفلاسفة ، ووجها النضر يشـع بالايمان ، وطالت المناقشة بينها وبين فريق الفلاسفة الخمســـين حول : هل الله واحد أم الآلهة كثيرون ؟.. وفى نهاية المناقشـــات خرج الفلاسفة من عند الفتاة ، وهم يحملون الصليب، بعد أن أقنعتهم هى بالمسيحية .. وعندئذ ظهر للوالى خطر هذه الفتـــاة ، وامر بايداعها السجن .. ونكل بالفلاسفة .

ثم ارسل الوالى زوجته الى كاترين فى السجن ، لتقنعها بالعدول عن المسيحية ، وبتعدد الآلهة ، وبعبادة الامبراطور .. لكن زوجة الوالى التى ذهبت الى الفتاة فى السجن ، خـــرجت من عندها ، وقد اعتنقت المسيحية . ثم ان كاترين التى شدد عليهـــا الوالى الحراسة بعد ما حدث منها لزوجته وللفلاسفة ، استطاعت أن تجعل حراس سجنها يعتنقون المســـيحية ، ومنهم قائد حرس السجن نفسه .

حينئذ ادرك الوالى خطر كاترينا ، وقرر تعذيبهـا الى أن تتهشم عظامها ، وذلك بآلة جديدة للتعذيب خصصها لها — وهى تتكون من عجلة فى أسنة تدور على العكس ، وتفرم من رمى بين اسنتها .. وكانت هـذه الآلة تسمى « عصـارة الموت » . والتى يتبرك بها المسيحيون الكاثوليك ويصنعون منها خواتم وعلاقات.

وتقول الروايات ، ان الوالى رمى بها فعلا الى « عصـارة الموت » فى مكان عام تجمع حوله الكثيرون لتصـبح كاترين مثلا رادعا لكل من يحاول اعتناق المسيحية . ورميت الفتاة فعلا الى هذه الآلة الرهيبة ، لكن — وكما تقول الرواية — فان المـلائكة نزعوا جسدها من هذه الآلة ، وقذفوا بأجساد معذبيهـا الى عصارة الموت لتفرم جسدهم وعظامهم . وهنا يأمر الوالى بقطع رأس الفتاة وفصلها عن جسدها ، وهى فى التاسـعة عشرة من عمرها ، فى ٢٥ من نوفمبر عام ٣٠٥ ميلادية .. أو ٣١٣ ميلادية . لكن هنا تظهر المعجزة « فبـدلا من أن ينفجر الدم من عملية بتر الراس من الجسد ، يتفجر اللبن » .. وتقول القصة أيضا ان راسها لم يبتر ، وانما هى رفعت الى السماء ، وزوجتها السـيدة مريم ليسوع المسيح .

هذه الرواية ظلت تنتشر ، وتقوى من ايمان المسيحيين ، وتشيع فيهم روح البـذل والتضحيـة والاستشهاد فى سبيل العقيـدة مدة خمسة قرون . وقد زيد على الرواية ما قيل من ان الملائكة ، طارت بجسد كاترين ، لتضعه فوق جبل حوريب فى سيناء ، وأن أحد الرهبان كان يتعبد هناك ثم غفا غفوة ، ورأى فى المنام أن الملائكة حملوا رفات كاترين الى قمة الجبـل . وان اسراب طائر الشنار — والشنار قد يكون نوعا من انواع الصقور — كانت تذهب الى نبع ماء تبلل قية ريشهـا بالماء ، ثم تطير وتنفض الماء فى مكان آخر . وتكرر ذلك عدة مرات . وصحـا الراهب من نومه وثار فضوله . فصعد الجبل ، وهناك وجـد رفات كاترين وبجانبها الرأس .

وحمل الراهب ـ بعد ان صـعد اليه بعض زملائه ـ رفات كاترين الى سفح جبـل حوريب ، ونقلوها الى مكانهم الذى كان على هيئة دير ، وأطلقوا على هذا الدير منـذ ذلك الوقت اسـم دير القديسة كاترين ٠

لكن هناك قصة تقول أنه بعد انتهاء عصر الشـهداء ، نقل الرهبان جسد الشهيدة كاترين الى سيناء فى الجبل الذى يحمل اسمها ، وظل هنـاك حتى القرن الخـامس الميلادى ، حين عثر عليه أحد الرهبان ونقله الى الكنيسـة التى بنـاها الامبراطور جوستنيان ٠

هذه القصة يؤيدها البعض ويرفضها البعض الآخر ، وحدث حولها الكثير من الجدل ٠ ويرى صاحب كتاب سيناء المصريـة ، أن اسم كاترين جاء لاول مرة في المخطوط المعروف باسمانطونيوس الشهيد حوالى عام ٦٠٠ ميلادية ٠ وهناك صعوبة فى تصـديق الوقائع التى لابست قصة استشهاد كاترين ونقلها ٠ بل هو يقول أن الكنيسة القبطية لا تذكر قديسة بهذا الاسم بين شهدائها ٠

وقد حاول البعض اعتبار كاترينا هىالقديسة « دميانة » ، وقال أنها شهيدة قبطية ، ما زال تاريخها محاط بالغموض ٠ لكن هذا ينقض ما عرف عن دميانة من أنهـا استشهـدت فى عهـد (وقلديانوس) ومعها ٤٠ راهبة ، كانت هى رئيستهم .

ويقول البعض الآخر أن كاترينا هى القديسة التى تحدث عنها أوزبيوس فى مؤلفه (تاريخ الكنيسـة) حيث قال : « أنها تقدمت الى مكسيموس ولامته عـلى معاملة العذارى المسـيحيات معاملة المومسات » ٠ويذكر أوزبيوس أن هذه القديسة كانت من عائلة نبيله وثرية فى الاسـكندرية . لكنـه يقول أنهـا نفيت من الاسكندرية مما لا يجعلها من بين الشهداء ٠

وهناك من يقولون أن فى العالم المسـيحى عدة قرينـات لكاترين . فهناك كاترين سويدية عاشت فى القرن الرابع ويحتفلون

بتذكرها في ٢٢ مارس · وهناك كاترين بولونية من القرن الخامس عشر ، ويحتفل الرهبان الفرنسيسكان بعيدها في ٩ مارس من كل عام · وهناك كاترين من ميناء جنوه بايطاليا ، وهي من عائلة ارستقراطية ، وقد وهبت حياتها للمرضى في القرن الخامس عشر .. وهناك كاترين فرنسية من مدينة روان ·

المهم أن سيرة كاترين انتشرت في كل مكان في أوربا ، حتى أنه في القرن الحادي عشر الميلادي صارت القديسة كاترينا – التي معناها الطاهرة – سيدة العلماء ورجال الدين والفلاسفة ، والطلبة ، والبنات العذارى · وقد صارت القديسة كاترينا راعية يتبارك بها الحرفيون والميكانيكيين وصناع العجلات ، والعجلة التي تحطمت عندما لمستها القديسة صارت رمزا لها · بل ان القديسة كاترينا يقال أنها ظهرت لشهيدة فرنسا جان دارك ، وشجعتها علي تحمل الموت بعد أن حكم عليها الانجليز بالاعدام حرقا ·

● ● ●

الدير الآن في سيناء داخل سوره الاثرى ·· يضم شجرة العليقة و ١٧ كنيسة ومذبحا ، وصوامع للرهبان ، ومخازن حبوب ، ومطابخ وأفرانا ، ومعصرة للزيتون ، ومكتبة ، وجامعا · وبالدير عدة آبار تختلف في قدمها وفي عمقها · كما أنه بالجهة الغربية منه يوجد بستان يضم مجموعة من أشجار الفاكهة ، ومقبرة للرهبان ، ومخزنا للعظام . كما أن له راية بيضاء ترفرف على سارية ، عليها الحرفان الأولان من « أجيا كاترينا » .. أو (القديسة كاترينا) باليونانية ·

والواقع أن اهم ما في الدير من المعمار هو الكنيسة الكبرى . او « كنيسة الاستحالة » كما تسمى ، وهي مبينة من الحجر الجرانيتي الذى بني منه السور · وطول الكنيسة ٣٨٫٥ متر

وعرضها ١٩،٥ . ومتوسط ارتفاع جدرانها دون السقف خمسة امتار . وبداخل هذه الكنيسة صفان من الأعمدة الجرانيتية ، كل صف منها من ستة اعمدة على الطراز البنزنطى . بمعنى أن الأعمدة ١٢ عمودا ، حسب عدد الرسل . والكنيسة يمكن تقسيمها الى ثلاثة اقسام : رحبة فى وسطها ، ورواق على اليمين ، وآخر على اليسار . ويحف بالأعمدة صفان من المقاعد للجلوس عليها أثناء الصلاة وأرضية الكنيسة مكسوة أيضا بالرخام .

ونظرة على الكنيسة الكبرى ، نجد ان لها واجهة بسيطة ، وسقفها منحدرا .. ولو دققنا النظر اليها من الخارج نجد محفورا على جدرانها عددا كبيرا من الصلبان ، منها ما يأخذ الشكل اليونانى للصلبان المتساوية الأذرع ، وكل صليب فى دائرة منحوته . ومنها ما يأخذ الشكل اللاتينى ، حيث ذراع الصليب السفلى تكون اطول من غيرها ، والصليب كله داخل مثلث . كما انه فى الواجهة الغربية للكنيسة يوجد شجرتا نخيل صغيرتان منحوتتان على الصخر .

وباب الكنيسة الاثرى يفتح الى جهة الغرب .. ويتدلى من سقفها عدة ثريات نادرة ، وقناديل نفيسة . كما تزدان حوائطها بمجموعة من الايقونات ، التى لا تقدر بمال .. اقدمها هى أيقونة العذراء مريم تحمل الطفل يسوع المسيح ، وقد قيل انها من صنع لوقا الانجيلى ، ثم ايقونه للعذراء وسمعان ، وعلى يده السيد المسيح طفلا ، بعد ولادته بثمانية أيام . ويقال عن هذه الايقونة أنها هدية من المهندس الذى اشرف على بناء الدير .

كما أن على باب الهيكل ، وفى فناء الكنيسة ، توجد اربعة شمعدانات كبيرة من النحاس الاصفر ، ومركب عليها شمعدانات أخرى تعود الى عام ١٧١٩ . وهيكل الكنيسة نفسه قطعة نادرة من

الفن ، وفى عمده منظر أخاذ عمل بالموازيك للسيد المسيح تحف به الرسل والتلاميذ ومؤسسو الكنيسة بطلعتهم النورانية ٠٠ والسيد المسيح فى هذا المنظر يتوسط الرسم ، ويتجلى لتلاميذه وتحيط به دائرة زرقاء اللون ، وسط ارضية الموزايك المذهب ، وحول رأسه هالة من النور ، بينما هناك أشعة عريضة من الضوء تخرج منه الى الشخصيات الاخرى ٠

وهنالك أيضا رسم للنبى موسى يتناول الوصايا العشر من يد مدت اليه من أعلى وصورة لملاك ، هى فى الواقع تمثل الملكة تيودورا ٠ وصورة لسيدنا موسى يخلع نعليه بجانبها ، ويد تشير من فوق .. ثم صورة للامبراطور جوستنيان .

وعلى يمين مذبح الكنيسة ، يوجــد تابوت فضى جميل الصنع .. يضم صندوقين من الذهب ، داخل احدهما وضعت جمجمة القديسة كاترين ، وداخل الثانى وضعت عظـام يدها اليسرى محلاة بالخواتم المطعمة بالفصـوص النادرة . وتعـرض الجمجمة واليدان على زائرى الدير للتبرك بهمـا مرة كل عـام فى عيد القديسة كاترين . وجدير بالذكر ان التابوت الفضى هو هدية من بطرس الاكبر ، الذى كان يسـمى « عامود الذهب » وقـد اهداه الى الدير مع رسالة قال فيها : « لقد نما الى علمنا ان رفاة القديسة كاترين لا تجد وعاء فضيا يحفظها ٠٠٠ »

والداخل الى الهيكل من بابه الاوسـط ، يجـد عن يمين وشمال صندوقين من الفضة الخالصة ، المطعمين بالذهب الخالص والاحجار الكريمة المتنوعة الألوان . ويبلغ طول قاعدة كل منهما مترين ، والعرض يزيد على المتر ، ويعلو بارتفاع ١٢٠ سنتيمترا وكل صندوق يزدان بصورة « باريليف » للقديسة كاترين ٠ واحد الصندوقين وهو الذى على يسار الداخل هدية للدير من مسيحى قبرصى أهداه عام ١٦٨٨م ليكون تابوتا للقديسة كاترين ٠ أما الصندوق

الآخر ~~الذى على يسار الداخل~~ ، فقد اهدته حكومة اليونان للدير عام ١٨٦٠ ميلادية .. وهـــذان الصندوقان يميزهما الاحجار الكريمة ، التى تتوســـطها زمردة خضراء كبيرة ثمنهـــا ملايين الجنيهات . وفى هذين الصندوقين يحتفظ الرهبان بالهدايا التى تقدم فى عيد القديسة كاترين ومختلف المناسبات .

والى يسار الداخل للهيكل من الباب الشمالى ، توجد رخامة عليها نقش يقول : « هنا قبر القديس أفتيموس ، بطريرك أورشليم المتوفى عام ١٧٢٢ ميلادية » . وأما مذبح الكنيسة نفســه ، فهو تحفة من الفن ، وقد صنع من الصدف اللؤلؤى الغالى الثمن .

والمهم فى هذه الكنيسة التى أطلنا الحديث حولها ، أنها مبنية وفق الطراز (البازيليكى) .. وهى فى أبسط أنواع هذا الطراز. وترجع اهمية البناء ، الى أن هذا الطراز البازيليكى – فى مرحلته الاولى – هو طراز معمارى نادر فى عصرنا الحديث . فمعظم المبانى التى تنتمى لهذا النوع من الفن ، لم تبق ، تهـــدمت أو انتهى أمرها . ولان هذه الكنيســة ما زالت على حالها الاول ، فهى تعتبر طرازا أثريا هاما ، لايوجد له مثيل فى العالم الا القليل النادر ، ومنه كنيسة القديس بطرس فى روما وكنيســـة القديس بولس خارج أسوار روما . ثم كنيسة (سانت أبو ليناري) فى رافنا .

والكنيســـة بها عدة هياكل جانبية صـــغيرة ، تفتح على الاجنحة ، وكل منها له مذبح . ومازال السقف الخشبى للكنيسة موجودا ، ولكن تغطيه ألواح الرصاص . وهذا السقف من الداخل مقسم الى مربعات خضراء ، تزينها نجوم مذهبة لامعة . واهمية هذا السقف تعود الى أن عمره من عمر بناء الكنيسة وعلى السقف توجد نقوش أثرية كثيرة ، منها نقش من ثلاثة أسطر باليونانية : السطر الأول يذكر اسم بانى الكنيسة ، الامبراطور جوستنيان .

والسطر الثانى : يطلب الرحمة لزوجته الامبراطورة ثيودورا .
والسطر الثالث : يطلب الدعوات للمهندس ستيفانوس الذى بنى الكنيسة وهذا المهندس اصلا من المنطقة المحيطة بخليج العقبة .

ولكن ماذا عن كنيســـة العليقة ، التى بنتها الامبراطورة ـ او القديسة ـ هيلانة ؟!

هذه الكنيسة تقع الى الشرق من الكنيســـة الكبرى .. والداخل اليها يتحتم عليه أن يخلع نعليه ، كما فعل النبى موسى حين امره ربه فى التوراه « يا موسى اخلع حذاءك من رجليك ، لأن الموضع الذى انت واقف عليه أرض مقدسة » . وفى القرآن الكريم « .. اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى » .

ويميز كنيسة العليقة مجموعة من الايقونات تزدان بهـــا حوائطها ، وقبة الكنيسة تزدان بالفسيفســاء الجميل النادر . والغريب أنه فى قمة جبل المناجاة شرقى الدير نافذة طبيعية تدخل منها الشمس الى الكنيسة ، مرة واحدة فى العام ، صبيحة يوم ٢٣ مارس ، فتضىء الكنيسة بلا أنوار . ويقول البعض أن هذا هو اليوم الذى كلم فيه موسى ربه ونحن نعرف بالطبع انه على بعـد ثلاثة امتار يوجد المكان الذى تنمو فيه شجرة العليقة ، والتى أمر مهندسو هيلانة باخراجها من كنيسة العـــذراء التى بنتها حتى لا تموت الشجرة .

وفى هيكل كنيسة العليقة توجد مجموعات هائلة من الملابس الكهنوتية المطرزة بخيوط الذهب والفضـــة ، وعليهــا النقوش والرسوم ، ثم مجموعة من تيجان الاساقفة الذهبية والفضـــية ، على اختلاف أشـــكالها وأحجامها . بالاضـــافة الى زورق من الفضة نذره تجار داهمت سفينتهم عاصفة هوجاء ، فقرروا أن نجوا أن يقدموا هدية للقديسة كاترين . وقد نجاهم الله فوفوا النذر ، هذا بالاضافة الى أنه يوجد بالكنيسة مجموعة صـــوانى دقيقـة

الصـــنع ، ثم مجموعة من أغطيـــة (أغلفة) الاناجيـل والكتب المقدسة ، وهى من الذهب الخالص .

ويضارع هذه المجموعة التى ذكرناها ، بقايا أجساد القديسين، مثـــل جمجمة يوحنا فم الذهب ، وذراع القديس باسيلوس ، والفك السفلى للقديس جريجورى .. فضلا عن تل هائل من عظام وجماجم القديسين التى تحفظ بمكان خاص فى الدير .

● ● ●

لقد تحدثنا عن أهم الكنائس داخل سور الدير .. وبالطبع فان الدير كما يذكر ، يحوى عدة كنائس اخرى مثل كنيســـة سان جيمس ، وكنيسة يوحنا المعمدان ، وغيرهما من الكنائس الصغيرة التى تسمى معابد ، والتى بنيت فى مختلف العصور، وجاء ذكرها فى كتاب « سيناء » لمؤلفه هاينز سكروبشة ، طبعة جامعة اكسفورد .

ومن المهم فى كنائس الدير ، مجموعة الايقونات الشمعية ، التى يرجع جزء كبير منها الى العصر البيزنطى المبكر ، كما يقول د. داود عبده داود فى بحث له مستخرج من مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية وبعنوان « دير ســـانت كاترين واهميته فى تاريخ الفن البيزنطى » .

والايقونة . هى صورة دينية مرسومة على الخشب أو غيره من المواد ، وفى كنائس الدير ايقونات مرسومة على الصدف ، بل هناك ايقونات من العصور المتأخرة رسمت على الخيش ، وكانوا يعتقدون ، ليس فى قيمتها المادية ، وانما فى قيمتهـا الروحية ، ولذلك فانها توضع فى الكنائس واحيانا فى البيوت .

ولقـــد بدأ عصر الايقونات فى القرن الرابع الميلادى ، ثم انتشرت انتشارا كبيرا فى القرن الخامس ، وقد كان الآباء الاول للكنيسة ، لا يجدون ضررا من انتشارها ، على العقيـدة ، بل ان

البعض ، ومنهم « يوحنـــا فم الذهب » اسقف القسطنطينية يعتبر الايفونات من الوسائل أو الوســائط التى تساعد على نشر المسيحية وتقريبها للأذهان .

وقد كان للايفونات فن خاص بها ٠ كانت ترســم بالالوان الشمعية ، قبل أن تعرف ألوان الزيت ٠ وهذه الالوان كانت تخلط بالشمع وتسحق ، وربما يضاف اليها بعض الزيت ، ثم يوضـــع الكل على نار ، ليتحول الى سائل سميك ، ويصمم به الفنان المنظر بواسطه سكين ساخن ٠

ومن الجدير بالذكر هنا ، أن الايقونات انتشرت فى العــالم المسيحى حوالى أربعة قرون فقط ٠ ففى القرن الثامن الميـلادى ، قامت القيامة حول الايقونات فى العالم البيزنطى ، وصدرت أوامر الامبراطور بتحطيمها ، بعد أن أفتى رجال الدين المسيحى ، أنهـا نوع من عبادة الصنم ٠ وقـــد تبنى هـذه الدعوة بعض الاباطرة البيزنطيين ، الذين عرفوا فى التاريخ باسم (الاباطرة اللايقونيين) ومن أجل ذلك جرى حرق الايقونات فى الامبراطورية ، وفى العالم المسيحى كله تقريبا ٠٠ فيما عدا – بالطبع – تلك الايقـونات فى دير سانت كاترين ، لان سيناء كان من حظها أنها خرجت من سلطة بيزنطة ، وكانت مصر فى ذلك الوقت ولاية اسلامية ٠ فلم تمتد يد بيزنطة اليها ٠ ثم ان المسلمين حين جاءوا دير ســـانت كاترين ، لم يتدخلوا فى عقيدة المسيحيين ، بل تركوا لهم حـرية العبادة ٠

والحقيقة أن كنائس الدير تضم مجموعة نادرة من الايقونات الهامة ، التى تعتبر كنوزا فنية روحية لا تقدر بمـــال كما قلنا ٠ ويقال ان من بين هذه الايقونات أربعين أو خمسين أيقونة ، لا يوجد لها مثيل فى العالم المسيحى ٠ ومن الايقونات النادرة بالدير :

● أيقونة تمثل السيدة العـذراء جالســـة على العرش ،

والمسيح الطفل على رجليها ، ويحرسها عن يمينها ويســـارها القديسان المحاربان (جورجيوس) و (ثيودوسيوس) على التوالى. وخلف السيدة العذراء ملاكان ينظران الى السماء والوجوه كلهـــا جادة ، والعيون واسعة ، والملابس ثمينة ــ خاصة ملابس السيدة العذراء ــ فهى تلبس اللون الارجوانى المخصص للاباطرة .

● أيقونة أخرى تمثل القديس بطرس الرسول .. ليس بطرس الصياد المسكين الذى طلب منه السيد المسيح أن يتبعـه ، وانما هو بطرس المفكر . فهو فى حالة تفكير عميق ، يمسك بيـده اليسرى عصاه الطويلة ، وباليـــد اليمنى يقبض بقوة على حزمة مفاتيح ، هى مفاتيح السماء .

● وأيقونة تحدثنا عنها وهى تمثل السيد المسيح وســط دائرة فى أعلى المنظر ، والانظار كلها متجهة اليه ، وهى من العصر المسيحى المبكر .

● أيقونة رابعة هى أيقونة (الصـلب) ، وتمثل الســـيد المسيح على الصليب ، ويدان تمتدان من السماء لرفع الســـيد المسيح .. وتعود الى القرن السادس الميلادى .

● أيقونة خامسة ، وهى من أقدم أيقونات التاريخ ، وهى من ابداع لوقا الانجيلى تلميذ السيد المسيح ، وفيها صور أصدق ملامح المسيح .

● وأيقونة سادسة لسمعان وهو يحمل الطفل يسوع المسيح بين يديه وهو ابن ثمانية أيام فى المزود ، وقد أشرنا اليها .

والكثير من الايقـــونات التى أهديت الى الدير ، أو تلك التى قام برسمها رهبان الدير . تعود الى القرن الســابع عشر . فعلى باب قاعة الايقونات فى الكنيسة البازيليكية مكتوب : (هذا العمل النبيـــل قد أنجز فى كريت فى عــام ١٦١٢ ، حينما كان

لوزنتيوس بطريرك كريت ·· وقـد عملهـــا راهب كريتى فى الدير) ·

ومما يذكر أن الايقونات ظلت فى الدير آمنـة ، لا يعرفها أحد ·· حتى القرن الثـــامن عشر ، حين جاء الاسقف الروسى بورفيروس أوزبنسكى الى دير سانت كاترين وشاهدها ·· وحمل بعضا منها الى روسيا · وهنا بدأ عالم أيقونات الدير يعـرف · والملاحظ أن هذه الايقونات ذات ملامح شرقية أصيلة ، وهى تشهد بأنها فن لم يتأثر بالوجوه الاوربية ، التى شاعت فى ايقونات عصر النهضة ·

ويقال أن بالدير ٢٠٠٠ أيقونة و ١٥٠٠ رسم على الموزايك وغيره ، كما قدرها المؤتمر البيزنطى الذى انعقد فى جامعة اكسفورد عام ١٩٦٦ · وهذا المؤتمر قد ناقش كيفية الحفاظ على الايقونات والتراث المسيحى فى الدير ، بعد أن قدم الارشمندت جريجواز الثانى ، مطران الدير تقريرا بحالة الايقونات والآثار المسيحية التى تحتاج الى الحفظ والاصلاح ·

ويذكر هنا أيضا ، أنه فى عام ١٩٥٧ قام د· مراد كامل ، أستاذ اللغات السامية سابقا ، والذى توفى ، باعداد فهرست لكل مخطوطات الدير · كما قام المطران جريجوار الثانى باعدادفهرست لجميع المطبوعات الموجودة فى الدير منـــذ عام ١٥٤٠ ميلادية ـ أى منذ تاريخ اختراع الطباعة ـ وحتى عام ١٩٠٠ · كذلك فانه فى الفترة من عام ١٩٥٧ الى عام ١٩٦٥ قام بتصـــوير الايقونات واللوحات وعمل فهارس لها الاســـتاذ فايتســـمان ، الاستـاذ بجامعة برنستون ·· من خلال وزارة خارجية مصر ، وبالاشتراك مع مصلحة الآثار المصرية ، وجامعة الاســـكندرية · وقد كانت الحكومة المصرية قد وافقت لمكتبة الكونجرس الامريكى بالاشتراك مع جامعة الاسكندرية ، بتصوير مخطوطات الدير بالميكروفيلم ، واحتفظت مكتبة الكونجرس ـ ولا تزال بالطبع ـ بنسخ من هـــذا

الميكروفيلم . على أنه فى فترة الاحتلال الاسرائيلى فقـــد الدير لوحتين فنيتين ، وقيل أن القوات الاسرائيلية سرقتها . وقد أبلغ مطران الدير ، من خـــلال الحكومة المصرية ، البوليس الـدولى (الانتربول) للبحث عنهما .

والواقع أن عدة بعثات ذهبت الى الدير لدراسة ما فيه من الكنوز . ويهمنا من هذه البعثـــات ثلاثة هى : بعثـــة جامعة الاسكندرية ، التى مثلها د. فوزى الفخرانى ، ود. سامى شنودة ، ود. عبده داوود . أما البعثة الثانية والثالثة فهى لجامعتى برنستون وميتشجان ، ومثلهما د. فايتسمان ، أستاذ تاريخ الفن بجامعـة برنستون ، ودكتورة فورسايت أستاذ العمارة فى جامعة ميتشجان ومجموعة من المصورين .. وهؤلاء جميعا درسوا الآثار التى تنتمى الى عصر الامبراطور جوستنيان ، كما قاموا بتصوير مجموعـة من الايقونات والآثار الدقيقة وغير الدقيقة .

وقد قام د. فوزى الفخرانى بدراسة تيجان أعمدة الكنيسة البازيلكية ، وهى من الآثار الباقية منذ عهد جوستنيان . ودرس د. سامى شنودة مجموعة الايقونات المقدسة ، والتى تمتاز صورها بوجود عناصر شرقية ، وبعض الكتابات العربية .. مما يدل عـلى أنها صنعت فى بعض الاقاليم البيزنطية . وبعضها يحمل الطـــابع المصرى أو السورى . والراجح - كما يقول الباحث - أن هـــذه الايقونات أودعت فى الدير بعد ظهور الاسلام ، وظهـــور بعض الاتجاهات الفنية المتناثرة بالفن الاسلامى الوليد . وقد اهتـــم د. سامى شنودة بالذات بدراسة الملامح الشرقيـة ، لاتصـــالها بمخطوط مصور قبطى عثر عليه فى المكتبة الاهلية بباريس .وهذا المخطوط من دمياط ويعود الى القرن الحادى عشر الميلادى . وقـد أجريت دراســة للمخطوط والايقونات .. أثبتت الطابع الشرقى لايقونات الدير . كما أثبتت أن بعض كتل الخشب ذات النقوش والمستخدمة فى بعض أنحاء الدير ، ليست هى فى مكانها الاصلى ، بل سبق استخدامها فى أغراض أخرى عند انشاء الدير .

أما د٠ داود عبده فقام بدراسة أعجب هيكل فى تاريخ الكنائس ، وهو هيكل صغير داخل السور الجنوبى للدير ٠ ويبلغ ارتفاع الهيكل نحو مترين ، بينما عرضه لا يزيد على ٢٧٥ سنتيمترا ٠ والهيكل عبارة عن قبو ، بناحيته الشرقية حنيه صغيرة ، وفى وسطها رف يرجح أنه كان مذبحا ٠٠ وفى غربه حنية أخرى قد تكون لحفظ بعض أدوات الخدمة الدينية ٠ وهذا الهيكل مكانه عند أول انحناءة لدرج الدير ، المؤدى الى غرفة الزائرين ٠ وفى الجهة الشرقية منه رسم لصليب ملون ٠وجدران الهيكل مقسمة الى مساحات عليها رسوم مجزعة ، كما أن القبو مقسم الى مربعات صغيرة بها رسوم لصفوف من الصلبان والطيور الملونة ٠ والراجح أن هذا الهيكل أعد للعبادة الانفرادية ، لانه لا يتسع سوى لشخص واحد ٠ والنافذة الوحيدة فيه عبارة عن احدى الفتحات التى كانت تستخدم لوضع المدافع للدفاع عن الدير، والتى ، تعرف باسم (المكاحل) ٠

وبالاضافة الى ما قلناه ، فان الدير ٠٠ ما زال يحوى كنوزا ثرية ومتنوعة من فن العمارة ٠

فبجانب الآثار المسيحية النادرة ، فان الدير يضم مسجدا صغيرا ، وهذا المسجد بجوار الكنيسة الكبيرة ، ويعتبر من أهم وأقدم الآثار الاسلامية فى سيناء ٠ ويقال انه بنى فى عصر الدولة الفاطمية ٠ وقد بناه الوزير أبو جعفر أنوشتكين عام ١١٠٦للميلاد أى فى القرن السادس الهجرى ، فى عهد الخليفة الآمر بأحكام الله ، الذى تولى الخلافة الفاطمية بين سنتى ٤٩٥ و٥٢٤هجرية. وهناك نص مكتوب بالخط الكوفى على منبر الجامع يقول : (٠٠ نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه أبى على المنصور الامام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين ٠٠ أمر بانشاء هذا المنبر السيد الاجل الافضل أمير الحرمين ، سيف الاسلام ، ناصر الامام ، كافل قضاة المسلمين ابو القاسم شاهنشا عضد الله به الدين ٠٠ وذلك فى ربيع الاول سنة خمسمائة) ٠

ومما يؤكد أن الوزير أنوشتكين هو الذى بنى الجامع ، ذلك الذى يذكره د. عبد الرحمن زكى فى كتابه (سيناء أرض مباركة) ، الذى أورد نصا مكتوبا على الكرسى بالجامع يقـــول : « مما أمر بعمل هذه الكراسى المباركة .. الامير الموفق المنتخب منبر الدولة وفارسها أبو منصور أنوشتكين الآمرى » .

وهذان النصان يلغيان الرأى الذى يقول ان الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله هو الذى أنشأ هذا الجامع . كما يلغيان أيضـا الرأى الذى ذكره سكروبشه فى كتابه (سيناء) .. من أن هذا الجامع كان كنيسة ثم تحولت الى جامع .

وللمسجد منارة ، يقال أنها ما زالت قائمـة وسـط أبراج الكنائس المتعددة ، كما أنه يضاء بنجفة كبيرة لها ستة عشر قنديلا من الزيت . ولا شك أن هذا الجامع تم ترميمه عـدة مرات وفى أزمان كثيرة ، ولكن المعلومات عنه قليلة فى هذا الصدد ، ويحتاج الى الاثريين لدراسته دراسة وافية .. بعد عودة الدير الى مصر .

ومنبر الجامع بالذات هو من الانواع الفـــريدة فى عالم الاسلام ، ولا يوجد له مثيل فى مصر من عمائر المنابر ، سوى منبر مماثل فى الجامع العمرى بمدينة قوص .. ثم منبر آخر فى مدينة الخليل بفلسطين .. وكلاهما ينتميان الى العصر الفاطمى المتقدم .. ذلك العصر الذى يتميز بالنقوش والحشوات والزخارف النباتيـة المزهرة ، والمناظر الهندسية . والغريب أنها تشبه أيضا نقوش وحشوات أبواب الكنيسة الكبرى فى الدير .

كما يوجد أيضا بالمسجد مقرأة خشبية للقرآن الكريم ، يعود تاريخها الى تاريخ بنـــاء المنبر ، وهو عام ١١٠٦ ميلاديـة . أما المئذنة فيبلغ ارتفاعها حوالى عشرة أمتار .

ويؤكد المؤرخون ، أن انشاء هذا الجـــامع داخل الدير وبجوار الكنيسة الكبرى هو برهان صادق وساطع ، يرمز الى روح

التسامح التام بين الطوائف فى مصر الايمان • وهو مظهر سـام رائع ، تتمثل فيه الاخوة الصادقة والسماحة الخالصة التى ميزت مصر منذ أن دخلها الاسلام •

وجدير بالذكر أن هذا المسجد ، كان من الطبيعى ان يأتى ذكره مرارا فى أوصـاف حجاج الغرب الى دير سـانت كاترين ، وكذلك فى أدب الرحلات التى انطلقت الى سيناء ، خاصـة فى العصور الوسطى • وهؤلاء الكتاب حين كتبوا فى مشاهداتهم عن الجامع كان يتخلل كتاباتهم نغمة الدهشة والاستغراب ، بل العجب • ومن هؤلاء الذين كتبوا عن الجامع شخص يسمى (يعقوب) من مدينة فيرونا بايطاليا ، حين زار دير سانت كاترين عام ١٣٣٥ الميلادى • وكذلك (ليونارد فريسكوبالدى) الذى زار الـدير عام ١٣٨٤ ميلادية وقد سجل أوصاف رحلته ، وأشـار الى وجود الجامع ، بنغمة تملؤها الدهشة • وهذا الامر ، ان دل على شىء فانما يدل ـ هذه الدهشة والاستغراب ـ على أن الغرب المسيحى ، لم يكن قد اعتاد أن ينظر تلك النظرة التى تتسم بالسماحة ، الى موضـوعات تتعلق بالعقيدة أو الدين فى بلادهم ، مثلما كان ذلك الحال فى العالم الاسلامى ، خاصة فى مصر • وهذا يدل على أنه فى القرون الوسطى كانت مصر أكثر تسامحا من أوربا المسيحية •

وجدير بالذكر كذلك ، أن الجامع يشرف على خدمته ، أفراد من قبيلة (الجبالية) ، ويحتفظون بمفاتيحـه ، ويعنون بكل ما يتعلق بخدمته ونظافته • وأفراد هذه القبيلة يتوارثون خدمة المسجد أبا عن جد • وهى قبيلة كانت مسيحية ثم اعتنقت الاسلام ، كما سبق أن أوضحنا •

● ● ●

ثم نأتى الى مكتبة الدير الشهيرة والتى نالت أهمية كبيرة ، وتعرفها المجامع العلمية وتتطلع اليها دائما •

وهذه المكتبة تضم ـ فى الحقيقة ـ كنوزا نادرة من المخطوطات

والكتب ، بلغات العالم الحديثة والقديمة ، منها العربية والسريانية، والقبطية ، واليونانية ، واللاتينية ، والجورجيانية ، والحبشية ، والتركية ، والفارسية ، والارمنية ، والبولونية ، السلافونية .

والمكتبة تضم أقدم مخطوط طبى عربى فى العالم ، وهو كتاب الطبيب على بن على ، وهو فى طب العيون ٠

ويوجد بالمكتبة ٤٢٠٠ مخطوط باليونانية و ٦٧٠ مخطوطـا بالعربية ، و٥٠٠ مخطوط بالسريانية و١٢٠ بالارمنيـــة ، و١٩ بالحبشية ٠ وهو تقدير قد يزيد أو ينقص ٠٠ وان كان قد تم حصر المخطوطات ، من خلال بعثة جامعة الاسكندرية بالاشـــتراك مع أساتذة ومصورى جامعتى ميتشجان وبوسطن وخبراء مكتبة البيت الابيض ٠ كما أن د٠ عزيز سوريال عطية حين كان مديرا لمعهـــد الدراسات الشرقية بسولت ليك سيتى قد أشرف عـلى طبع عـدة مجلدات ، تضم فهارس المكتبة التحليلية ، ومجموعة المخطوطات العربية ٠ كذلك فان بعثة جامعة الاسكندرية والجامعات الامريكية، أعدت مجلدات ، طبعت بعضها ــ أو ربما كلها ــ ومنها المجلـــد الاول من كتاب « التاريخ الدينى وآثاره فى عهد جوسنيان » ،شاملا الفترة الاولى من حياة الدير ، وان كنا نطالب بنشر ما طبع بالعربية

والواقع أن الكتب والمخطوطات فى دير ســـانت كاترين ، لا تقتصر موضوعاتها على النواحى الدينية فقط ، كما قد يتبـادر الى الاذهان ، انها فى كل فروع العلم والمعرفة ٠٠ لكن هنـــاك مخطوطات نادرة ، نذكر منها على سبيل المثال :

أولا : الانجيل المكتوب بمـاء الذهب ، بخط يد الامبراطور ثيودوسيوس ، والذى أهداه للدير عام ٧١٦ ميلادية ٠

ثانيا : الانجيل السريانى المعروف باســـــم (المشت) ، وهو مخطوط على رق غزال ٠ وهى أقدم نسخة للانجيل بالسريانية.

وترجع الى القرن الخامس الميلادى وتعتبر أقدم ترجمة للكتـــاب المقدس ٠

ثالثا : كذلك من بين المخطوطات : كتاب سيناء المقدس ، أو (كودكس سيناء) ، الذى كتبه أسبيوس ، أسـقف قيصرية فى القرن الرابع الميلادى ، وأهداه الامبراطور جوستنيان للدير ٠وقد أخذه - أو سرقه - سائح ألمانى اسمه تشيندروف وقدمه لفريدريك أوغسطس ، ملك الساكسون عام ١٨٩٦ ميلادية ٠ وقد دفع فيه الملك ثمانية آلاف فرنك٠ ثم قسمه جزءين ، أعطى جزءا منه لجامعة ليبزج والآخر لقيصر روسيا ٠ ويقـال ان قيصر روســيا قد أمر بعمل نسخة منه أعيدت للدير ٠ ثم باعت الحكومة الروســية الاصل - بعد ثورة البلشفيك فى أكتوبر ١٩١٧ - بمائة ألف جنيه ذهب لمكتبة المتحف البريطانى فى لندن عام ١٩٣٣ ٠

رابعا : بالاضافة الى (كودكس سيناء) ٠٠فان تشيندروف ، قد استولى أيضا من الدير - على سبيل السلفة التى لم يردها - على مجموعة من المخطوطات الجورجية ٠

خامسا : وهناك كذلك كتاب الانبياء ، ٠٠ والذى لا يقـدر بمال لنفاســته وندرته وهو فى ٤٠٠ صــفحة ، ومكتوب بماء الذهب ٠ وبهوامشه رسوم للسيد المسيح والقديسين ، تتصـورها وكأنها رسمت بالامس ٠

سادسا : أما ســفر المزامير ، فقد كان كاملا بالدير ، حتى زاره عام ١٨٥٠ رجل الدين بورفير أوزبنســكى ، وقد نقب فى كنيســتى كوزماس ودميـــانة ووجد الكثير من المخطــوطات الاغريقية والارمنية والجيورجية والاشورية والعربية والحبشية ٠ وقد استطاع أوزبنسكى أن يدون ٦٧ مخطوطا جيورجيــا ٠ كما أخذ ورقتين من أصل الست ورقات - بردى - من سفر المزامير ، الذى لا يقرأ بالعين المجردة والورقتان اللتان أخذهما محفوظتـان الآن فى دار الوثائق فى مدينة لينينجراد ٠

سابعا : كتاب « حكم لقمان » وهو أيضا مخطوط نادر ، اكتشفه العالم الالمانى بوركهارت الذى زار الدير فى ربيع ١٨١٦ لاول مرة ثم زاره عدة مرات بعد ذلك ، وألف كتابا بعنوان « رحلات الى سورية والاراضى المقدسة » بالانجليزية .. وجدير بالذكر أن بوركهارت فحص ١٥٠٠ مجلد يونانى و٧٠٠ وثيقة عربية • وقد قال ان أغلب كتب الدير عبارة عن نسخ من الانجيل وكتب القديسين وتراتيل الصلوات •• كما أزال النقاب عن « حكم لقمان » تأليف هرمس الملقب بالمثلث •

ثامنا : ومن بين وثائق الدير ايضا « العهدة النبوية » .. والتى يذكر الرهبان انها كتاب العهد لرهبان الدير من النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، ويقال أنها تعود الى العام الثانى من هجرة الرسول •

تاسعا : كذلك هناك وثيقة من الجنرال بونابرت مؤرخة فى ٢٠ ديسمبر ١٧٩٩ وقد أقر فيها باجراء الترميمات اللازمة لسور الدير ، وسجل فيها الامتيازات التى منحها للرهبان ، وتعيين ضابط وجنود لحمايتهم .

وفى السنوات ما بين ١٨٩٤ و ١٨٩٨ نشرت مجموعة من الوثائق بالدير ، وفيها باللغة العربية رسالة بولس الرسول الى أهل كورنتس والى جلاطية • وكذلك رسالة القديس بولس الى أهل افيسوس .. بالاضافة الى بعض القطع الاخلاقية للكتاب اليونان ومنهم بلوتارك ، وهى بالسريانية •

ان هذه الثروة الهائلة من المخطوطات والوثائق والكتب .. مصفوفة على أرفف حديدية ، فى بهو فسيح بالطابق الثالث . ولا يسمح للزائرين بالاقتراب منها سوى بترخيص خاص ، وتحت مراقبة شديدة .

● ● ●

اخيرا نترك الدير التاريخى بكنوزه ، التى مازالت فى حاجة

الى ازالة النقاب عنها وخاصة بعد جلاء اسرائيل عن المنطقة طبقا لمعاهدة السلام .. ونتناول فكرة تاريخية لمعت فى وجدان الرئيس السادات ، وهو يرى نصر أكتوبر وقد صار حقيقة ، كما راى معاهدة السلام تسير فى طريقها المرسوم .

وهذه الفكرة التاريخية جاءت على مراحل فى ذهن قائد النصر أنور السادات ..

ولأن سيناء أرض التوحيد وأرض الديانات الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام .. فان أنور السادات ، وقبل توقيع اتفاقيتى « كامب ديفيد » أعلن عزمه على اقامة مسجد وكنيسة ومعبد يهودى ، على تلك الارض المقدسة ، وعند الجبل الذى كلم الله عليه موسى ربه . كما أعلن عزمه على الصلاة - صلاة شكر لله - وعلى سطح الجبل المقدس ، الذى تجلى الله جل جلاله عليه للنبى موسى . واشار الرئيس السادت - وذلك قبل توقيع معاهدة السلام مع اسرائيل - ان فى وجدانه أن يتم توقيع معاهدة السلام فوق تلك البقعة المباركة .

لكن توقيع اتفاقية السلام فى ٢٦ مارس تعثرت بعض الوقت .. كما تعثر قبلها توقيع اتفاقيتى كامب ديفيد فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ . وكان التفكير الذى استقر عليه عزم الرئيس السادات .. أن يقوم بوضع حجر الاساس لمجمع السلام فوق الجبل المقدس فى ١٠ نوفمبر .. وهو التاريخ الذى قام فيه بالمبادرة التاريخية الى القدس .

وقد دعا الرئيس السادات زعماء العالم وبابا روما لحضور وضع حجر الاساس لهذا المجمع الدينى ، الذى يجمع الاديان الثلاثة فى بقعة واحدة مقدسة ، وفى صرح شامل يضم مسجدا وكنيسة ومعبدا يهوديا .. على سفح جبل موسى .. وتؤدى اليها جميعا رحبة تسمى « رحبة السلام » . وهذه الرحبة

عبارة عن قاعة ، يتمثل فى الالتقاء عندها معنى التقاء أديان الله الثلاثة فى سلام . والرحبة يوصل اليها ثلاثة انفاق ، تصعـــد اليها من سفح الجبل ، ومن جوانب ثلاثة ، يلتقى عنـدها زوار الجبل المقدس من مسلمين ومسيحيين ويهود ، وعند هذه الرحبة يذهب المسلم الى المسجد ، والمسيحى الى الكنيسة ، واليهودى الى المعبد ، ليناجى كل منهم ربه . فالله هو السلام فى الاسلام ، وهو المحبة وعلى الارض السلام فى المسيحية ، وهـو رب موسى وعيسى ومحمد عليهم افضل الصلاة والسلام .

وعندما ينتهى المســلم والمسيحى واليهودى ، فى مسجده وكنيسته ومعبده ، يخرجون فى طريق العودة ، ويلتقـــون مرة اخرى فى رحبة السلام ، قبل أن يختار كل منهم طريقه لهبـوط الجبل ، فى الدرب الذى يستخدمه .

والمسجد .. تتجه قبلته الى مكة المكرمة .

بينما الكنيسة والمعبد يتجهان الى بيت المقدس .

كما أن الكنيسة تقسم الى ثلاثة أقسام : قسم للكاثوليك ، وآخر للارثوذكس وثالث للبروتســتانت .. وجميـــع الطوائف المســيحية تلتقى فى البهو الذى يؤدى الى الكنيســـة بأجزائها الثلاثة .

وتزود الكنيسة والمعبد والجامع كل منها بمكتبة دينية . كما سيشتمل المسجد على مدرسة لتعليم وتحفيظ القرآن ..

والمعنى الكامن فى ذلك كله .. هو اللقـــاء ، والتفـــاهم والتعايش بين ديانات السماء الثلاثة . فهذه المنشآت يظللهـــا ويجمعهما هلال الاسلام ، وصليب المسيح ، ونجمة داوود . كما تجمعها فى النهاية وحدة المكان ، ووحدة المعنى فى ظلال الســلام الوارفة .

والمشروع – قبل أن يوضع أساسه – وكما نشر عنه يتكلف ٦٠ مليون دولار بصفة مبدئية ، قد تتم الدعوة فيه لاكتتاب عالمى ، لانه يخدم فكرة السلام العالمى بين شعوب الارض ، ويحقق رمزية التواصل الحقيقى بين شعوب العالم ، على اختلاف دياناتها ، ويفتح عهدا جديدا من الحوار المشترك البناء للرخاء واحترام انسانية الانسان ، ويضع نهاية لعصر الغاب .

وقد أعد مشروعان للمجمع جرى تصميمهما وهما :

أولا : مشروع للدكتور محمد عبد الحليم الرمالى الاستاذ بكلية الهندسة فى جامعة الازهر ، والذى يقام فى قمة بنائه الهندسى خمسة أبراج ، اثنان منهما عليهما الصليب ، والثالث عليه الهلال ، والرابع عليه نجمة داوود . اما البرج الخامس فيضم الهلال ، والصليب ونجمة داوود معا .

والانفاق الثلاثة المؤدية لقمة الجبل ، الهدف منها ان يستريح الزائر من عناء الطريق ، وتقام بها استراحات ، وفوق هذه الاستراحات حجرات لاقامة علماء الدين الاسلامى والرهبان والحاخامات .

ويتضمن المشروع أيضا انشاء فندقين صغيرين ، كل فندق سعته مائتى غرفة ، تقام فيهما المناسبات الدينية على المستوى العالمى .. بالاضافة الى الجامع والكنيسة والمعبد .

كما أن المشروع يطالب برصف الطرق البرية المؤدية لجبل موسى ، وانشاء مطار قريب لطائرات الهليوكوبتر بالاضافة الى المطار الموجود أصلا ، والذى بنى أيام الاحتلال .. وانشاء مزرعة فى حضن الجبل لتوفير الغذاء اللازم لرجال الدين من الاديان الثلاثة الذين يعيشون بصفة دائمة هناك .

ثانيا : مشروع آخر لثلاثة من المهندسين العالميين ، هم :

المهندس حسن محمد حسن رئيس جمعية المهندسين المعماريين المصرية ومهندس اسرائيلى هو ال · منسفيلد من مدينة حيفا ثم مهندس فرنسى وهو بير فاجو من باريس ·

وهذا المجمع مبدئيا يضم أربعة أقسام رئيسية هى :
(أ) الاماكن المقدسة للديانات الثلاثة ، وهى عبارة عن ثلاثة مبان متساوية من ناحية السعة ، مختلفة من ناحية المظهر والشكل ، ولكن تظهر الفكرة الروحية بطريقة متكاملة ، وتكون موزعة حول ساحة تخدم المبانى الثلاثة للديانات وتكون كمكان لقاء واتصال بينهم ·

(ب) مركز للدراسة والتأمل ، ولكنه منفصل عن المبانى المخصصة للديانات الثلاثة · ويكون مكانا للتعبد بصفه عامة ، ويضم قاعات للدراسة والمؤتمرات ، وحجرات للراحة والتأمل ، واستراحات للحوار ، ومكتبة عامة ، ومركزا للوثائق ، ومركزا للخدمات الفنية ، مثل الترجمة الفورية ، والعروض السينمائية والفنية .

(جـ) فندق صغير ، لاستقبال واقامة الافراد المشتركين فى أية أجتماعات او مؤتمرات ، ويمكن ان يضم ٦٠ وحدة ، ومطعما يستوعب حوالى ٣٠٠ وجبة ، وأماكن لاقامة العاملين بالخدمات .

(د) مجمع للسياح ، يقام على مقربة من مجمع الاديان وفقا للدراسات السياحية للمنطقة ، ويستوعب حوالى ٣٠٠ شخص ، ويكون مستقلا تماما .

● ● ●

وقد جرى دراسة المشروعين على الطبيعة خلال شهر أكتوبر ١٩٧٩ ، وقيل أن المشروع الثانى قد حاز القبول ، ويبقى التنفيذ ·

كما سيشرف على تنفيذ المجمع المهندس عثمان احمد عثمان الذى كلفه الرئيس السادات بالاشراف على تنفيذ هذا العمل التاريخى ، خاصة وان عثمان احمد عثمان يعتبر احد ابناء سيناء ، اذا انه ينتمى الى منطقة العريش ، وابنا لاحد قبائلها .

واخيرا .. فان تنفيذ المجمع سيكون تحت اشراف مصر بالكامل . ثم ان اختيار مكان هذا المجمع الايمانى سيتم فى اطار التخطيط السكانى والعمرانى والسياحى لمنطقة الوادى المقدس .

الفصل السابع عشر

خاتمـــة

علاقة سيناء بالعروبة والاسلام ، علاقة وطيدة ومستمرة ..
بل هي علاقة ، كما يرى هينز سكروبشه ذات شقين .

الشق الأول : هو ما اكده القرآن الكريم ، حيث ذكر « طور سيناء » فى عدة آيات بينات ، كما ذكرنا من قبل . وفى هذا الذكر تتبين العلاقة قبل الاسلام ، تلك التى جعلت احدى سور الكتاب الكريم تسمى « الطور » . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مكانة الطور - أو سيناء من قبيل اطلاق الجـزء على الكل - فى الاسلام وفى فكر الاسلام .

وعندما بزغ فجر الاسلام وأشرق بنوره ، قيل أن النبى عليه الصلاة والسلام ، أرسل خطابا الى رهبان دير سانت كاترين ، باعتبارهم اهل كتاب ، يؤمنهم فيه على حياتهم ويدعوهم بدعوة الاسلام .

وهنـاك فى الدير نسـخة من (العهدة) النبـوية ، حيث الاصـــل - كما يقولون .. نقله العثمانيون الى متحف طوب كابوسرايى ، وترك للرهبان صورة ..

كذلك ، قيل ان العلاقة بين المسلمين وسيناء قد بدات قبل زحف عمرو بن العاص بجنده الى سيناء ومصر .

والشق الثانى : هو علاقة سيناء بالاسلام ، من خلال علاقة مصرية تبدأ منذ الفتح العربى لمصر .

والواقع أن سيناء لعبت دورا اسلاميا وعربيا هاما ، منذ صدر الاسلام . حيث شهدت بدءا من عام ٦٣٩ ميلادية عبور طلائع الجيش الاسلامى . فعمرو بن العاص قائد هـذا الجيش ، فض كتاب امير المؤمنين عمر بن الخطـاب اليه فى العريش . والعريش

كانت من مصر ، هكذا قالوا لعمرو بن العاص .. وهى دلالة اكيدة على مصرية سيناء قبل الاسلام ، وبعده بالطبع .

وقد كان اجتياز عمرو بن العاص لسيناء ووصـــوله الى مصر ، وبنائه الفسطاط ثالث المدن الاسلامية ، وأولها فى افريقيا، مرحلة هامة من مراحل تاريخ مصر الاسلامية العربية . فالاسلام الذى جاء الى مصر عبر ســــيناء كان نقطة انطلاقة فى افريقيا والاندلس .

والحقيقة أن عروبة سيناء ومصر قبل الاسلام كانت مؤكدة فسيناء كما كانت معبرا للقبـــائل العربيـــة ، نتيجة للهجرات الكثيرة من شبه الجزيرة العربية فهى ايضـــا احتفظت ببعض العشائر والافخاذ والبطون . بل هى كانت – وما زالت – موطن قبائل عربية صميمة مثل قيس ، ومزينة ، والقرارشـــة ... وغيرها . كذلك فان سيناء ومصر بالطبع كانت معبرا وموصلا جيدا للكتاب والعلماء والشـــعراء .. ما بين مشرق العرب ومغربه ، والعكس كذلك صحيح .. خاصة بعد تأسيس القاهرة وتأسيس الجامع الأزهر ، كعبة الاسلام العلمية .. يضاف الى ذلك فان سيناء كانت المعبر الرئيسى لطريق حجاج افريقيا زمنا طويلا أشرنا اليه فى الفصول السابقة .

يقول يوحنا النقيوسى فى تاريخه ، ان أحد رهبان دير السيدة العذراء – دير سانت كاترين بعد ذلك – قد أسلم قبل أن يتـم فتح العرب لمصر ، وكان مع الكثيرين من الرهبان عونا لقوات الفتح الاسلامى ، وتقدمها نحو وادى النيل .

بل ان المسيحية والاسلام تعانقا فى سيناء ، فوق بقاعهـــا المقدسة ، قبل أن يتعانقا داخل وادى النيـــل ، يدل عـلى ذلك مظاهر كثيرة ، ومنها الجامع داخل الدير فيما بعد ، والذى يقع قرب « كنيسة التجلى » .

وينشأ تســـاؤل هنا لم نطرحه ، ونحن نتحدث عن دير سانت كاترين : ما سبب بناء المسجد داخل حرم الدير ؟
قيل ان السبب ، جاء من اعتناق «الجبالية للاسلام» وقيل

ايضا أن المسجد بني كى يؤدى فيه المسلمون الذين يزورون الجبل المقدس ، صلاتهم • فالجبل مقدس عند المسلمين ، كما هو أيضا عند اليهود والمسيحيين • لكن هناك رأى أقرب الى الصحة ، ذلك الذى يقول ان بناء المسجد جاء نتيجة تهديد الصليبيين لبيت المقدس .. وبعد ان بدات سيناء تلعب دورا هاما فى الدفاع عن الامة العربية والاسلامية ضد هذا الخطر الصليبى •

والواقع ان سيناء ظلت هى المعبر بين شرق العرب ومغربهم ، بل ظلت همزة الوصل بين بعضهم فى آسيا وبعضهم فى افريقيا• وقد جعلها موقعها هذا الاستراتيجى مطمعا لكثير من القوى التى استهدفت التآمر على العرب وعلى وحـدتهم ، وعلى تاريخهم كذلك • وقد تمثل ذلك فى كل ما جاء على عالم العرب والاسلام ، وكل ما مر به من أحداث ، بحيث يمكننا أن نقول – ودون مغالاة – أن تاريخ سيناء شريحة كبيرة من التاريخ العربى بكل مفاخره وانتصاراته ، وبكل أوزاره وأوضاره أيضا •

فالصليبيون مثلا ، لكي يحققوا استراتيجية فصل مغرب العرب عن مشرقهم ، استهدفوا امتلاك سيناء والسيطرة عليها ، بالضبط مثلما جاء الصهاينة – الصليبيون الجدد الذين حاولوا احتـــلال وامتلاك سيناء لينفذوا الفكرة ، الصليبيـــة البائدة •• فالـكاتب اليهودى ايلى ليفى أبو عسل فى كتابه : « يقظة العالم اليهودى » يؤكد ان اسرائيل كانت تريد ان تلعب نفس الدور الذى فشل فى تحقيقه الصليبيون ، أو الذى أفشله المصريون على وجه أصـح ••

كذلك فان الجنرال بونابرت حين غزا مصر اهتم بســـيناء وأرسل اليها العلماء والمهندسين ، بل أنه زار شبه الجزيرة وأقام

عدة أيام فى منطقة عيون موسى يبحث ويدرس اقامة قاعدة فى تلك المنطقه ، لتكون مركزا استراتيجيا للامبراطورية التى كان يحلم بها فى المشرق ، تلك التى تحطمت على صخرة المقاومة المصرية فى سيناء وغير سيناء .. كذلك حين زارت الامبراطورة الفرنسية أوجينى مصر فى عام ١٨٦٩ كضيفه شرف فى افتتاح قناة السويس .. كان أول ما فكرت فيه هو أن تزور منطقه عيون موسى . ما ذكرناه حول البريطانيين الذين حاولوا الانفراد بسيناء ليخدموا سياستهم الاستعمارية فى فلسطين ومصر معا ..

ومن هنا يأتى عظمة ما حدث فى كامب ديفيد الثانى أولا.. ثم ما حدث من توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل للجلاء عن سيناء ثانيا . وقبل هذا وذاك جاءت حرب أكتوبر المجيدة ، تلك التى وضعت نهاية لكل تلك المخططات التى استهدفت اقامة القيود والسدود بين مغرب العرب ومشرقهم من خلال سيناء .

وقد لفتنى كاتب اسرائيلى أثناء احتلال سيناء بعد عام ١٩٦٧ ، حين قال : (اذا كنا قد عقدنا العزم على تحويل اسرائيل الى دولة هامة ، فعلينا أن نستغل كل فرصة ، وأن نبحث عن كل ذريعة لكى نوطد أقدامنا فى شبه جزيرة سيناء ، ولا نتزحزح منها الى الابد) !

بل ان الامر قد وصل بمناحم بيجين ، آخر الكبار الذين ساهموا فى اقامة دولة اسرائيل بالدماء والجماجم والاشلاء ، أنه أوصى فى مستعمرة « ياميت » .. قرب رفح ..

وهذا وذاك بالطبع مؤشر هام على تلك الاستراتيجية الصليبية الصهيونية الاستعمارية ، التى ترى فى احتلال سيناء تصفية لقضية شعب فلسطين ، ولفصل مغرب العرب عن مشرقهم .. وقطعا أرضيا وبشريا بين العرب ووحدتهم .. بمعنى أن تزول الى الابد تلك الارض المشتركة بين مشرق ومغرب العالم العربى .

● ● ●

فى بحث له عن سيناء ، يرى الكاتب محمد عمارة ، أن شبه

الجزيرة هى الشرط الثالث للقومية العربية ، منذ أن قامت للعرب والعروبة امبراطورية ٠٠ كان لسيناء ذلك الدور القومى العربى ، منذ عبرها الجيش العربى ٠ وهذا الدور لسـيناء ساهم فى حمل وتوصيل رسالة التنوير والحضارة الاسلامية ، حتى وصلت للاندلس، بل استنارت به أوربا بدءا من جنوبها ٠ وهـــذا الدور – وهو الاهم – قد ساهم فى التكوين النفسى المشترك للمواطن العربى ، على امتداد الوطن العربى الكبير ٠

كذلك فانه حينما حدث التفاعل ، بدأت حركة أخـرى من المغرب الى المشرق ، بدأت بدولة الفواطم ، وقبلها ،تلك التى اتخذت من مصر منطلقا للعروبة عبر سيناء ، وحيث من خـــلال الازهر الشريف ،ومن خلال بيت الحكمة ، بدأت مصر عبر سيناء تجـديد شباب حضارة الاسلام فى المشرق ٠ بل بدأت معركة الدفاع عنه – وحتى الآن – أمام ما بدأ يجتاحه من غزوات على مختلف أنواعها، تلك التى حاولت فصل مصر ودورها القيادى عن مشرق العالم العربى ٠

هذه الغزوات أكدت أنه لا قيام للدولة العربية ولا تقـــدم للعرب الا بالالتحام مع مصر ٠٠ وقد وضح ذلك حينما كان العبور عبر سيناء هو بداية النهاية لتلك المحاولات المفرضة على العرب فى العصور الوسطى ، والتى تجددت فى عصرنا الحـــديث من خلال الهجمة الصهيونية الاستعمارية ٠

بل هناك مثال حديث على ذلك ٠٠ حينما عقد حزب المحافظين البريطانى مؤتمرا أستعماريا فى عام ١٩٠٥ ، لدراســـة تجارب الفشل والنجاح ٠٠ وقد أقر المؤتمر ، أن الوحدة العربية المرتكزة على وحدة الارض العربية ، هى السبب فى افشال المخططات الاستعمارية٠ ولذلك فقد كان من أهم توصيات هذا المؤتمر اقامة قوة عدوة لشعوب تلك المنطقة وصديقة للدول الاوربية ومصالحها ٠٠

هذه القوة العدوة بالطبع هى اسرائيل ، التى أعطيت وعـــد بلفور ، هذا الوعد الذى أعطاه من لا يملك لمن لا يستحق !!

وهكذا كانت دائما أهداف القوى الاستعمارية أن تعزل مصر عن شقيقاتها فى المشرق العربى ، وبناء جزيرة استعمارية على مقربة من قناة السويس تعيق كل نبض فى مصر ، حتى لا يسمع صداه فى عالم العرب بالمشرق ٠

ولذلك ٠٠ فان عودة سـيناء ٠٠ هى عودة الروح ٠، وعودة الجسر بين مشرق العرب ومغربهم ٠ وانهاء المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء والجلاء عنها ٠٠ هو سـابقة هامة ٠٠ وهدم جدار ادعاءات اقامتها لسبب الامن الاسرائيلى وهدم للتراث الاستعمارى الذى استمر لعدة قرون ٠

والذين يعارضون ، أو يرفضون هذه العودة ٠٠ هم يفكرون – فعلا – بعقلية المستعمر الامبريالى ٠

ان عودة سيناء الى الام مصر ، والى العرب جميعا ، هى عودة للالتقاء والجسر ، واستئناف لمسيرة العرب الحضارية ، من خلال الارض الموحدة العربية فى أفريقيا وآسيا على السواء ٠

وثائق السلام

ملاحق وخرائط

معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل

ان حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة دولة اسرائيل ..

اقتناعا منهما بالضرورة الماسة لاقامة سلام عادل وشـــامل ودائم في الشرق الاوسط وفقا لقراري مجلس الامن ٢٤٢و٣٣٨ .

اذ تؤكدان من جديد التزامهما « باطار الســـلام في الشرق الاوسط المتفق عليه في كامب ديفيـــد » ، المؤرخ في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ..

واذا تلاحظان أن الاطار المشـــار اليه انما يقصد به أن يكون أساسا للسلام ، ليس بين مصر واسرائيل فحسب ، بل أيضا بين اسرائيل واى من جيرانها العرب كل فيما يخصه ممن يكون عـــلى استعداد للتفاوض من أجل السلام معها على هذا الاساس ..

ورغبة منهما في انهاء حالة الحرب بينهما واقامة ســـلام تستطيع فيه كل دولة أن تعيش في أمن ..

واقتناعا منهما بأن عقد معاهدة ســـلام بين مصر واسرائيل يعتبر خطوة هامة في طريق السلام الشامل في المنطقة والتوصـــل الى تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي بكافة نواحيه ..

واذ تدعوان الاطراف العربية الاخرى في النزاع الى الاشتراك في عملية السلام مع اسرائيل على أساس مبادىء السلام المشـــار اليه آنفا واسترشادا بها .

واذ ترغبان أيضا في انماء العلاقات الودية والتعاون بينهمـــا وفقا لميثاق الامم المتحدة ومبادىء القانون الدولي التي تحكم العلاقات الدولية في وقت السلم .

قد اتفقتا على الاحكام التاليـــة بمقتضى ممارســــتها الحرة لسيادتهما من أجل تنفيذ الاطار الخاص بعقد معاهدة الســلام بين مصر واسرائيل .

المادة الاولى :

١ – تنتهي حالة الحرب بين الطرفين ويقام السلام بينهمـــا عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

٢ – تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء الى ما وراء الحدود الحالية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو وارد بالبروتوكول الملحق بهذه المعـــاهدة (الملحق الاول) وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء .

٣ – عند اتمام الانسحاب المرحلي المنصوص عليه في الملحق الاول ، يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهمـــا طبقا للمادة الثالثة (فقرة ٣) .

المادة الثانية :

ان الحدود الدائمة بين مصر واسرائيل هي الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب كما هو واضـــح بالخريطة في الملحق الثاني وذلك دون المساس بما يتعلق بوضـــع قطاع غزة ، ويقر الطرفان بأن هذه الحدود مصونة لا تمس ويتعهد كل منهما باحترام سلامة أراضي الطرف الآخر بما في ذلك مياهه الاقليمية ومجاله الجوي .

المادة الثالثة :

١ – يطبق الطرفان فيما بينهما أحكام ميثاق الامم المتحـدة ومبادىء القانون الدولي التي تحـكم العلاقات بين الدول في وقت السلم ، وبصفة خاصة :

(أ) يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة أراضيه واستقلاله السياسي ·

(ب) يقر الطرفان ويحترم كل منهما حق الآخر فى أن يعيش فى سلام داخل حدوده الآمنة والمعترف بها ·

(ج) يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها ، إحدهما ضد الآخر على نحو مباشر أو غير مباشر ، وبحل كافة المنازعات التى تنشأ بينهما بالوسائل السلمية ·

٢ - يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعال الحرب أو الافعال العدوانية أو التهديد بها من داخل أراضيه أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته أ و مرابطه على أراضيه ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر ، كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو الاثارة أو المساعدة أو الاشتراك فى فعل من أفعال الحرب أو الافعال العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف ضد الطرف الآخر فى أى مكان، كما يتعهد بأن يكفل تقديم مرتكبى مثل هذه الأفعال للمحاكمة ·

٣ - يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى ستقام بينهما ستضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وانهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز ذات الطابع التمييزى المفروضة ضد حرية انتقال الافراد والسلع · كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تمتع مواطنى الطرف الاخر الخاضعين لاختصاصه القضائى بكافة الضمانات القانونية ويوضح البروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الثالث) الطريقة التى يتعهد الطرفان بمقتضاها بالتوصل الى اقامة هذه العلاقات وذلك التوازى مع تنفيذ الاحكام الاخرى لهذه المعاهدة ·

المادة الرابعة :

١ – بغية توفير الحد الاقصى للامن لكلا الطرفين وذلك على أساس التبادل تقام ترتيبات أمن متفق عليها بما فى ذلك مناطق محدودة التسليح فى الاراضى المصرية والاسرائيلية وقوات أمم متحدة ومراقبين من الامم المتحدة وهذه الترتيبات موضحة تفصيلا من حيث الطبيعة والتوقيت فى الملحق الاول وكذلك أية ترتيبات أمن أخرى قد يتفق عليها الطرفان .

٢ – يتفق الطرفان على تمركز أفراد الامم المتحدة فى المناطق الموضحة بالملحق الاول ويتفق الطرفان على أن سحب هؤلاء الافراد لن يتم الا بموافقة مجلس الامن التابع للامم المتحدة بما فى ذلك التصويت الايجابى للاعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس وذلك ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك .

٣ – تنشأ لجنة مشتركة لتسهيل تنفيذ هذه المعاهدة وفقا لما هو منصوص عليه فى الملحق الاول .

٤ – يتم بناء على طلب أحد الطرفين اعادة النظر فى ترتيبات الامن المنصوص عليها فى الفقرتين ١ ، ٢ من هذه المادة وتعديلها باتفاق الطرفين .

المادة الخامسة :

١ – تتمتع السفن الاسرائيلية والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها بحق المرور الحر فى قناة السويس ومداخلها فى كل من خليج السويس والبحر الابيض المتوسط وفقا لاحكام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ المنطبقة على جميع الدول ، كما يعامل رعايا اسرائيل وسفنها وشحناتها وكذلك الاشخاص والسفن والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها معاملة لا تتسم بالتمييز فى كافة الشئون المتعلقة باستخدام القناة .

٢ – يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو إيقـــاف لحرية الملاحة أو العبور الجوى ، كما يحترم الطرفان حق كل منهما فى الملاحة والعبور الجوى من وإلى أراضيه عبر مضيق تيران وخليـــج العقبة .

المادة السادسة :

١ – لا تمس هذه المعاهدة ولا يجوز تفســـيرها على أى نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين وفقا لميثاق الامم المتحدة .

٢ – يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من طرف آخر وبشكل مستقل عن أية وثيقة خارج هذه المعاهدة .

٣ – كما يتعهدان بأن يتخذا كافة التدابير اللازمة لكى تطبق فى علاقاتهما أحكام الاتفاقيات المتعـــددة الاطراف التى يكونا من اطرافها بما فى ذلك تقديم الاخطار المناسب للامين العـــام للامم المتحدة وجهات الايداع الاخرى لمثل هذه الاتفاقيات .

٤ – يتعهد الطرفان بعدم الدخول فى أى التزامات تتعارض مع هذه المعاهدة .

٥– مع مراعاة المادة ١٠٣ من ميثـــــاق الامم المتحـــدة يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الاطراف بموجب هذه المعاهدة وأى التزامات أخرى ، فان الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة .

المادة السابعة :

١ – تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق المفاوضة .

٢ – اذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضة فتحل بالتوفيق أو تحال الى التحكيم ٠

المادة الثامنة :

يتفق الطرفان على انشاء لجنة مطالبات للتسوية المتبادلة لكافة المطالبات المالية ٠

المادة التاسعة :

١ – تصبح هذه المعاهدة نافذة المفعول عند تبادل وثائق التصديق عليها ٠

٢ – تحل هذه المعاهدة محل الاتفاق المعقود بين مصر واسرائيل فى سبتمبر ١٩٧٥ ٠

٣ – تعد كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقة بهذه المعاهدة جزءا لا يتجزأ منها ٠

٤ – يتم اخطار الامين العام للامم المتحدة بهذه المعاهدة لتسجيلها وفقا لاحكام المادة ١٠٢ من ميثاق الامم المتحدة ٠

حررت فى واشنطن دى ٠سى ٠ فى ٢٦ مارس ١٩٧٩م، ٢٧ ربيع الاول ١٣٩٩ هـ من ثلاثة نسخ باللغات العربية والانجليزية والعبرية وتعتبر جميعها متساوية الحجية ، وفى حالة الخلاف حول التفسير فيكون النص الانجليزى هو الذى يعتد به ٠

عن حكومة جمهورية مصر العربية — عن حكومة اسرائيل

محمد أنور السادات — مناحم بيجين

شهد التوقيع

جيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

الملحق الاول

البروتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلي وترتيبات الامن

المادة الاولى – اسس الانسحاب :

١ – تقوم اسرائيل باتمام سحب كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء فيموعد لا يتجاوز ثلاث سنواتمن تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

٢ – لتوفير الامن لكلي الطرفين سيصاحب تنفيذ الانسحاب على مراحل الاجراءات العسكرية وانشاء المناطق الموضحة فى هذا الملحق وفى الخريطة رقم (١) والمشار اليها فيما بعد بكلمة « المناطق » .

٣ – يتم الانسحاب من سيناء على مرحلتين :

(أ) الانسحاب المرحلى حتى خط العريش – رأس محمد كما هو مبين على الخريطة رقم (٢) وذلك خلال تسعة أشهر من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

(ب) الانسحاب النهائى من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية فى مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

٤ – تشكل لجنة مشتركة فور تبادل وثائق التصديق على المعاهدة من أجل الاشراف على وتنسيق التحركات والتوقيتات أثناء الانسحاب ، واحكام الخطط والجداول الزمنية وفقا للضرورة فى حدود القواعد المقررة فى الفقرة (٣) أعلاه ، والتفاصيل المتعلقة باللجنة المشتركة الموضحة فى المادة (٤) من المرفق لهذا الملحق ،

وسوف تحل اللجنة المشتركة عقب إتمام الانســـحاب الاسرائيلي النهائي من سيناء ٠

المادة الثانية ـ تحديد الخطوط النهائية :

١ ـ بغية توفير الحد الاقصى لامن كلى الطرفين بعد الانسحاب النهائي فان الخطوط والمناطق الموضحة على الخريطة رقم «١» يتم انشاؤها وتنظيمها على الوجه التالى :

(أ) المنطقة «أ» :

١ ـ المنطقة (أ) يحدها من الشرق الخط «أ» « الخط الاحمر» ومن الغرب قناة السويس والساحل الشرقى لخليج السويس كما هو موضح على الخريطة رقم (١) ٠

٢ ـ تتواجد فى هذه المنطقة قوات عسكرية مصرية من فرقة مشاه ميكانيكية واحدة ومنشآتها العســكرية وكذا تحصينـــات ميدانية ٠

٣ ـ تتكون العناصر الرئيسية لهذه الفرقة من :

«أ» ثلاثة الوية مشاه ميكانيكية ٠

(ب) لواء مدرع واحد ٠

(جـ) سبع كتائب مدفعية ميدانية تتضمن حتى ١٢٦ قطعـــة مدفعية ٠

«د» سبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات تتضمن صواريخ فردية أرض / جو وحتى ١٢٦ مدفع مضاد للطائرات عيار ٣٧ مم فأكثر ٠

(هـ) حتى ٢٣٠ دبابة ٠

(و) حتى ٤٨٠ مركبة أفراد مدرعة من كافة الانواع ٠

(ز) اجمالى حتى ٢٢ ألف فرد ٠

(ب) المنطقة «ب» :

١ ـ المنطقة «ب» يحـــدها من الشرق الخط «ب» (الخط الاخضر) ومن الغرب « أ » (الخط الاحمر) كما هو موضـــح على الخريطة رقم (١) ٠

٢ ـ توفر الامن فى المنطقة «ب» وحدات حـــدود مصرية من أربع كتائب مجهزة بأسلحة خفيفة وبمركبات عجل تعاون الشرطة المدنية فى المحافظة على النظام فى المنطقة ، وتتكون العنـــاصر الرئيسية لكتائب الحدود الاربع من اجمالى حتى ٤٠٠٠ فرد ٠

٣ ـ يمكن اقامة نقاط انذار ساحلية أرضية قصيرة المـــدى ذات قوة منخفضة لوحدات الحدود على ساحل هذه المنطقة ٠

٤ ـ تنشأ فى المنطقة «ب» تحصينات ميدانية ومنشـــآت عسكرية لكتائب الحدود الاربع ٠

(ج) المنطقة «ج» :

١ ـ المنطقة «ج» يحدها من الغـــرب الخط «ب» (الخط الاخضر) ومن الشرق الحدود الدولية وخليج العقبة كما هو موضح على الخريطة رقم (١) ٠

٢ ـ تتمركز فى المنطقة «ج» قوات الامم المتحدة والشرطـة المدنية المصرية فقط ٠

٣ ـ تتولى الشرطة المدنية المصرية المسلحة بأسلحة خفيفـــة أداء المهام العادية للشرطة داخل هذه المنطقة ٠

٤ ـ توزع قوات الامم المتحدة داخل المنطقـــة «ج» وتؤدى وظائفها المحددة فى المادة السادسة من هذا الملحق ٠

٥ – تتمركز قوات الامم المتحدة أساسا فى معسكرات تقع داخل مناطق التمركز التالية والموضحة على الخريطة رقم (١) ، على ان تحدد مواقعها بعد التشاور مع مصر كما يلى :

(أ) فى ذلك الجزء من المنطقة فى سيناء التى تقع فى نطاق ٢٠ كم تقريبا من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية .

(ب) فى منطقة شرم الشيخ .

(د) المنطقة «د» :

١ – المنطقة «د» يحدها الشرق الخط «د» (الخط الازرق) ومن الغرب الحدود الدولية كما هو موضح على الخريطة رقم (١) .

٢ – تتواجد فى هذه المنطقة قوة اسرائيلية محدودة من أربع كتائب مشاه ومنشآتها العسكرية وتحصينات ميدانية ومراقبى الامم المتحدة .

٣ – لا تتضمن القوة الاسرائيلية فى المنطقة «د» دبابات أو مدفعية أو صواريخ فيما عدا صواريخ فردية أرض / جو .

٤ – تتضمن العناصر الرئيسية لكتائب المشاه الاسرائيلية الاربع حتى ١٨٠ مركبة أفراد مدرعة من كافة الانواع واجمالى حتى ٤٠٠٠ فرد .

٢ – يسمح باجتياز الحدود الدولية من خلال نقاط المراجعة فقط والمحددة من قبل كل طرف وتحت سيطرته ويكون هذا الاجتياز وفقا للقوانين والنظم المعمول بها فى كل دولة .

٣ – تتواجد بهذه المناطق تلك التحصينات الميدانية والمنشآت العسكرية والقوات والاسلحة المسموح بها والمحددة فى هذا الملحق .

المادة الثالثة – نظام الطيران العسكرى :

١ – تكون طلعات طائرات القتال وطلعات الاستطلاع لمصر واسرائيل فوق المنطقتين «أ» و «د» فحسب كل فى منطقته ·

٢ – تتمركز الطائرات غير المسلحة وغير المقاتلة لمصر واسرائيل فى المنطقتين «أ» و «د» فقط ، كل فى منطقته ·

٣ – تقلع وتهبط طائرات النقل غير المسلحة المصرية فقط فى المنطقة «ب» ويمكن الاحتفاظ فى المنطقة «ب» بعدد ٨ طائرات منها · يمكن تجهيز وحدات الحدود المصرية بطائرات هليكوبتر غير مسلحة لاداء وظائفها فى المنطقة «ب» ·

٤ – يمكن تجهيز الشرطة المدنية المصرية بطائرات هليكوبتر غير مسلحة لاداء وظائف الشرطة العادية فى المنطقة «ج» ·

٥ – يمكن انشاء مطارات مدنية فقط فى هذه المناطق ·

٦ – دون المساس بأحكام هذه المعاهدة ، يقتصر النشاط الجوى العسكرى فى المناطق المختلفة وفى المجال الجوى الواقع فوق مياهها الاقليمية على ما هو مقرر على وجه التحديد فى هذا الملحق·

المادة الرابعة – النظام البحرى العسكرى :

١ – يمكن للقطع البحرية التابعة لمصر واسرائيل التمركز والعمل على سواحل المنطقتين «أ» و «د» كل فى منطقته ·

٢ – يمكن لزوارق حرس السواحل المصرية خفيفة التسليح أن تتمركز وتعمل فى المياه الاقليمية للمنطقة «ب» لمعاونة وحدات الحدود فى أداء وظائفها فى هذه المنطقة ·

٣ – تؤدى الشرطة المدنية المصرية والمجهزة بزوارق خفيفة مسلحة تسليحا خفيفا وظائف الشرطة العادية داخل المياه الاقليمية للمنطقة «ج» ·

٤ – ليس فى هذا الملحق ما يعتبر انتقاصا من حق المرور البرىء للقطع البحرية لكلى الطرفين ٠

٥ – يمكن أن تقام فى المناطق المختلفة موانىء ومنشآت بحرية مدنية فقط ٠

٦ – دون المساس باحكام هذه المعاهدة يقتصر النشاط البحرى العسكرى فى المناطق المختلفة وفى مياهها الاقليمية على ما هو مقرر على وجه التحديد فى هذا الملحق ٠

المادة الخامسة – نظام الانذار المبكر :

يمكن لكل من مصر واسرائيل انشاء وتشغيل نظم انذار مبكر فى المنطقتين «أ» و «د» فقط ، كل فى منطقته ٠

المادة السادسة – عمليات الامم المتحدة :

١ – يطلب الطرفان من الامم المتحدة أن توفر قوات ومراقبين للاشراف على تنفيذ هذا الملحق وبذل كل جهودها لمنع اى خرق لاحكامه ٠

٢ – يتفق الطرفان ، كل فيما يخصه ، على طلب الترتيبات التالية فيما يتعلق بقوات ومراقبى الامم المتحدة :

(أ) تشغيل نقاط مراجعة ودوريات استطلاع ونقاط مراقبة على امتداد الحدود الدولية وعلى الخط « ب » وداخل المنطقة « جـ » ٠

(ب) التحقق الدورى من تنفيذ أحكام هذا الملحق مرتين في الشهر على الأقل ، ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك ٠

(جـ) اجراء تحقق اضافى خلال ٤٨ ساعة بعد تلقى طلب بذلك من أى من الطرفين ٠

(د) ضمان حرية الملاحة في مضيق تيران وفقا للمادة الخامسة من معاهدة السلام ٠

٣ – تنفيذ الترتيبات المقررة عاليه لكل منطقة بواسطة قوات الامم المتحدة فى المناطق «أ» «ب» «ج» وبواسطة مراقبى الامم المتحدة فى المنطقة «د» .

٤ – يرافق أطقم التحقق للامم المتحدة ضباط اتصال من الطرف المختص .

٥ – تخطر قوات الامم المتحدة ومراقبوها كلى الطرفين بالنتائج التى يتوصلون اليها .

٦ – تتمتع قوات الامم المتحدة ومراقبوها الذين يعملون فى مختلف المناطق بحرية الحركة والتسهيلات الاخرى الضرورية لاداء واجباتهم .

٧ – لا تتمتع قوات الامم المتحدة ومراقبوها بأية صلاحيات للسماح باجتياز الحدود الدولية .

٨ – يتفق الطرفان على الدول التى تشكل منها قوات ومراقبى الامم المتحدة وسيتم ذلك من الدول غير ذات العضوية الدائمة بمجلس الامن للامم المتحدة .

٩ – يتفق الطرفان على أن تقوم الامم المتحدة بوضع ترتيبات القيادة التى تضمن أفضل تنفيذ فعال لمسئولياتها .

المادة السابعة – نظام الاتصال :

١ – عقب حل اللجنة المشتركة يتم انشاء نظام اتصال بين الطرفين ، ويهدف هذا النظام الى توفير وسيلة فعالة لتقييم مدى التقدم فى تنفيذ الالتزامات وفقا لهذا الملحق وحل أية مشكلة قد تطرأ أثناء التنفيذ ، كما تقوم باحالة المسائل التى لم يبت فيها الى السلطات العسكرية الاعلى للبلدين كل فيما يخصه للنظر فيها ،

كما يهدف أيضا الى منع أية مواقف قد تنشأ نتيجة أخطاء أو سوء فهم من قبل أى من الطرفين ٠

٢ ـ يقام مكتب اتصال مصرى فى مدينـــة العريش ومكتب اتصال اسرائيلى فى مدينة بئر سبع ويرأس كل مكتب ضابط من البلد المعنى يعاونه عدد من الضباط ٠

٣ ـ يقام اتصال تليفونى مباشر بين المكتبين وكذا خطـــوط تليفونية مباشرة بين قيادة الامم المتحدة وكلى المكتبين ٠

المادة الثامنة ـ احترام النصب التذكارية للحرب :

يلتزم كل طرف بالمحافظة على النصب المقامة فى ذكرى جنود الطرف الآخر بحالة جيدة ، وهى النصب المقامة بواسطة اسرائيل فى سيناء والنصب التى ستقام بواسطة مصر فى اسرائيل ، كمـا سيسمح لكل طرف بالوصول الى هذه النصب ٠

المادة التاسعة ـ الترتيبات المؤقتة :

ينظم المرفق لهذا الملحق والخريطتان (٢) و (٣) انســـحاب القوات المسلحة الاسرائيلية والمدنيين الى ما وراء خط الانسحـاب المرحلى ، وكذا حركة قوات الطرفين والامم المتحدة حتى الانسحاب النهائى ٠

مرفق الملحق الاول

تنظيم الانسحاب من سيناء

المادة الاولى – مبادىء الانسحاب :

١ – يتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية والمدنيين من سيناء على مرحلتين كما هو مبين فى المـــادة الاولى من الملحق (١) ويتضمن هذا المرفق تخطيط وتوقيت الانسحاب ، وتقوم اللجنة المشتركة باعداد التفاصيل الخاصة بهذه المراحل وتقدمها الى كبير منسقى قوات الامم المتحدة بالشرق الاوسط قبل شهر من ابتداء أى مرحلة من مراحل الانسحاب •

٢ – اتفق الطرفان على المبادىء التالية بشأن ترتيب التحركات العسكرية :

(أ) على الرغم مما تقضى به أحكام المادة التاسعة الفقرة الثانية من هذه المعاهدة ، وحتى يتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من الخطين (ى و م) الحاليين اللذين أنشئا بنا على الاتفاقيـــة المصرية / الاسرائيلية الموقعة فى سبتمبر ١٩٧٥ والمشار اليها فيما بعد باتفاقية عام ١٩٧٥ ، الى خط الانسحاب المرحلى ، فان جميع الترتيبات العسكرية القائمة طبقا لتلك الاتفاقية تبقى سارية المفعول فيما عدا الترتيبات العسكرية المنصوص عليها خلاف ذلك فى هذا المرفق •

(ب) مع انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية تدخل قوات الامم المتحدة فورا للمناطق المخلاه لاقامة مناطق عازلة مؤقتة كما هو مبين فى الخريطتين (٢) ، (٣) على التوالى بغرض الابقاء عـلى الفصل بين القوات ، ويكون دخول قوات الامم المتحدة ســـابقا لتحرك أى أفراد آخرين الى داخل هذه المناطق •

(ج) خلال فترة سبعة أيام بعد اخلاء القوات الاسرائيلية المسلحة لاية مساحة واقعة فى المنطقة «أ» ، تنتشر وحدات القوات المسلحة المصرية وفقا لاحكام المادة الثانية من هذا المرفق .

(د) خلال فترة سبعة أيام بعد اخلاء القوات الاسرائيلية المسلحة لاية مساحة واقعة فى المنطقتين «أ» و «ب» تنتشر وحدات الحدود المصرية وفقا لاحكام المادة الثانية من هذا المرفق ، وتؤدى وظائفها وفقا لاحكام المادة الثانية من الملحق (١) .

(هـ) تدخل الشرطة المدنية المصرية الى المساحات المخلاه عقب دخول قوات الامم المتحدة مباشرة لاداء الوظائف العادية للشرطة .

(و) تنتشر وحدات القوات البحرية المصرية فى خليج السويس وفقا لاحكام المادة الثانية من هذا الملحق .

(ز) باستثناء تلك التحركات المشار اليها أعلاه فان أعمال الانتشار للقوات المسلحة المصرية والانشطة الموضحة فى الملحق (١) تكون سارية المفعول فى المناطق المخلاه بعد أن تتم القوات المسلحة الاسرائيلية انسحابها الى ما وراء خط الانسحاب المرحلى .

المادة الثانية – المراحل الفرعية للانسحاب الى خط الانسحاب المرحلى :

١ – يتم الانسحاب الى خط الانسحاب المرحلى على مراحل فرعية كما هو منصوص عليه فى هذه المادة وكما هو موضح على الخريطة (٣) وتتم كل مرحلة فرعية خلال العدد المقرر من الاشهر التى يبدأ احتسابها اعتبارا من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

(أ) المرحلة الفرعية الاولى :

خلال شهرين تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من منطقة

العريش بما فى ذلك مدينة العريش ومطارها والمشار اليها بالمنطقة (١) على الخريطة رقم (٣) .

(ب) المرحلة الفرعية الثانية :

خلال ثلاثة شهور ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من المنطقة الواقعة بين الخط «م» المقرر بمقتضى اتفاقية ١٩٧٥ والخط «أ» والمشار اليها بالمنطقة (٢) على الخريطة رقم (٣) .

(ج) المرحلة الثالثة :

خلال خمسة شهور ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من المنطقة الواقعة شرق وجنوب المنطقة (٢) والمشار اليها بالمنطقة (٣) على الخريطة رقم (٣) .

(د) المرحلة الفرعية الرابعة :

خلال سبعة شهور ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من منطقة الطور — رأس الكنيسة والمشار اليها بالمنطقة (٤) على الخريطة رقم (٣) .

(هـ) المرحلة الفرعية الخامسة :

خلال تسعة أشهر ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من المناطق المتبقية غرب خط الانسحاب المرحلى بما فى ذلك منطقة سانت كاترين والمناطق شرق ممرى الجدى ومتلا والمشار اليها بالمنطقة (٥) على الخريطة رقم (٣) ويكتمل بذلك الانسحاب الاسرائيلى الى ما وراء خط الانسحاب المرحلى .

٢ — تنتشر القوات المصرية فى المناطق المخلاه من القوات المسلحة الاسرائيلية وفقا لما يلى :

(أ) ينتشر حتى ثلث القوات المسلحة المصرية الموجودة فى سيناء وفقا لاتفاقية عام ١٩٧٥ فى الاجزاء من المنطقة «أ» التى تقع

داخل المنطقة (١) وذلك حتى اتمام الانسحاب المرحلى ، وبعد ذلك تنتشر القوات المسلحة المصرية كما هو موضح فى المادة الثانية من الملحق (١) فى المنطقة «أ» حتى حد المنطقة العازلة المؤقته ٠

(ب) يبدأ نشاط القوات البحرية المصرية وفقا للمادة الرابعة من الملحق (١) على امتداد سواحل المناطق (٢) و (٣) و (٤) عقب اتمام المراحل الفرعية الثانية والثالثة والرابعة على التوالى ٠

(ج) تنتشر كتيبة واحدة من وحـــدات الحدود المصريـة الموضحة فى المادة الثانية من الملحق (١) فى المنطقة (١) عقب اتمام المرحلة الفرعية الاولى ، كما تنتشر كتيبة ثانية فى المنطقة (٢) عقب اتمام المرحلة الفرعية الثانية ، وتنتشر كتيبة ثالثة فى المنطقة (٣) عقب اتمام المرحلة الفرعية الثالثة ، والكتيبتان الثانية والثالثـة المذكورتان عاليه يمكن أن تنتشرا فى أى من المناطق المخلاه بعـــد ذلك بجنوب سيناء ٠

٣ ـ يعاد توزيع قوات الامم المتحدة فى المنطقة العازلة (١) المقررة بمقتضى اتفاقية عام ١٩٧٥ لتمكين انتشـار القوات المصرية الموضح فى السابق وذلك عقب اتمام المرحلة الفرعية الاولى ، وفيما عدا ذلك تستمر فى آداء مهامها وفقا لاحكام الاتفاقية المشار اليها فى الاجزاء المتبقية من المنطقة المذكورة حتى اتمام الانسحاب المرحلى وفقا لما هو موضح فى المادة الاولى من هذا المرفق ٠

٤ ـ يمكن للقوافل الاسرائيلية استخدام الطرق جنوب وشرق التقاطع الرئيسى للطرق الواقعة شرق العـــريش لاخلاء القوات الاسرائيلية ومعداتهـــا حتى اتمام الانســحاب المرحلى ، وتتحرك القوافل فى ضوء النهار بعد تقديم اخطار بذلك بأربع ساعات الى مجموعة الاتصال المصرية وقوات الامم المتحدة ، وتصاحبها قوات الامم المتحدة ، وسيتم ذلك وفقا للتوقيتات المنظمة من قبل اللجنة المشتركة ، ويصاحب القوافل ضـــابط اتصال مصرى لتـأمين

التحركات دون عائق ، ويمكن للجنــة المشتركة أن توافق عــلى ترتيبات أخرى بالنسبة للقوافل .

المادة الثالثة – قوات الامم المتحدة :

١ – يطلب الطرفان توزيع قوات الامم المتحدة وفقا للضرورة لاداء الوظائف الواردة في هذا المرفق حتى موعد اتمام الانسحاب النهائي ، ولهذا الغرض يوافق الطرفان عــلى اعادة توزيع قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة .

٢ – تشرف قوات الامم المتحدة على تنفيذ هذا المرفق وتبذل ما في وسعها لمنع أية مخالفة لاحكامه .

٣ – عندما توزع قوات الامم المتحدة تبعا لاحكام المادتين الاولى والثانية من هذا المرفق ، تباشر مهمة التحقق في المناطق محـدودة القوات وفقا للمادة السادسة من الملحق (١) وتقيم نقاط مراجعة ، ودوريات استطلاع ونقاط مراقبــة في المناطق العازلة المؤقتــة الموضحة بالمادة الثانية أعلاه ، والوظائف الاخــرى لقوات الامم المتحدة والمتعلقة بالمنطقة العازلة للخط المرحلي موضحة في المـادة الخامسة من هذا المرفق .

المادة الرابعة – اللجنة المشتركة والاتصال :

١ – تعمل اللجنة المشتركة المشار اليها في المادة الرابعة من هذه المعاهدة من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة ، وحتى تاريخ اتمام الانسحاب النهائي من سيناء .

٢ – تكون اللجنة المشتركة من ممثلين عن كل طرف برئاسة ضباط من رتب عالية وتدعو اللجنة ممثلين من الامم المتحـــدة لحضور اجتماعاتها عند مناقشة موضوعات تتعلق بالامم المتحـدة أو اذا طلب أي من الطرفين وجود الامم المتحدة ويتم التوصـل الى قرارات اللجنة المشتركة باتفاق كل من مصر واسرائيل .

٣ - تشرف اللجنة المشتركة على تنفيذ الترتيبات الموضحة فى الملحق (١) وفى هذا المرفق ، ولهذا الغرض وبالاتفاق بين الطرفين تقوم بما يلى :

(أ) تنسق التحركات العسكرية الموضحة فى هذا المرفق وتشرف على تنفيذها .

(ب) تتناول بالبحث وتسعى الى حل أية مشكلة تنشأ عن تنفيذ الملحق (١) وهذا المرفق وتناقش أية مخالفات تبلغ اليها بواسطة قوات الامم المتحدة ومراقبيها ، وتحيل الى حكومتى مصر واسرائيل أية مشاكل لم يتم حلها .

(جـ) تساعد قوات الامم المتحدة ومراقبيها فى تنفيذ مهامها، وتبحث الجداول الزمنية الخاصة بالتحقيقات الدورية عندما يطلب منها الطرفان ذلك ، كما هو وارد فى الملحق رقم (١) وفى هذا المرفق .

(د) تنظم وضع العلامات على الحدود الدولية وجميع الخطوط والمناطق المشار اليها فى الملحق (١) وهذا المرفق .

(هـ) تشرف على تسليم المنشآت الرئيسية فى سيناء من اسرائيل الى مصر .

(و) توافق على الترتيبات اللازمة للعثور على الجثث المفقودة لجنود مصر واسرائيل واعادتها .

(ز) تنظم اقامة وتشغيل نقاط المراجعة للمداخل على امتداد خط العريش - رأس محمد ، وفقا لاحكام المادة الرابعة من الملحق (٣) .

(ح) توالى أعمالها عن طريق آستخدام أطقم اتصال مشتركة من ممثل واحد عن كل من مصر واسرائيل من مجموعة اتصال دائمة وسوف تمارس أنشطتها وفقا لتوجيه اللجنة المشتركة .

(ط) توفر الاتصال والتنسيق مع قيادة الامم المتحدة التي تنفذ أحكام المعاهدة وعن طريق أطقم الاتصال المشتركة تحافظ على التنسيق والتعاون المحلي مع قوات الامم المتحدة المتمركزة في مناطق معينة أو مراقبي الامم المتحدة الذين يرصدون مناطق معينة لتوفير أية مساعدة مطلوبة ·

(ى) تناقش اى مسائل أخرى قد يتفق الطرفان على طرحها على اللجنة ·

٤ ـ تعقد اجتماعات اللجنة المشتركة مرة واحدة كل شهر على الاقل وفي حالة طلب أحد الطرفين أو قيادة قوات الامم المتحدة عقد إجتماع خاص ، فيتم عقد هذا الاجتماع خلال ٢٤ ساعة ·

٥ ـ تجتمع اللجنة المشتركة في المنطقة العازلة حتى اتمام الانسحاب المرحلي ، ثم تجتمع في مدينتي العريش وبئر سبع بعد ذلك بالتبادل ، على أن يعقد أول اجتماع لها ليس متأخرا عن أسبوعين بعد بدء سريان مفعول المعاهدة ·

المادة الخامسة ـ تعريف المنطقة العازلة المؤقتة وأنشطتها :

١ ـ تنشأ منطقة عازلة مؤقتة بغرض قيام قوات الامم المتحدة بالفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية ، وذلك غرب خط الانسحاب المرحلي ومتاخمة له كما هو مبين في الخريطة رقم (٢) ، وذلك بعد تنفيذ الانسحاب الاسرائيلي وتوزيع القوات خلف خط الانسحاب المرحلي ·

وتتولى الشرطة المدنية المصرية المجهزة بأسلحة خفيفة القيام بمهام الشرطة العادية في هذه المنطقة ·

٢ ـ تقوم قوة الامم المتحدة بتشغيل نقاط المراجعة ودوريات استطلاع ، ونقاط مراقبة داخل المنطقة العازلة المؤقتة بغية التأكد من الالتزام بأحكام هذه المادة ·

٣ ـ طبقا للترتيبات التى اتفق عليها الطرفان والتى سيتم

تنسيقها فى اللجنة المشتركة ، يتولى أفراد اسرائيليون ادارة منشآت حربية فنية فى ربع مواقع محددة وموضحة على الخريطة رقم (٢) ومشار اليها بـ « ف ١ » (احداثى المركز على الخريطة ٥٧١٦٣٩٤٠) و « ف ٢ » (احداثى المركز على الخريطة ٥٩٣٥١٥٤١) و « ف٣ » (احداثى المركز على الخريطة ٥٩٣٣١٥٢٧) و « ف٤ » (احداثى المركز على الخريطة ٦١١٣٠٩٧٩) وذلك طبقا للمبادىء التالية :

(أ) يتولى العمل بالمنشآت الفنية أفراد فنيون واداريون مسلحون بالاسلحة الخفيفة اللازمة لحمايتهم (مسدسات ،بنادق، مدافع رشاشة خفيفة ومتوسطة ، قنابل يدوية وذخيرة) كالآتى :

ف ١ / ما لا يزيد على ١٥٠ فرد

ف ٢ ، ٣ / ما لا يزيد على ٣٥٠ فرد

ف ٤ / ما لا يزيد على ٢٠٠ فرد

(ب) لا يحمل الافراد الاسرائيليون أسلحة خارج المواقع ، باستثناء الضباط الذين يجوز لهم حمل الاسلحة الشخصية ٠

(جـ) سيدخل طرف ثالث يتفق عليه بين مصر واسرائيل لاجراء تفتيشات داخل محيط المنشآت الفنية فى المنطقة العازلة ، ويقوم الطرف الثالث بالتفتيش مرة كل شهر على الاقل وبطريقة فجائية ويتحقق المفتشون من طبيعة عمل وتشغيل المنشآت ومن الاسلحة والافراد داخلها ، ويقوم الطرف الثالث بابلاغ الطرفين فورا عن أى تحول لاى منشأة عن دورها فى أعمال المسح البصرى والالكترونى والمواصلات ٠

(د) يجوز القيام بامداد المنشآت وزيارتها لاغراض فنية وادارية واستبدال الافراد والاجهزة المقامة فى المواقع دون تعطيل وذلك من خلال نقاط مراجعة الامم المتحدة حتى مداخل المنشآت الفنية بعد المراجعة والمرافقة بواسطة قوة الامم المتحدة فحسب ٠

(هـ) يسمح لاسرائيل أن تدخل في منشآتها الفنيـــة المواد اللازمة للاداء الصحيح للمنشآت والافراد ٠

(و) يســـــمح لاسرائيل بما يلي وطبقا لما تحدده اللجنـــة المشتركة :

١ – الابقاء داخل منشآتها على معدات مكافحـــة الحريق والصيانة العامة وكذلك العربات الادارية ذات العجل والمعـــدات الهندسية المتحركة اللازمة لصيانة المواقع وجميع العربات تكون غير مسلحة ٠

٢ – صيانة الطرق وخطوط المياه وكابلات المواصـلات التي تخدم هـذه المواقع سواء بداخلها أو داخل المنطقة العازلة وفي كل من مواقع المنشآت الثلاثة (ف ١ ، ف٢ ، ف٣ ، ف٤) ويجوز أن تتم هذه الصيانة بما لا يتجاوز عربتين ذات العجل وغير مسلحتين وبما لا يتجاوز اثني عشر فردا غير مسلحين ومعهم المعدات الهندسية الثقيلة اذا ما دعت الحاجة لها ٠ ويجوز اتمام عمليات الصـــيانة هذه ثلاث مرات أسبوعيا باستثناء المشاكل الخاصة وبعد اعطـاء الامم المتحدة اخطارا مسبقا بأربع ساعات ويرافق الطاقم قوات من الامم المتحدة ٠

(ز) يتم التنقل من المنشآت الفنية واليها خلال ســـاعات النهار فقط ويكون الدخول اليها والخروج منها على الوجه التالي :

١ – ف١ عن طريق نقطة تفتيش الامم المتحـــدة ومن خلال الطريق الموصل بين أبو عجيلة ومفترق طريقي أبو عجيلـة وجبل لبني (كيلو متر ١٦١) كما هو موضح على الخريطة رقم (٢) ٠

٢ – ف ٢/ف٣ عن طريق نقطة تفتيش الامم المتحدة ومن خلال الطريق المنشأ عبر المنطقة العازلة الى جبل كاترين (الخريطة رقم ٢) ٠

٣ – ف ٢/ف٣/ف٤ ، من خلال طائرات الهليكوبتر على أن تستخدم ممرا جويا وفى الاوقات وطبقا لنظام طلعات توافق عليها اللجنة المشتركة ٠

وتقوم قوة الامم المتحدة بتفتيش طائرات الهليكوبتر على أن تستخدم ممرا جويا ، وفى الاوقات وطبقـــا لنظام طلعات توافق عليها اللجنة المشتركة ٠

(ح) تخطر اسرائيل قوة الامم المتحدة قبل ساعة على الاقل من قيامها بأى تحرك تعتزم القيام به من المنشآت واليها ٠

(ط) يحق لاسرائيل اخلاء المرضى والجـــرحى واســـتدعاء الخبراء الطبيين والاطقم الطبية فى أى وقت بعد اعطاء بلاغ فورى الى قوة الامم المتحدة ٠

٤ – تتناول اللجنة المشتركة بحث تفاصيل المبادىء المشـار اليها أعلاه وكل الامور الاخرى الواردة فى هذه المادة التى تتطلب التنسيق بين الطرفين ٠

٥ – يتم سحب هذه المنشآت الفنية عند انســحاب القوات الاسرائيلية من خط الانسحاب المرحلى أو فى وقت يتم الاتفاق عليه بين الطرفين ٠

المادة السادسة – اسلوب التصرف فى المنشآت والموانع العسكرية:

يحدد الطرفان اســـلوب التصرف فى المنشـــآت والموانع العسكرية طبقا للاسس الآتية :

١ – تقوم اللجنة المشتركة خلال فترة لا تتجاوز ثلاث أسابيع قبل انسحاب اسرائيل من أية منطقة بالاعداد لقيام اطقم الاتصال والاطقم الفنية المصرية والاسرائيلية بعمل تفتيش مشترك على جميع المنشآت المناسبة للاتفاق على حالة المنشآت والمواد التى ستتسـلم

الى الجانب المصرى ولترتيب عملية التسليم ، وستعلن اسرائيل فى ذلك الوقت عن خططها فيمـــا يتعلق بكيفية التصرف فى هـــذه المنشآت والمواد التى بداخلها ٠

٢ – تتعهد اسرائيل أن تنقـــل لمصر كل ما يتفق عليه من المرافق الاساسية والمنافع العامة والمنشآت بحالة ســليمة بما فى ذلك المطارات والطرق ومحطات الضخ والموانىء ، وتقدم اسرائيل لمصر المعلومات اللازمة لصيانة وتشغيل هذه المنشآت والتعرف على طريقة عملها لمدة تصل الى أسبوعين قبل التسلم ٠

٣ – عندما تخلى اسرائيل نقاط المياه العسكرية بالقرب من العريش والطور تباشر الاطقم الفنية المصرية ادارة هذه المنشـــآت والمعدات المعاونة لها طبقا لعملية استلام منظمة وسابقة الاعـــداد بواسطة اللجنة المشتركة ، وتتعهد مصر بأن تســـتمر فى توفير الكميات العادية من المياه المتوفرة حاليا عند مختلف نقاط الميـــاه لحين انسحاب اسرائيل الى ما وراء الحدود الدوليـــة ، الا اذا تم الاتفاق على خلاف ذلك فى اللجنة المشتركة ٠

٤ – تتعهد اسرائيل بازالة أو تدمير جميع العوائق العسكرية بما فى ذلك الموانع وحقول الالغام فى المناطق التى تجلو عنها ومن المياه المجاورة لها تبعا للاسلوب التالى ٠

(أ) تزال أولا الموانع العسكرية من المنــــاطق القريبة من السكان والطرق والمنشآت الرئيسية والمنافع العامة ٠

(ب) بالنسبة للموانع وحقول الالغام التى لا يمكن ازالتهـــا أو تدميرها قبل الانسحاب الاسرائيلى ، تقوم اسرائيل بتقـــديم خرائط مفصلة الى مصر والامم المتحدة عن طريق اللجنة المشتركة وفى موعد لا يتجاوز ١٥ يوما قبل دخول قوات الامم المتحدة الى هذه المناطق ٠

(جـ) يقوم المهندسون العسكريون والمصريون بالدخول الى هذه المناطق بعد دخول قوات الامم المتحدة لاجراء عمليات ازالة هـــذه الموانع طبقا لخطة تقوم بها مصر بتقديمها قبل التنفيذ .

المادة السابعة — النشاط الاستطلاعى :

١ — يتم النشاط الجوى الاستطلاعى خلال الانسحاب عـلى الوجه التالى :

(أ) يطلب كلا الطرفين من الولايات المتحدة الاســـتمرار فى طلعات الاستطلاع الجوى وفقا للاتفاقات الســـابقة حتى اتمام الانسحاب الاسرائيلى النهائى .

(ب) تغطى الطلعات الجوية المناطق المحدودة القوات للتأكـد من أن القوات الاسرائيلية قد انسحبت من المناطق المبينة فى المادة ٢ من الملحق الاول ، والمادة الثانية من هـــذا المرفق والخريطتين (٢) ورقم (٣) ، ومن بقاء القوات خلف خطوطها بعد ذلك ، ويمكن القيام بطلعات تفتيش خاصة بناء على طلب أى من الطرفين أو بناء على طلب الامم المتحدة .

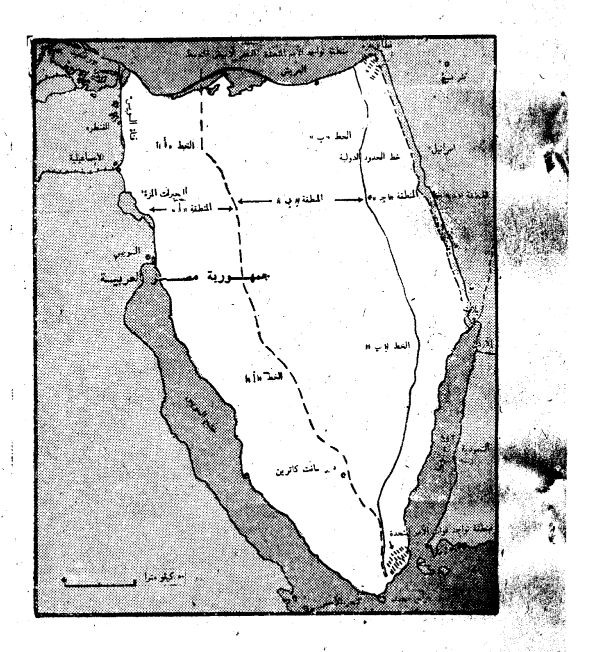
(جـ) تقتصر التبليغات على العناصر العسكرية الرئيســـية لتنظيم كل طرف كما هو موضح فى الملحق الاول وفى هذا المرفق .

٢ — يطلب الطرفان من بعثة سيناء الميدانية التابعة للولايات المتحدة أن تستمر فى عملياتها طبقاً للاتفاقات السابقة وحتى اتمام انسحاب اسرائيل من المنطقة الواقعة شرق ممرات الجدى ومتلا . وبعد ذلك تنتهى مهمة البعثة .

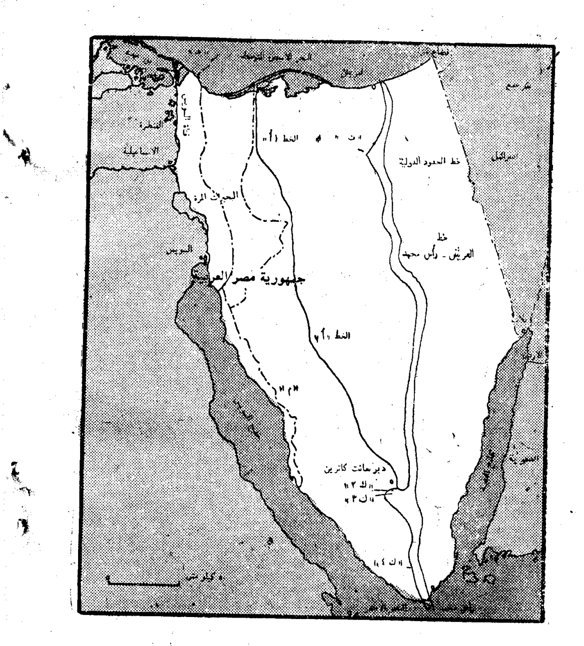
المادة الثامنة — ممارسة السيادة المصرية :

تستأنف مصر ممارستها لسيادتها الكاملة عـلى الاجزاء التى يتم اخلاؤها فى سيناء بمجرد انسحاب اسرائيل من هذه الاجزاء ، كما هو منصوص عليه فى المادة الاولى من هذه المعاهدة .

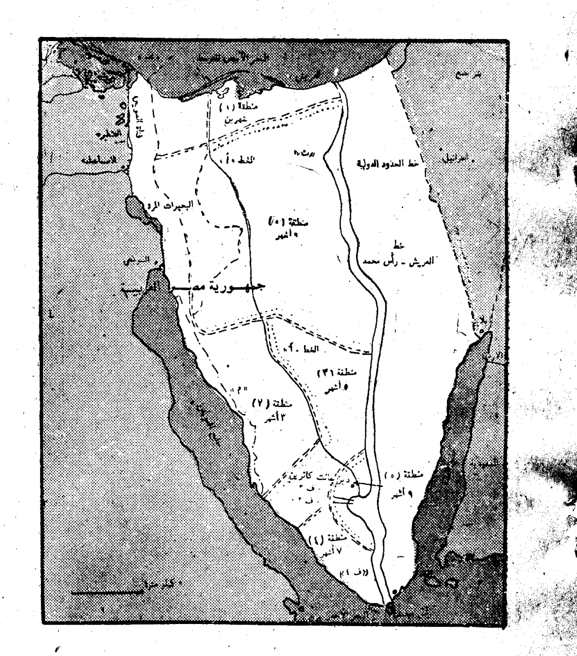
الخريطة رقم (١) سـيناء



الخريطة رقم (٢) **سيناء**



الخريطة رقم (٣) سـيناء



الملحـــق الثانى

سينـــاء

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد الرئيس

يؤكد هذا الخطاب أن كلا من مصر واسرائيل قد اتفقتا على ما يلى :

تستذكر حكومتا مصر واسرائيل أنهما قد اتفقتا فى كامب ديفيد ووقعتا فى البيت الابيض يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ الوثائق المرفقة والمعنونة « اطار السلام فى الشرق الاوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد » و « اطار لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل ».

وبغية التوصل الى تسوية سلمية شاملة وفقا للاطارين المشار اليهما آنفا تشرع مصر واسرائيل فى تنفيذ النصوص المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة ، وقد اتفقتا على بدأ المفاوضات خلال شهر من تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام ، ووفقا لـ « اطار السلام فى الشرق الاوسط » فان المملكة الاردنية الهاشمية مدعوة للاشتراك فى المفاوضات ، ولكل من وفدى مصر والاردن أن يضم فلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة أو فلسطينيين آخرين باتفاق مشترك .

وهدف المفاوضات هو الاتفاق قبل اجراء الانتخابات على الترتيبات الخاصة باقامة سلطة الحكم الذاتى المنتخبة (المجلس الادارى) ، وتحديد سلطاتها ومسئولياتها ، والاتفاق على مايرتبط بذلك من مسائل أخرى ، وفى حالة اذا ما قرر الأردن عدم الاشتراك فى المفاوضات فستجرى المفاوضات بين مصر واسرائيل .

وتتفق الحكومتان على ان تتفاوضا بصفة مستمرة وبحسن نية من أجل الانتهاء من هذه المفاوضات فى أقرب تاريخ ممكن ، كما

تتفق الحكومتان على ان الغرض من المفاوضات هو اقامة سلطة الحكم الذاتى في الضفة الغربية وغزه من أجل تحقيق الحكم الذاتى الكامل للسكان ·

ولقد حددت مصر واسرائيل لنفسيهما هدفا للانتهـــاء من المفاوضات خلال عام واحد بحيث يتم اجراء الانتخـــابات بأسرع ما يمكن بعد أن يكون الاطراف قد توصلوا الى اتفاق ، وتنشــــأ سلطة الحكم الذاتى المشار اليها فى « اطار الســـــلام فى الشرق الاوسط » وتبدأ عملها خلال شهر من انتخابها ، واعتبارا من هذا التاريخ تبدأ فترة الخمس سنوات الانتقالية ، ويتم سحب الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية لتحل سلطة الحكم الذاتى محلها كما هو منصوص عليه فى « اطار السلام فى الشرق الاوسط» وحينئذ يتم انسحاب القوات الاسرائيلية المســـلحة واعادة توزيع القوات الاسرائيلية المتبقية فى مواقع أمن محددة ·

ويؤكد هذا الخطاب أيضا مفهومنـــا بأن حـكومة الولايات المتحدة الامريكية ستشترك اشـــــــتراكا كاملا فى كافة مراحل المفاوضات ·

مع خالص التحية

عن حكومة جمهورية مصر العربية	عن حكومة اسرائيل
محمد أنور السادات	مناحم بيجين

الرئيس جيمى كارتر
البيت الأبيض

مصـــادر الكتـــاب

بعض مصادر عربية أو مترجمة الى العربيـــة للرجوع اليها

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ العهد القديم والعهد الجديد « مجلد واحد »

٣ ـ د· ابراهيم ابو لغد ، واسعد زروق : تهويد فلسـطين ·· مركز الابحاث الفلسطينية

٤ ـ ابراهيم امين غالى : سيناء المصرية عبر التاريخ ·· هيئة الكتاب

٥ ـ د· ابراهيم نصحى : مصر فى عصر البطالمة ·· الانجلو

٦ ـ احمد غنيم ، واحمد ابو كف : اليهود والحركة الصـــهيونية فى مصر ·· دار الهلال

٧ ـ د· احمد احمد بدوى : فى موكب الشمس « جزءان » ·· لجنـــة التاليف والنشر والترجمة

٨ ـ احمد بهاء الدين : اسرائيليات ·· دار الهلال

٩ ـ احمد بهاء الدين : وتحطمت الاسطورة عند الفجر ·· دار الشروق

١٠ ـ احمد الشهاوى شرف الدين : قصص الانبياء « جزءان » ·· مطبعة التاليف

١١ ـ احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن

١٢ ـ د· احمد سوسة : العرب واليهود فى التاريخ ·· مطبعة الزمان ـ بغداد

١٣ ـ د· احمد فخرى : مصر الفرعونية ·· الانجلو

١٤ ـ احمد كمال : مصر ·· المطبعة الاميرية

١٥ ـ ج·هـ· بريستد : مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسى ·· وزارة المعارف

١٦ ـ ابن خلدون « عبد الرحمن » : المقدمة

١٧ ـ جاردنر : مصر الفراعنة « ترجمة » ·· هيئة الكتاب

١٨ ـ جالينا نيكيتينا : دولة اسرائيل ·· دار الهلال

١٩ ـ د· جمال حمدان : ٦ اكتوبر فى الاستراتيجية العالمية ·· عالم الكتب

٢٠ ـ د· جمال جمال حمدان : قناة السويس نبض مصر ·· عالم الكتب

٢١ ـ جون ولسون : مصر « ترجمة احمد كمال » ·· النهضة

٢٢ ـ حسن البدرى « لواء وآخرون » : حرب رمضان ·· مكتبة الانجلو

٢٣ ـ حسين عواد : دراسة مورفولوجية لجبال سيناء ·· بحث مستخرج

٢٤ ـ حمدى الكنيسى : الساعة ٢٫٠٥ بدأ الطوفان ·· دار المعارف

٢٥ ـ دريتون : مصر « ترجمة عباس بيومى » ٠٠ النهضة
٢٦ ـ رمزى عبده جرجس « ترجمة » : الامبراطورية الرومانية ٠٠ دار الفكر العربى
٢٧ ـ رفعت الجوهرى « لواء » : سيناء ارض القمر ٠٠ الدار القومية
٢٨ ـ زكى على : تاريخ الامبراطورية الرومانية ٠٠ مكتبة النهضة
٢٩ ـ د٠ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحروب الصليبية « جزوان » ٠ مكتبة الانجلو
٣٠ ـ سليم حسن : مصر القديمة « اجزاء »
٣١ ـ د٠ سليمان حزين : بلاد العرب والشرق الادنى
٣٢ ـ سيناء المستقبل : « العدد الاول » عن سلسلة مركز النيل للاعلام »
٣٣ ـ صبرى ابو المجد : الصراع العربى الاسرائيل ٠٠ كتاب تحت الطبع
٣٤ ـ د٠ الطيب النجار : حياة الانبياء
٣٥ ـ د٠ عادل غنيم : الحركة الوطنيـة الفلســـطينية من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ ٠٠ هيئة الكتاب

٣٦ ـ د٠ عاطف عبد السلام : تصنيف التربة وتخصيبها فى وادى العريش
٣٧ ـ عباس محمود العقاد : ابراهيم ابو الانبياء ٠٠ دار الهلال
٣٨ ـ عباس محمود العقاد ٠ عمرو بن العاص ٠٠ دار الهلال
٣٩ ـ عبد الحميد جودة السحار : ابراهيم ابو الانبياء « اجزاء » ٠٠ مكتبة مصر
٤٠ ـ د٠ عبد الحليم منتصر ، و د٠ محمد عبد الفتاح القصاص : صحارى مصر ٠٠ دار الهلال

٤١ ـ عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية فى مصر « اجزاء »
٤٢ ـ د٠ عبد اللطيف احمد على : مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى ٠٠ دار النهضة العربية
٤٣ ـ د٠ عبد الكريم درويش ، و د٠ ليـــلى تكلا : حرب الســاعات الست ٠٠ مكتبة الانجلو

٤٤ ـ عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء
٤٥ ـ د٠ على ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ٠٠ مكتبة النهضة
٤٦ ـ كتاب الهلال الذهبى : حرب اكتوبر ١٩٧٣ ٠٠ دار الهلال
٤٧ ـ كريستوفر هارولد : بونابرت فى مصر ٠٠ « ترجمـة فؤاد اندراوس » ٠٠ الالف كتاب

٤٨ ـ كمال العقاد : وادى فيران « بحث مستخرج »
٤٩ ـ محمد صبيح : القدس وحروبنا الكبرى ٠٠ دار الشعب
٥٠ ـ محمد صبيح : المعتدون اليهود من موسى الى ديان ٠٠ مطبعة العالم العربى
٥١ ـ محمد صبيح : أيام ٠٠ وايام ٠٠ مطبعة العالم العربى
٥٢ ـ محمد عمارة : معارك العرب ضد الغزاة ٠٠ مطبعة الحرية ـ بيروت
٥٣ ـ محمد الفرخانى : الحرب الصليبية الاوربية التاسعة ٠٠ بيروت
٥٤ ـ محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر ٠٠ محمد على
٥٥ ـ محمد فريد ابو حديد : « ترجمة » فتح العرب لمصر ٠٠ مكتبة النهضة

٥٦ - المجالس القومية المتخصصة : سيناء وخطط التنمية حتى سنة ٢٠٠٠ .. دار التعاون
٥٧ - د. مراد كامل : فهرس مكتبة دير سانت كاترين
٥٨ - مصر ومسيرة السلام : علامات على الطريق .. هيئة الاستعلامات
٥٩ - موسى صبرى : وثائق حرب اكتوبر .. المكتب العربى الحديث
٦٠ - موسوعة سيناء : المجلس الاعلى للعلوم
٦١ - المقريزى « تقى الدين » : السلوك فى معرفة دول الملوك (تحقيق د. سعيد عاشور) .. مركز تحقيق التراث
٦٢ - مناحم بيجين : التمرد .. قصة الارجون .. هيئة الكتاب
٦٣ - مجموعات خطب الرئيس انور السادات .. هيئة الاستعلامات
٦٤ - مجموعات الصحف العربية فى القرن العشرين .. دار الكتب والمجموعات الخاصة
٦٥ - الهمدانى : صفة جزيرة العرب
٦٦ - هنرى آزو : فخ السويس « ترجمة محمود حسن ابراهيم »
٦٧ - هيلدا شعبان صايغ : مذكرات هيرتزل .. مركز الابحاث الفلسطينية
٦٨ - نعوم شقير : تاريخ سيناء وجغرافيتها
٦٩ - يوسابيوس القيصرى : تاريخ الكنيسة .. دار الكرنك
٧٠ - الجنرال ويفل : اللنبى فى مصر « مترجم »
٧١ - د. يونان لبيب رزق : ازمة العقبة .. بحث مستخرج من المجلة المصرية للدراسات التاريخية
٧٢ - فوميل لبيب : السلام الصعب .. دار التعاون
٧٣ - محمد العزب موسى : موسى مصريا .. المكتبة الثقافية
٧٤ - محمد السيد غلاب : تقرير عن بعثة فؤاد الاول للصحراء الى شمالى سيناء بحث مستخرج
٧٥ - انور السادات : البحث عن الذات .. المكتب المصرى الحديث
٧٦ - انور السادات : قصة الثورة كاملة .. دار الهلال
٧٧ - دوماس « مترجم » شبه جزيرة سيناء .. « ١٩٥١ »

بعض مراجع اجنبية

- BARRON ; The Topography & Geology of the Peninsula of Sainai, Western Portion .. Department of Survey, CAIRO 1907
- BRAMLEY W.E.; The Bedwins in the Sainai Peninsula, 1905
- Heather Colyer Ross ; Bedwin Jewellary in SAUDI ARABIA, London 1978.
- HEINZ SKROBUCHA, SAINAI ; Translated by Goerge Alan ; Oxford 1966.
- HUME W.T. ; A BRief History of North Sainai & Pelusium.
- JARVIS C. S. ; Yesterday & To-Day in Sainai, London, 1933.
- Laqueur W., History of Middle East Conflict
- Murry C.W. ; Sons of Ismael, London 1935.
- Palmer E.H. ; ,The Desert of Exodus, Cambridg 1971.
- Petri C.F. ; Reaserches in Sainai. London 1906.
- Petri C.F. ; Egypt & Israel, London, 1931.

رقم الايداع ٣٦٧١ / ٨٠

الترقيم الدولى ٧-٢٩-٧٣٣٤-٩٧٧

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر